بِدَايَةُ صَيْفٍ

بداية صيف

الكاتبة: شيماء السيد جاد

رقطإلإيدإلإ: 23843 / 2018

ISBN: 978-977-798-002-9

الطبعة الأولى يلإاير 2019

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضروره عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..

9 789777 980029

بداية صيف

الجزء الأول

شيماء السيد جاد

الحلم
للنشر و التوزيع

مقدمة قصيرة

شتاء سرمدي تخللها حتى النخاع، حبات البرد غلَّفت قلبها وأخمدت مشاعرها، صدمة تتلوها صدمة

كل مرة تتركها كجذع نَخِر تصفر فيه الريح فيُسمع صداه.

شتاء تلاه صيف.. صيف حارق ألهب مشاعرها وأشعل قلبها حتى أذاب الجليد، وزاد.. زاد الاشتعال، أصبحت كعود من البخور كلما اشتعل زاده الاشتعال عطرًا.. فهل يا تُرى.. سيحرقها الحب حتى الرماد؟

❋ ❋ ❋

البداية

دلفت فتاة مجعدة الملابس مبعثرة الشعر إلى قسم الشرطة بخطوات جامدة بطيئة لتتقدم من الشرطي ذي الرتبة القليلة قائلة بصوت بارد: "هل لي أن أقابل الضابط المسئول؟".

نظر نحوها متمعنًا بوجهها المكدوم وقد غطته خمسة أصابع على إحدى وجنتيها، بينما شفتها مشقوقة من الجانب، وكدمة حمراء قد بدأت بالتورم بجانب عينها، ليقول لها بغلظة: "ومن أنتِ؟".

لم تجب سؤاله لتقول بنفس النبرة: "هل هو متواجد؟ أريد رؤيته لأمر مهم".

مال نحوها يسألها بصوت جهوري: "سألتك من أنتِ، هل تمزحين معي هنا؟".

قالت الفتاة بجمود: "وهل هذه هيئة فتاة تمزح؟!! هل ستدخلني للضابط المسئول أم لا؟".

سألها بفظاظة: "وماذا تريدين منه؟".

قالت بعد فترة صمت متوتر: "أريده لأمر مهم.. أريد أن أخبره عن جريمة قتل".

نظر نحوها الشرطي بدهشة ليسألها بصدمة: "ماذا قلتِ؟!".

قالت وقد بدأ جمودها يتغلله قليل من التوتر: "جريمة قتل".

أمسكها من ذراعها بعنف قائلًا: "وأين هو القتيل؟ هل تعرفين القاتل؟".

رفعت نظراتها الميتة نحوه لتقول بصوت ميت لا حياة به: "نعم.. أعرف القاتل"، ثم صمتت برهة تستجمع شجاعتها لتقول مشيرة إلى نفسها: "أنا القاتلة"!

❋ ❋ ❋

الفصل الأول

إنه صباح بارد غير كل يوم، البرودة اليوم غير عادية.

نفخت يديها وأحكمت شد حزام المئزر الصوفي حولها، ثم دست قدميها في خفها الشتوي ذي الفراء، وقفت في المطبخ تحضر قهوتها وهي تنفخ يديها وتفركها في حركة لا شعورية وكأنها تحاول أن تبث بعضًا من الدفء إلى جسدها لتتغلب على برودة واقعها، حملت فنجان قهوتها وشطيرة صغيرة وجلست على الطاولة الصغيرة بركن المطبخ تقنع نفسها بأن تتناول شطيرتها بينما ترتشف قهوتها بتلذذ واستمتاع.

صوت رسالة من أحد مواقع التواصل الاجتماعي وصلتها، امتدت يدها تفتح الرسالة لتجد صديقتها وزميلة عملها هديل أرسلت لها رسالة: (صباح الخير سيدة الشرود.. أذكِّرك أن اليوم موعد حضور المدير الجديد، تأنقي وحاولي التذكر أنه وسيم، هاه، وسيم وغير مرتبط)، وختمت رسالتها بأحد أولئك الأوجه التي تغمز وقلب ينبض.

ابتسمت وسن مغمغمة: "مجنونة أنتِ يا هديل وستظلين هكذا دومًا".

عندما وصلت وسن لمكان العمل وجدت هديل بانتظارها أمام المكان، صفت وسن سيارتها وترجلت منها وما إن اقتربت من هديل

حتى بادرتها الأخرى هاتفة: "يا إلهي.. ألا تتمتعين بالأخلاق يا فتاة؟ تتأخرين عليّ وتتركينني أنتظرك وأنا أتجمد بردًا في هذا الصقيع".

ضحكت وسن لتهتف: " ما ذنبي إذا كنت قليلة العقل وقررت أن تقفي لانتظاري في هذا البرد؟ أنا لست والدتك حتى تتشبثين بكفي وأنتِ تدخلين المكان".

لكزتها هديل في كتفها قائلة بغضب مصطنع: "على الأقل أظهري بعض الامتنان أني متشبثة بك ولا تكوني جاحدة، فلولاي لما وجدتِ من يحدثك".

سحابة من الحزن عبرت وجه وسن للحظات لم تلحظها هديل، ثم تمالكت نفسها زافرة بضيق: "معك حق.. لولاك لتحولت لخفاش عظيم"، ثم مالت بحركة مسرحية قائلة لهديل: "كم أنا شاكرة لوجودك في حياتي".

ضحكت هديل بصخب وذيل حصانها القصير يهتز لتهتف: "على الأقل وجدت منفعة لوجودي في الحياة".

ابتسمت لها وسن، ثم تأبطت ذراعها قائلةً لها: "هيا أيتها المفيدة حتى لا نتأخر أكثر من هذا".

دلفتا إلى المصعد وهديل تثرثر بينما وسن تستمع إليها.

كانت وسن تكبر هديل بخمسة أعوام، فتاة في عمر السابعة والعشرين، نظرت لنفسها في المرآة، كانت بسيطة الملبس، أنيقة بلا تكلف، ترتدي ملابس تكاد تكون عملية، بينما صففت شعرها البني الطويل في ذيل حصان بسيط، عيناها ذات لون يجمع بين العسلي والأخضر الداكن، وبشرتها القمحية تتناقض مع لون عينيها بجاذبية.

أجفلت بشدة عندما لكزتها هديل هاتفة بحُنق: "أين ذهبتِ يا سيدة الشرود؟ أحدِّثك منذ ساعة".

نظرت إليها وسن بغيظ هاتفة: "لا تلكزيني هكذا يا هديل، واحترمي أني من مقام والدتك".

نظرت إليها هديل هاتفة: "لا تلعبي على هذه الوتيرة معي، من أخبركِ بهذا الحمق؟ من يرانا يظن أننا من نفس العمر، ثم أنكِ لا تكبرينني بالكثير".

هزت وسن رأسها بإقرار: "فعلًا إنهم فقط خمسة أعوام، لو كنت قد أنجبت طفلًا لكان بعمرك الآن".

وصل المصعد إلى الطابق الذي يقع به مكتب الاستشارات الهندسية حيث تعملان، خرجت الاثنتان من المصعد وهديل تكاد تموت من الضحك قبل أن تعترض: "أنتِ تبالغين يا وسن، ألم أقل لكِ أنتِ عجوز نَكدة؟"، ثم مالت تهمس لوسن: "بالمناسبة.. أكاد أتحرق شوقًا لمرأى مديرنا الجديد، اليوم سيكون علينا أن نودع المهندس عبد الله مديرنا القديم، وسمعت أن المدير الجديد سوف يتسلم مكانه منذ اليوم".

ردت وسن بإيجاز: "لا تتعجلي فربما تندمين على تحرقك هذا"، وابتسمت.

هتفت هديل: "أنتِ قاتلة للبهجة، بالله عليكِ كم عمرك؟ أشعر بأنك على مشارف الأربعين، ألا ينتابكِ الفضول حتى لمعرفة من هو أو ما شكله؟".

أغاظتها وسن قائلة: "وماذا بعد أن أعرف، هل ستطول قامتي أم أزيد جزءًا في جسدي؟ بالله عليك كوني واقعية وتذكري أن مدير جديد معناه طريقة جديدة للعمل وأراء مختلفة وانقلاب في طريقة عملنا التي اعتدناها".

غمغمت هديل بامتعاض قائلة: "عجوز نكدة وقاتلة للمتعة".

* * *

عاقدة حاجبيها، منهمكة في مطالعة بعض التصاميم الحديثة، ومحاولة انتقاء ما يصلح منها مع آخر مشروع تعمل عليه.

حين اقتحمت المكتب في ذلك الوقت زميلتهم الثالثة بمكتبهن، غدير، هاتفة بصوت متحشرج هامس: "هل رأيتما مديرنا الجديد؟ يا إلهي.. إنني أحلم، إنني أحلم"، ثم اندفعت نحو هديل ضاحكةً: "اقرصيني يا هديل، وأخبريني هل أنا نائمة أم مستيقظة؟".

ضحكت هديل بصوت عال قائلة: "يا إلهي.. لقد جُنت بحق"، ثم أمالت رأسها هامسة بلؤم: "أخبريني كيف هو؟ لقد أثرتِ فضولي وأنتِ المرأة المتزوجة، وها قد سال لعابك من مجرد رؤيته، فكيف سيكون حالنا؟"، وغمزت نحو وسن بعينيها.

رمقتها وسن ضاحكة بامتعاض قائلة: "تكلمي عن نفسك يا حالمة، لقد تخطيت منذ زمن أحلام المراهقة".

ضحكت غدير متظاهرة بعدم التصديق قائلة لهديل: "دعكِ منها، غدًا سوف نجلس بجانب الحائط ونسمع الشكوى"، ثم

خبطت بيدها على جبهتها قائلة: "يا إلهي لقد نسيت.. السيد عدنان يريدك في مكتبه يا وسن".

تفاجأت وسن قليلًا ثم هتفت بصوت متعجب: "لماذا، ألا تعرفين السبب؟".

هزت غدير كتفيها قائلة بأنها لا تعرف.

تركت وسن مكتبها وخرجت تحاول أن تفكر في سبب ما لاستدعائها.

السيد عدنان صاحب الشركة، وريث، أربعيني العمر، قام بتأسيس شركته منذ سبعة أعوام، وأضاف إليها قسمًا خاصًا بالديكور، حيث تعمل وسن منذ أربعة أعوام، لم تلتقه إلا مرات نادرة في بعض حفلات الشركة ولم يطلب لقاءها في مكتبه من قبل.

كانت متوترة بعض الشيء أثناء انتظارها في مكتب السكرتيرة التي أخبرتها بأن تنتظر قليلًا؛ لأن السيد عدنان لديه اجتماع وحين ينتهي سوف تدخل، ظلت تنتظر لما يقرب من الثلث ساعة وعندما قررت أن تغادر مكانها لتعود لمكتبها على أن تعود مرة أخرى بعد قليل فتح الباب فجأةً وخرج منه ثلاثة رجال، أولهم شاب في العقد الثالث من العمر، يليه المهندس عبد الله مديرها السابق، وآخرهم السيد عدنان.

ما إن لمحها المهندس عبد الله حتى هتف بترحاب: "مرحبًا وسن، هل تنتظرين منذ وقت طويل؟".

إبتسمت وسن بحرج قائلة: "لا ليس لوقت طويل، كنت سأعود لمكتبي حتى أنهي عملي و..."، شعرت بالحرج أكثر لثرثرتها واحمرّ وجهها، وكأن المهندس عبد الله قد شعر بإحراجها، فابتسم قائلًا: "لا عليكِ يا وسن، تعالي وصافحي السيد عدنان والمهندس ساجد عمران مديركم الجديد".

تقدمت وسن ومدت يدها بعفوية للسيد عدنان الذي صافحها بود، وحينما مدت يدها نحو المهندس ساجد صدمت من نظرة عينيه المتضايقة بينما يضع يديه في جَيبي بنطاله قائلًا: "معذرةً، لا أصافح الفتيات"، واكتفى بأن هز رأسه مشيحًا بعينيه عنها.

سحبت وسن يدها كالملدوغة وقد احمر وجهها بشدة والتمعت عيناها بدموع الإحراج ولم تعلق بكلمة.

تنحنح المهندس عبد الله، ثم قال بهدوء وكأن شيئًا لم يحدث: "حسنًا.. وبما أنكِ هنا فأنا من رشحتك للمهمة الجديدة عند السيد عدنان".

ظلت تنظر له في بلاهة، كانت عاجزة عن استيعاب أي من كلامه، وقد أخذت أذنها تطن من إحراج موقفها منذ لحظات، تدخل السيد عدنان قائلًا: "لمَ لا ندخل مكتبي مرة أخرى حتى نتحدث؟".

أومأ عبد الله برأسه موافقًا وتبع السيد عدنان للداخل، بينما ظلت وسن تنظر بوجل لموضع قدميها حتى سمعت صوتًا ساخرًا يقول: "هل سنقضي نهارنا هنا ننتظر أن تنتهي من عد بلاطات الأرض؟".

رفعت وسن حاجبيها أولًا، ثم عقدتهما وهي ترفع رأسها وتنظر إلى هذا الجلف عديم الذوق، كان ينظر إليها متسليًا بابتسامة بغيضة باردة ومغيظة.

تاهت قليلًا في وجهه تستشعر الحيرة، كان وجهه مألوفًا لها بشكل غريب، مع ذلك إنها متأكدة أنها لم تره من قبل.

ظلت تنظر إليه للحظات، ثم هزت رأسها واستعادت صلابتها بينما تقول ببرود: "معك حق، البلاط هنا غير مشجع على العد، لربما كان بمكتب السيد عدنان أكثر جمالًا وتألقًا".

ثم استدارت ودخلت إلى المكتب وهي تشمخ برأسها للأعلى.

دخل ساجد خلفها وقد ارتسمت التسلية على ملامحه من ردها ولم يعلق بكلمة، بادر السيد عدنان بالحوار قائلًا: "لقد أثنى عليكِ عبد الله كثيراً، وعلى اجتهادك وتصاميمك، حتى أنني وافقت على تسلمك مشروع الديكور لإحدى قريباتي والتي تهمني بشكل خاص".

رفعت وسن رأسها وقد استعادت جدية ملامحها ونبرتها العملية قائلة: "يشرفني اختيارك لي يا سيد عدنان، وسوف أكون عند حسن ظنك بي، لكن..."، ثم سكتت قليلًا لتكمل بعدها: "بيدي الآن أحد المشاريع غير المنتهية، فمتى تريدني أن أبدأ بالعمل في المكان الجديد؟".

ابتسم عدنان قائلًا: "متى تنتهين أنتِ من مشروعك؟".

ردت وسن: "في غضون أسبوعين أكون قد انتهيت".

رد عليها السيد عدنان: "إذن نبدأ المشروع الجديد بعد أسبوعين من الآن".

أومأت وسن برأسها بينما تنهض قائلة: "وهو كذلك بإذن الله".

قال السيد عدنان: "حينما تخرجين ستجدين الملف الخاص بالعمل القادم مع السكرتيرة بالخارج، وبعد أسبوعين نتناقش في كيفية سير العمل، وإذا ما احتجتِ لشيء هناك، المهندس ساجد لن يتأخر بمساعدتك".

هزت وسن رأسها بينما ترمق ساجد بنظرة حذرة، اكتفى هو بمط شفتيهِ قائلًا بابتسامة لزجة: "بالطبع لن أتأخر"، ثم خفض صوته هامسًا لها بسخافة: "فأنا أجيد عد البلاطات".

زفرت وسن في غيظ، ثم انسحبت معتذرة من السيد عدنان والمهندس عبد الله كي تُنهي أعمالها.

كانت تغلي من الغيظ أثناء خروجها إلى مكتب السكرتيرة تطلب منها ملف العمل الجديد وتنقر بحنق على المكتب حتى سمعت نفس الصوت المستفز لسلامها الداخلي يقول بصوت أجش خافت: "قلبي على هذا المكتب المسكين، ماذا فعل ليستحق الطرق على رأسه؟".

فكرت وسن بغيظ، هل تلتفت لتُسمعه ما يستحق مقامه، أم تتجاهله وتكتم غيظها؟

التفتت إليه وسن وقد رسمت ابتسامة لزجة على وجهها قائلة: "لأنه مستفز".

ابتسامة متعجبة ارتسمت على ثغره بينما يقول بهدوء: "تبدين مختلفة عن ذي قبل".

تطلعت إليه وسن باندهاش قائلةً: "هل تقابلنا من قبل؟".

اكتفى بأن هز رأسه مغيظًا وهو يغمغم: "في أحلامك فقط"، ثم استدار تاركًا إياها وقد تدلى فكها في حيرة.

* * *

عندما عادت وسن لشقتها الخالية الباردة من الروح والمشاعر مساءً، ألقت حقيبتها بإهمال على الأريكة واتجهت إلى المطبخ لتُحضر لنفسها بعض الطعام.

كانت تتحرك بتثاقل وبطء وعلى وجهها كل ملامح الشرود والتيه، كان كل تفكيرها منحصرًا بأن تصل إلى حقيقة إذا كانت قد رأت هذا الساجد من قبل أم لا.

هي لا تتذكره ومع ذلك يبدو وجهه مألوفًا لديها، ثم إن حديثه معها اليوم غامض ويوحي بأنه قابلها من قبل.

شمت رائحة احتراق الطعام فخرجت من شرودها وهي تتمتم بغيظ: "هذا ما كان ينقصني، حتى طعام العشاء احترق، ما بالها الدنيا تعاندك يا وسن! أما آن الأوان لها أن تمنحك التعاطف ولو قليلًا؟!".

سكبت بقايا الطعام المحترقة بالقمامة، فتحت الثلاجة لتعد لنفسها شطيرة وكوبًا من الشاي، لترشفه ببطء وقد شردت منها أفكارها مرة أخرى.

لا تدري لماذا خطر في بالها في هذه اللحظة واصف، ابتسمت متنهدة ثم أمسكت هاتفها وكتبت له: (قد اشتقت إليك أيها الجاحد، أما آن الأوان لكي تعود فأشبع شوقي إليك؟).

تنهدت بعجز مرة أخرى عندما أعطاها الهاتف بأنه غير متاح، لا تدري لمَ شعرت بالهجر عندما تركهما واصف ورحل.

كان يصبو إلى الهروب بعيدًا عن واقع حياتهم، هكذا هو طوال عمره، أناني متمرد، لا يحب القيود، يفر منها دائمًا، ولم يتغير بالرغم من سنوات عمره التي تخطت الثلاثين بعامين.

لقد رحل بعد محنتها بعام، وكأنه لم يعد يطيق أن ينظر في وجهها فتذكره بما يعتقد أنه جناه في حقها، وهي في تلك الأثناء لم تكن بالنضج الكافي لكي تعفيه من مسؤولية سوء اختيارها، ورحل، لم يعد إلا بعد ثلاثة أعوام حينما رحلت والدتهما.

جاء كالغريب، كان يبدو عليه أنه لم يتعاف، وزادته وفاة والدته تيهًا وضياعًا، لم يستمر في الوطن، فبعد رحيل والدته بأسبوعين فوجئت وسن بعزمه الرحيل مرة أخرى، يومها بكت وسن كما لم تبك من قبل، لقد أحست باليتم وكأن والدتها لم تمت إلا حينها، وتوسلته بالبقاء ولم تهدأ إلا بأنه وعدها بالعودة في أسرع وقت عندما ينهي أعماله بالخارج، ولم يعد.

مر عامان عليها بنفس وتيرة حياتها الجافة، شتاء يتلوه صيف، برودة الحياة وقيظ المشاعر، وبين هذا وذاك جفاف سرمدي، وخواء يعادل خواء حياتها.

كانت هديل من تحرك الماء الراكد في حياتها أحيانًا، هديل تلك البيضاء المشاكسة ذات الشعر الأسود القصير والعيون القططية السوداء، بأحلامها الطفولية التي لا تنتهي، وبحثها الدؤوب عن فتى الأحلام. تنبهت وسن من غفوتها على صوت رنين هاتفها لتجد أنها قد غفت على الأريكة أمام التلفاز.

حملت هاتفها ودثارها واتجهت لغرفة نومها وهي تتطلع بعيون ناعسة كاسمها إلى شاشة الهاتف، كانت رسالة من واصف يخبرها بأنه اشتاق أيضا إليها ، وسوف يحدثها عندما تسنح الفرصة، كانت تعلم أن الفرصة لن تسنح له قريبًا كما المعتاد، اندست في فراشها وأحكمت احتمائها بالغطاء، وكأنها تحمي نفسها من العالم كله، تمنت لنفسها أحلامًا سعيدة، لكنها كانت أمنيات.

* * *

أخرجها من استغراقها في العمل رنين متواصل، تأففت لترفع سماعة الهاتف الداخلي الخاص بمكتبها لتخبرها سكرتيرة مكتب مديرها ساجد إنه يريدها، تأففت بينما تضع السماعة وتغمغم لنفسها: "وماذا يريد مني هذا الساجد؟ وكأنه ينقصني هذه العطلة!".

كانت تعاني من تأخر في تسليم عملها السابق بسبب أخطاء بعض العمال ممن يقومون بتنفيذ التصاميم، كانت منذ قليل تصرخ بهم كالمجاذيب، تريد أن تنهي العمل في موعده حتى لا يغضب السيد عدنان من عدم بدءها المهمة التي سبق ورشحها لتنفيذها، وها قد مضى يومان فوق الأسبوعين ولم تنته بعد.

طرقت باب مكتب ساجد ثم دلفت إليه، تطلع إليها ساجد بدهشة قليلًا ثم تبسم في تعجب قائلًا: "تفضلي، هل مازال هناك من يطرق الباب قبل الدخول في هذا البلد؟!".

ردت بتعجب أكثر منه وهي تقول: "المهذبون من يفعلون".

تأملها ساجد قليلًا ثم هز رأسه وكأنه يُخرج نفسه من دوامة أفكاره، ثم عاد ليسألها: "هل سلمتِ مشروعك القديم واستلمتِ العمل الخاص بالسيد عدنان؟".

تنهدت وسن ثم غمغمت بحرج: "لا.. ليس بعد، أحتاجِ مهلة ليومين فقط، رباه، هؤلاء العمال سوف يصيبونني بجلطة قريبا".

اعترض ساجد بهمس: "بعيد عنك الشر يارب".

لم تسمع ما قاله فرفعت رأسها تسأله: "عفواً.. ماذا قلت؟".

لوح بيده قائلًا: "لا عليكِ، هل تريدين مساعدة في المعاملة مع العمال؟ لربما رأوك جميلة فاستهانوا بكِ، ولذلك يماطلونكِ في العمل".

عقدت حاجبيها بضيق وردت ببرود: "أحب أن أخبرك يا سيد ساجد إني أعمل هنا منذ أربعة أعوام، ولي خبرة كبيرة بكيفية التعامل مع العمال، لست لقمة سائغة لهم، فأرجوك لا تقلل من شأني ولا من عملي".

نظر إليها مليَاً ثم رد بسخرية: "هل أنتِ بطيئة التفكير هكذا دوماً؟".

فتحت فمها ذهولًا وهي تنظر إليه بصدمة، ثم استشاطت غضبًا لتهب من مقعدها قائلةً ببرود يخالف غضبها: "عفوًا.. أنا لا أسمح لأي شخص بإهانتي، ولن أجلس معك لتهينني بينما حس الفكاهة عندك مرتفع".

أشار إليها بيده أمرًا: "لم أنه حديثي معك، إياكِ أن تغادري قبل أن أسمح لكِ".

نظرت إليه قائلة باستهانة مملوءة بالغيظ: "تسمح لي!! لم أعد طفلة تطلب السماح من أحد، ثم ماذا ستفعل إن غادرت الآن؟".

رد عليها بهدوء بارد: "لا تنسي أني مديرك يا فتاة"، ثم مال برأسه تجاهها غامزًا بلؤم: "أم تفضلين لقب سيدة وسن؟".

هنا انتفضت وسن في مكانها بردة فعل عجيبة، ظلت تنظر إليه وصدرها يعلو ويهبط، كانت تلهث ووجهها يشحب ببطء فاتحة فمها غير قادرة على أخذ أنفاسها، تشعر وكأن الدنيا كلها قد انطبقت على صدرها، اهتزت الرؤيا أمامها وغشاوة سوداء تحجب رؤياها حتى غلفت عالمها، تلقفها ساجد بين يديه قبل أن تسقط تمامًا وهو يشتم نفسه قائلًا: "يا للغباء! ماذا فعلت يا أحمق؟!".

حملها بحذر إلى الأريكة الجانبية بغرفته، ثم نادى سكرتيرته لتساعده على إفاقتها، كان يشعر بقلة الحيلة والعجز ولا يعرف كيف يتصرف.

أحضرت سكرتيرته عطرها ووضعت بعضًا منه بالقرب من أنفها، أخذت وسن تدمدم بشفتيها وتصدر أصوات غير مفهومة، ثم أخذت تنتحب وتهذي بكلام لم يفهم منه ساجد غير كلمة أنقذوني،

قطب ساجد حاجبيه وهو يشير للسكرتيرة أن تذهب لتحضر لها بعضًا من العصير، ثم اقترب من وسن وجلس على ركبتيه بجانب الأريكة قائلًا بهمس: "ششش.. لن يؤذيكِ أحد، أنا هنا، لن يستطيع مخلوق أن يؤذيكِ مرة أخرى".

مدت كفها وكأنها تستنجد به، وقد سالت دموعها بغزارة لتقول بوهن: "سيقتلني، لقد وعد إنه سيقتلني، أرجوك لا أريد الموت الآن".

وضع ساجد أصابعه أمام فمها ليمنعها من الاسترسال قائلًا بهمس جانب أذنها: " أنا أقسمت على حمايتك، لن يؤذيكِ هو أو غيره، أنا وجدتكِ وسأحميكِ بعمري كله لو تطلَّب الأمر".

هدأت وسن ولم تعد تتحرك وانتظمت أنفاسها، تنهد ساجد بتعجب لنومها الغريب الذي تلا حالة الانهيار تلك، أخذ ينظر لها بقلق ووساوسه تحاوطه، هل يعقل أنها نامت؟!! أم ربما عادت لغيبوبتها مرة أخرى؟

ثم هتف لنفسه بغل: "اللعنة على الجهل الطبي".

جرى إلى هاتفه، طلب رقمًا وانتظر أن يجيب، وعندما كاد الرنين أن يتوقف سمع صوتًا من الطرف الاخر يجيب بقلق: "مرحبًا ساجد".

رد ساجد بتعجل: "أنا بخير يا أحمد، أريد أن أسألك في أمر ما".

سمع رد أحمد القلق: "خيرًا، ماذا تريد؟".

حكى له ساجد باختصار ما حدث منذ قليل مع وسن، وحالتها الآن، كان ساجد قلقًا يريد أن يعرف ما إذا كانت تحتاج لنقل للمستشفى أم لا؟ لكن أخوه الطبيب طمأنه بأن العقل بعض الأحيان بعد نوبة من الهستيريا يجد في النوم هروبًا آمنًا له، وأنها حين تستيقظ لن تتذكر ما حدث أثناء نوبة الهستيريا تلك.

سأل ساجد بقلق: "إذن.. ألا تحتاج للفحص الطبي؟".

قال أحمد بهدوء مطمئنًا إياه: "عندما تجد نفسك متفرغًا أحضرها ومر عليّ بالمشفى حتى نطمئن عليها أكثر، هل يعجبك ذلك؟".

نظر لوسن بقلق وهو يجيب بصوت خافت: "إن شاء الله، ليفعل الله ما يريد".

كانت السكرتيرة قد أحضرت علبة العصير، أخذه منها ساجد ووضعه على الطاولة بجوار الأريكة، ثم صرفها، أحضر سترته ووضعها على جسد وسن غاضًا بصره كي لا ينظر إليها، ثم استدار وجلس على كرسيه يتظاهر بالعمل، كان قد أبقى باب مكتبه مفتوحًا وطلب من السكرتيرة أن تمنع دخول أحد إليه، ظل يحاول عبثًا أن يعمل، وعندما نفد صبره استقام من مكانه وذهب إليها، ظل قليلًا يتطلع إلى ملامحها بصمت، عيونها المغمضة وأهدابها الطويلة تظلل عينيها ذات لون الزمرد المطعم بلون الذهب، بشرتها بلون سنابل القمح الجميلة تناقض لون عينيها الزمردية، وبخاصة عندما تتألق أو تنفعل.

انتفض من تأملاته واستغفر ربه، فهو لم يعتد النظر للنساء طوال حياته حتى بسنين غربته بالخارج، لا يدري لماذا تخرجه هذه الفتاة عن تعقله منذ أن وقعت عيناه عليها في ذلك الوقت، لكنها لم تكترث به وكأنها لم تكن تراه، كانت تعيش عالمها الخيالي الجميل لتكتشف بعد ذلك أنها وقعت في فخ عش الزنابير.

اقترب منها ينادي بصوت منخفض: "وسن.. استيقظي هيا".

وعندما لم ترد مد يده بحذر وهزها من كم سترتها: "وسن، وسن.. هيا استيقظي".

فتحت عينيها دفعة واحدة لتنظر لوجهه بصدمة ثم هتفت: "أين أنا؟".

هبت من مكانها مندفعة تنظر حولها بذعر لكنها ترنحت، مد يده كحاجز يمنعها من النهوض فعادت واستلقت مرة أخرى.

زمجر هاتفًا: "على رسلك يا فتاة، لا تخافي لن آكلك".

نظرت له بخجل قائلة: "هل نمت في مكتبك؟".

هز رأسه بالإيجاب ولم ينطق بكلمة.

احمرّ وجهها وتطرق أرضًا هامسة: "آسفة.. لم أرد أن أسبب لك حرجًا".

كانت مُحمرة الوجه من كثرة الخجل، تعرف هذه النوبات حق المعرفة، لكنها أبدًا لم تُحرج بسببها ولا مرة مع أي أحد وخاصة مثل ساجد، كانت تطوف في دوامة خجلها عندما وجدت يده تمتد لمجال

رؤيتها حاملة علبة عصير، رفعت وجهها تنظر له، فقال لها: "خذي هذه، اشربيها، سوف تشعرين بتحسن".

قالت بسرعة: "لا.. أنا سوف أعود لمكتبي، يكفي ما سببته من فوضى".

قال بغضب قلق: "خذيها يا وسن واشربيها، لا نقاش في ذلك".

مدت كفها تأخذ العلبة، كانت ترتجف وتكاد أن تُسقطها على ملابسها، أخذت ترشف منها بتوتر وعصبية حين سمعت صوته يسألها بحنو: "هل هي أول مرة؟".

رفعت رأسها تنظر إليه، هالها نظرة القلق في عينيه.

يا إلهي.. عيناه غريبة اللون، بلون السماء الشتوية الرمادية، بها نظرة غريبة، غائمة كالسحب التي تنذر بهبوب العواصف بعد حين، وتلك اللحية والشارب المحيطان بفمه، تعطيانه شكلًا وسيمًا خشنًا، تنبهت من تأملها على صوته وهو يسألها بنفاد صبر قلق: "وسن.. سألتك سؤالًا، هل هي أول مرة تأتيك هذه الإغماءة؟".

هزت رأسها بالنفي لتقول باضطراب خافت: "بين الحين والآخر".

ثم ضحكت بصوت مهزوز لتداري حرجها قائلة: "لا تخف.. لقد اعتدتها".

عقد حاجبيه بقلق فعلي وهو يقول: "وهل فحصتِ نفسك عند طبيب للاطمئنان؟".

أسرعت بالنفي قائلة: " لا داعي لكل ذلك، إنها نوبة بسيطة تأتي مع توتري والإجهاد فقط".

ثم نهضت من مكانها لتقول: "أنا سوف أعود لأنهي عملي، عليّ أن أذهب إلى الموقع لأباشر العمل".

هدر قائلًا: "لا.. لن تخرجي إلى أي مكان وأنتِ بهذه الحالة".

ضحكت وسن بحرج قائلة: "لست بأي حالة، لا تبالغ، فقد أصبحت بخير، وأريد أن أنهي عملي المتأخر بأسرع وجه".

نهض ساجد من مكانه وهو يقول بلهجة لا تقبل التراجع: "اذهبي واجلبي معطفك، سوف نذهب سويًا".

تراجعت هاتفة بحذر: "نذهب لأين؟ كما أني أملك سيارتي ولا أركب مع الغرباء".

رد ساجد بنفاد صبر: "هيا يا وسن، أنا في طريقي إلى مكان عملك، دعيني أوصلك، لن أسمح لكِ بالقيادة في هذه الحالة، كما أني لست غريبا، أنا مديرك بالعمل".

همت بالرد ولكنه قاطعها قائلًا: "وأقسم لكِ لو اعترضتِ يا وسن لأقدمن تقريرًا سيئًا عنكِ للسيد عدنان، فلا تختبري صبري".

خرجت وسن من المكتب شاعرة بالغيظ، هي لا تحب التنمر عليها، ولا تحب أن تفعل شيئًا ضد إرادتها، لقد أقسمت يومًا على هذا، ولكنها لا تملك الرفض، فبرغم تهديده لها إلا أنها قد انتابها فرح داخلي بأنه يهتم بسلامتها ويخشى عليها من القيادة، كما أنها فعلا تشعر بعدم القدرة على قيادة قدميها فما بالك بالسيارة.

نزلت وسن إلى المرآب لتجد ساجد ينتظرها في سيارته، كانت سيارته كبيرة من سيارات الدفع الرباعي حديثة وضخمة، دلفت

إليها لتنكمش على نفسها في مقعدها وتضع حزام الأمان ملقية السلام على ساجد الذي اكتفى بأن رد عليها بإيماءة مقتضبة من رأسه، ثم استدار بالسيارة وانطلق إلى الطريق، مرت فترة من الصمت قطعتها وسن قائلة: "هذا ليس طريق المكان الذي سأذهب إليه".

اكتفى برد مقتضب: "أعرف".

تطلعت إليه بدهشة قائلة: "ولكنك قلت إنك سوف تذهب بي إلى موقع العمل".

رد عليها أيضا باقتضاب: "أعرف ما قلته".

غضبت لردوده المقتضبة، فهتفت بعصبية: "تعرف تعرف.. حسنًا أيها السيد الذي يعرف كل شيء، أنا لا أعرفك، ولا أحبذ طريقة تعاملك معي في فرض الأمور، ولست معتادة على الركوب مع الغرباء، ولن أذهب إلى مكان ما لا أعرف ما هو، وذلك لأن عقلك زين لك الأمر بأنني سأتساهل معك وأرضخ، أنزلني هنا واذهب في طريقك ودعني وشأني".

ظل صامتًا لحظات دون أن يرد، ثم قال بهدوء: "سوف نذهب للمستشفى".

بُهتت قائلة: "مستشفى، لا، لا مستشفيات".

ثم بدأ صوتها يعلو وقد بدأت نبرة الهستيريا تتعالى به: "أنزلني، أنزلني هنا، إن لم تتوقف سوف أقفز من السيارة وهي تتحرك".

ركن سيارته على جانب الطريق وهو يلتفت إليها قائلًا: "حسنًا.. اهدئي، لا مستشفيات".

كانت تحاول أن تفتح الباب لتنزل، ولكنه نهرها بحزم قائلًا: "وسن.. اهدئي، بالله عليكِ لن أؤذيكِ".

بدأت تهدأ قليلًا لتهمس بحزن: "أنا لا أحب المستشفى، لا أطيقها من الأساس، دخولي إليها يحمل لي أسوأ الذكريات".

رد بحزن مماثل: "أعرف".

التفتت إليه قائلة باندهاش: "هذه ثالث أعرف، ماذا تعرف عني؟ هل تعرفني من قبل؟ هل التقينا سابقًا؟".

اكتفى بأن هز رأسه بالإيجاب دون رد.

هتفت بحنق: "وهذه النعم، إجابةً لأي من الأسئلة التي طرحتها عليك؟".

ضحك قائلًا: "لكل الأسئلة التي طرحتها".

قالت بعصبية: "لكن أين؟ أنا أشعر بأني أعرفك من مكان ما، لكن لا أتذكرك البتة، متى حدث هذا؟"

اكتفى بالهمس قائلًا: "لربما التقينا في الزمان والمكان الخطأ".

قالت مسرعة: "ذكرني متى كان ذلك؟".

اكتفى بابتسامة مقتضبة وهو يقول: "ربما عندما تكفين عن الهروب ستجدين الإجابة بنفسك".

حدقت بوجهه عابسة لكنه أدار السيارة لينطلق وهو يتحدث بهدوء حذر كمن يخاطب طفلة: "والآن نعود للمهم، وسن أنا كنت

سأذهب لمقابلة أخي، هو طبيب وقد اتصلت به فطلب مني أن آخذك إليه ليفحصك، هل ستكونين بخير أم نعود؟ أنا لا أضغط عليك بشيء، أنا فقط أردت الاطمئنان أنكِ بخير خاصة وقد قلتِ إن هذه النوبات تكررت من قبل".

لوحت بيدها هاتفة باندفاع: "لم تتكرر كثيراً، فقط عندما أجهد أو أتعرض لشيء يضايقني بشدة، لكن أنا بخير".

أخفت عليه بأنها كانت تأتيها دون مسببات غالبًا حيث تنتابها أعراض بخوف غير طبيعي يتملكها حتى يكاد يزهق روحها.

همست وهي تخفض رأسها بحياء: "أشكرك على الاهتمام".

قال لها: "لا تشكريني يا وسن، لربما أنا من يجب أن يشكرك، والآن هل نذهب للاطمئنان عليكِ أم نعود؟".

غمغمت بصوت خافت: "كما تريد".

كانت تشعر بشعور غريب يجتاحها بين ذهول وامتنان وإحساس آخر لا تعرف تفسيره، اكتفت بالصمت واختلاس النظرات إليه بين الحين والآخر، كان يبدو وكأنه في عالم آخر، يقود سيارته بشرود وينظر بين الفينة والفينة في المرآة، صامت متباعد.

تجرأت وأخذت تنظر إليه من جانب وجهه تحاول أن تشحذ ذاكرتها، لماذا شكله يبدو مألوفًا لها بشدة؟ وبينما تتأمله نظر إليها فالتقت عيناهما، أشاحت بوجهها سريعًا وقد تخضب وجهها بحمرة الخجل، اكتفى هو بالابتسام على مرأى احمرارها وقد علا وجيب قلبه وطغى على صوت أنفاسه.

* * *

في المستشفى....

كانت شاحبة تتعرق راحة يديها وهي تضغطهما على بعضهما، بينما تجمعت حبات من العرق البارد على جبهتها كحبات اللؤلؤ، عيناها ترمشان باضطراب وتتلفت يمينا ويسارًا كأنها تتوقع رؤية أحد ما.

كانا بانتظار الطبيب أحمد بإحدى غرف الانتظار، أجفلت وسن فجأة على صوت ساجد وهو يهمس لها: "تبدين شاحبة، ما بكِ؟".

كانت نبضاتها تتسارع بشكل شديد وعينيها تتسعان، أمسكت صدرها كمن يعاني من إحدى النوبات القلبية تلهث وتأخذ أنفاسها بتسارع، شحوبها يزداد، ويزداد العرق البارد على جبهتها.

هتف بجزع: "وسن.. ما بكِ؟ أنتِ لا تبدين بخير".

كانت تترنح وتتشبث بالجدار كطفل يصارع الأمواج، أخذ ساجد يصرخ مناديًا على الطوارئ، أسرعت له الممرضة تسأله عما حدث، وعندما رأت حالة وسن استدعت طبيب الطوارئ بسرعة، وضعتها على كرسي متحرك وذهبت بها إلى غرفة الطوارئ.

أتى الطبيب وفحصها ثم طلب بعض الفحوصات المعملية ورسمًا للقلب، وعندما استعرض النتائج اكتفى بمط شفتيه قائلًا: "السيدة بخير، هل أتتها هذه الأعراض من قبل؟".

كانت وسن قد استعادت بعضًا من هدوئها، اكتفت بهز رأسها بنعم.

نظر الطبيب لأصابع يدها ثم سأل بحرج: "هل أنتِ متزوجة؟ أسأل فقط كي أطلب اختبارًا للحمل".

تضرج وجهها بشدة وهي تسارع للنفي، كان صوتها قد تحشرج فلم تستطع الكلام بينما اكتفى ساجد بابتسامة متألقة على مرأى احمرارها.

تطلعت نحوه بحرج فغمزها بعينيه وعلى فمه ابتسامة متفكهة، انعقد حاجباها بشدة، بينما ازداد احمرار وجنتها كأنها على وشك الانفجار.

الطبيب لم يلحظ ما يحدث بينهما وهو يسأل: "هل تستطيعين معرفة كم مرة أتتك هذه الأعراض؟ هل تكررت كثيراً من قبل؟".

ردت وسن بصوت متحشرج حذر: "ليس كثيراً الآن.. ربما مرة كل فترة متباعدة، تزيد قليلًا مع القلق والإجهاد".

استفهم الطبيب سائلًا: "قلت ليس كثيراً الآن.. هل أفهم منكِ أنها كانت تأتي بمعدل أكثر من ذلَك؟".

أومأت بالإيجاب، فاكتفى الطبيب بهز رأسه وهو يدون شيئًا ما على ملفها الموضوع أمامه على المكتب.

عندما دخل الطبيب أحمد الغرفة كان الطبيب قد انتهى من الفحص وتدوين ملاحظاته، ثم أشار برأسه لأحمد كي يتبعه خارج الغرفة، التقط أحمد الإشارة فاتبعه بصمت يليهما ساجد.

عندما أصبحوا خارج الحجرة التفت ساجد للطبيب متسائلًا بقلق: "ما بها وسن سيدي الطبيب؟".

رد الطبيب قائلًا: "أخشى بأنها تعاني نوبات من الهلع وتحتاج لإحالتها لطبيب نفسي، و..."، قاطعه ساجد بقلق متضاعف: "طبيب نفسي! هل تعاني مرضًا نفسيًا؟ هل حالتها خطرة؟".

هنا تدخل أحمد قائلًا: "اهدأ يا ساجد، دع الطبيب ينهي حواره، وردًا على سؤالك، لا ليست حالتها خطرة، ولا ليست مرضًا عقليًا كما تر يد أن تسأل، نوبات الهلع تشبه في أعراضها كثيرًا أعراض الأزمة القلبية، وتستمر أعراضها لفترة ليست بالطويلة، معها اضطراب بالتنفس، ويزداد حدوثها تبعًا للحالة النفسية للمريض، ولا تعرضه إلى أي أخطار صحية، بخلاف تزايد قلق المريض بأن يصاب بها، وانتظاره لحدوثها مما يجعله انطوائيًا نوعًا ما، هل أجبت عن أسئلتك؟".

تابع الطبيب الآخر قائلًا: "إحالتها للطبيب النفسي فقط لتقييم حالتها، وليقرر إذا ما كانت تحتاج لعلاج دوائي، أم متابعة فقط، فلا يبدو أنها قد زارت طبيبًا من قبل لمتابعة حالتها".

* * *

كانت وسن تعقد حاجبيها وقد بان على وجهها الغضب هامسة بصوت منخفض: "لا.. لست أريد زيارة طبيب نفسي، فأنا لم أجن بعد".

رد ساجد بغضب: "لا تكوني سخيفة يا وسن، هل حصلت على تعليم جامعي أم ماذا؟! لم يعد أحد يفكر بهذه الطريقة العقيمة، ولا يعتبر كل من زار طبيبًا نفسيًا مجنونًا".

ردت وسن بِغلٍ: " في عرفنا من زار طبيبًا نفسيًا فهو مجنون، ولو علم أحد من الجيران بهذا فسوف يزفونني بالحجارة، وأنا بطبيعة الحال لم أسلم منهم ومن تلميحاتهم".

تجمعت بعينيها الدموع وهي تضع يدها على وجهها وتنتحب بلحظة انهيار غير مسبوقة قائلة: "لماذا ياربي أنا من يحدث لها كل هذا؟ لماذا لا تأخذني عندك كي أرتاح؟".

غضب ساجِد من سلبيتها وانهزامها بهذا الشكل، كانت تبدو غير مستقرة نفسيًا، وكأن ما حدث معها بالماضي قد ترك بها جروحًا عميقة لم تندمل بعد.

وجد نفسه بلا إرادة منه ينهرها بعنف وهو يهتف بها: "أنتِ فعلًا مجنونة وتحتاجين مصحًا عقليًا وليس طبيبًا نفسيًا، هل تظنين أن سلبيتك تجاه نفسك هكذا سوف تحل مشاكلك؟ أنت تحتاجين أن تحبي نفسك أولًا كي يحبها من حولها، انظري لنفسكِ يا وسن، ماذا ينقصك كي تصبحي ناقمة هكذا على حياتك؟".

غمغمت بأسى وهي مازالت تخفي وجهها بيديها: "أنت لا تعرفني ولا تعلم عني شيئًا".

هادنها قائلًا: " انظري إليّ وسن وأنتِ تحدثيني، هل تريدين مني أن أشفق عليكِ، لا يا وسن، لن أشفق عليكِ، أتدرين لماذا؟".

أزالت كفيها ونظرت إليه بعينيها المحمرة بترقب، كانت تبدو مأساوية بشعرها المشعث، وأجفانها المتورمة، وأنفها المحمر، كانت عيناها تحمل تساؤلًا وكأنها تحثه على الاجابة.

سكت ساجد مليًا يتأملها، ثم تابع بهدوء حازم: "قد لا أكون أعلم عنك كل شيء ولكن ما أعلمه هو أنك فتاة شجاعة، تحدت ظروفها ونهضت على قدميها، أصبحت ناجحة في مهنتها، تحيا لترسم ابتسامة جميلة على محياها بالرغم من تحمله من أوجاع".

أخفضت عينيها بأسى وهي تقول بصوت منخفض: "أشكرك، أنت فقط لا تعرف ظروفي أو ظروف حياتي، ونجاحي في عملي ما هو إلا هروب من واقعي، لذلك كف عن التحدث عن شجاعتي وابتسامتي"، ثم نهضت وأخذت سترتها قائلة: "أشكرك مرة أخرى سيد ساجد، آسفة لأني أضعت من وقتك الكثير، أنا أستأذن سوف أعود لمنزلي، فليس لدي طاقة على إتمام عملي اليوم".

استدارت وخرجت من الغرفة، خرج خلفها ساجد هاتفًا: "وسن.. انتظري سوف أقلك لمسكنك".

حدجته وسن بنظرة غاضبة وهي تنفخ مبرطمة: "هذا ما كان ينقصني، أن يراني الجيران مع هذا الساجد"، ثم قالت بصوت أعلى قليلًا ليسمعها: "أعتذر سيد ساجد، سأركب سيارة أجرة، لا أريد أن أعطلك أكثر".

أخرج مفاتيحه وهو يتبعها قائلًا بعفوية: "لا لن أتعطل، سوف أوصلك سريعًا وأعود لعملي".

علا الحرج ملامحها وهي تتوقف مكانها قائلة: "لكن لا يصح أن توصلني لمكان سكني، لا يصح أن أركب سيارة مع غريب".

نظر إليها ساجد مليًا ثم هتف ببساطة ليزيل حرجها: "معذرة، يبدو أن سنين غربتي قد شوهت ثقافتي الشرقية، حسنًا.. سوف أوقف لكِ سيارة أجرة".

سارت خلفه مرتبكة مزعزة الفكر والمشاعر، كانت بساطته تأسرها، وشهامته تدغدغ مشاعر قد نسيتها منذ زمن، كانت تشعر بأحاسيس متضاربة لم تجربها من قبل، هل هي تلك المشاعر التي كانت تمتلكها في أحلامها منذ الصغر؟

هل تشعر أن قبسًا من النور قد غلف بعضًا من ظلامها فتوهج؟

أجفلت من صوته وهو يمازحها قائلًا: "أين ذهبتِ؟ لقد كنت أحدثك".

كادت أن تتعثر لولا أنها أمسكت في سترته بعفوية، ثم نزعت يدها سريعًا مغمغمة: "آسفة، لقد أجفلتني".

تطلع لسترته مبتسما، ثم رفع وجهه إليها وقد اتسعت ابتسامته قائلًا: "سترتي لها الشرف أن أنقذتك".

تخضبت وجنتاها بحمرة الخجل وأشاحت بوجهها صامتةً، كانت تشعر وكأن قلبها يرفرف في صدرها، كأن آلاف من شرارات الألعاب النارية قد اندفقت داخل روحها فتوهجت ودغدغت معدتها، ابتسامته كانت كالسحر الذي ألجم عقلها.

تنحنح ساجد قائلًا: "وسن.. عديني".

نظرت إليه تقاوم خجلها السابق وتسأل بهمس: "أعدك بماذا؟".

رد عليها برجاء: "عديني أنك ستهتمين بنفسك، وتزورين طبيباً نفسياَ لمتابعة حالتك، وقبل أنَ تستشيطي غضبَا كما حدث منذ قليل، أقسم لك أنك لست بمجنونة، وليس كل من زار طبيباً نفسيا بمجنون، كل ما َهنالكَ أن َتلك النوبات التي تتعرضين لها، لها سبب نفسي وسيقوم الطبيب فقط بتعريفك كيف تتغلبين عليها، هل تعديني؟".

أومأت وسن برأسها قائلةً: "أنا لست أدري ما ضرورة هذه الزيارة فأنا بخير، وقلت لك سابقًا إن هذه النوبات لا تؤثر عليّ في شيء، لكن كي أريحك، سوف أعدك، لكن عدني أنت بشيء، لا تخبر أحدًا في العمل عما حدث لي اليوم".

تطلع إليها مندهشًا وهو يهتف: "وهل تعتقدين بأنني أثرثر مع العاملين بالشركة عما يحدث معهم بالحياة، اطمئني فأنا المدير ولا أحبذ الثرثرة في غير نطاق العمل".

أحست بالخجل الفظيع من رده وتلعثمت قائلة: "أنا أقصد سكرتيرتك، إذا سألتك عن أحوالي أو... آه..."، قطعت كلامها ملوحة بيدها ثم استطردت قائلة: "عفواً.. لم أقصد، لاعليك، إني أهذي، يجب أن أرحل"، ثم انطلقت مسرعة، تسابق خطواتها، قبل أن يقرأ ما ألمّ بروحها وتغير بحالها.

* * *

الفصل الثاني

استلقت وسن على فراشها، كانت تشعر بالاستنزاف البدني والنفسي وكأن روحها قد سحقت تحت عجلات قطار مجنون.

لأول مرة منذ عامين بدأت تمر على ذاكرتها أطياف من الماضي وهي التي قد ظنت بأنها قد أحكمت إغلاق تلك النافذة العفنة الخبيثة في حياتها.

واليوم ها قد فتحت على مصراعيها، تذكرت الألم وكل عظامها تئن من ذكراه، تذكرت كيف كانت تتنهد طمعًا في شذرة من الهواء، وكيف كان فمها يملأه طعم الصدأ.

كانت ترتجف في مكانها وتنكمش على نفسها تئن وتتوجع، ياالله.. إنها ذكرى مازالت محفورة في ذاكرتها وكأنها مازالت تحياها.

أغمضت عينيها ووضعت الوسادة على رأسها تضغطها علَّ دفق الأحداث المريرة ينقطع، لكنها استمرت.

سقف أبيض يجري فوقها أم هي من كان سريرها النقال يجري بها، كانت تسمع نحيب أمها تجري بجانبها، وصوت أخيها وهو يحاول أن يمسك يديها ويناديها.

كانت ترى ملابس بيضاء تحوطها من كل جانب، وتسمع صياح الأطباء من حولها وهم يهتفون بأنها تحتاج أن تدخل غرفة العمليات الآن، كانت عيناها مفتوحة ولا تعي غير الآلام التي تنطبق على صدرها، وتلك التي تنهش أحشاءها، كانت تحاول أن

تسعل وكلما حاولت، يتطاير ذلك السائل الأحمر من فمها، أنفاسها تضيق وتتحشرج، لا تكاد تعي، وذلك الضباب يغلفها ويبتلعها كمارد عملاق حتى سقطت مستسلمة.

رنين هاتفها أيقظها، نظرت إليه بتبلد ثم أبعدته، لم تكن تريد الحديث مع أي كان، كانت تريد خلوة وعزلة لنفسها، الوحدة باتت رفيق روحها الدائم.

كانت تعرف أن هديل ستستنتج أنها مجهدة من صوتها، وسوف تأتي لزيارتها وقضاء الأمسية معها، بل وأحيانًا تنام معها في شقتها، هي لا تريد أن تتحدث الآن مع أحد، هديل ستظل تثرثر وتثرثر إلى أن تشعر بالإعياء أكثر مما تشعر، ولا توجد لديها ذرة من الطاقة للاستماع.

انقطع الرنين ثم توالى لمرة أخرى، وأخيراً صمت الهاتف، تنفست وسن الصعداء ولكن صوت رسالة أتاها، حملت هاتفها تقرأ الرسالة، كانت من هديل تسألها عمَّ ألمَّ بها في العمل، فتلك السكرتيرة الحمقاء قد تطوعت ونقلت ما حدث في مكتب المهندس ساجد إليها.

أحست وسن بوخزات من تأنيب الضمير لتجاهلها مكالمة هديل لذلك أمسكت هاتفها وأرسلت رسالة سريعة مفادها بأنها قد أصيبت بدوار لعدم تناولها الإفطار وأنها قد تحسنت الآن وسوف تذهب للنوم.

كانت تقطع على هديل كل طريق أن تأتي إليها، فبالرغم أنهما قد تقاربا في هذا العام الذي انضمت هديل إلى وسن بالعمل تحت

إشرافها، إلا أن وسن تحتفظ بحياتها الخاصة وماضيها لنفسها، لم تطلع هديل سوى على الجزء الخاص بوفاة والدتها وسفر أخيها، وجزء بسيط عن مشكلتها السابقة دون الدخول في تفاصيلها.

تقلبت وسن في سريرها كثيراً وقد جافاها النوم وعندما كادت تسقط أخيراً في متاهاته رن هاتفها، تناولته وهي نعسة وأجابت: "أنا بخير يا هديل، قلت لك لا تقلقي".

الصوت الرجولي الذي أجابها جعل جسدها ينتفض لترفع الهاتف عن أذنها تنظر إلى الرقم، الذي لم يكن مسجلًا لديها، بدهشة.

أتاها صوته العميق قائلًا بمزاح: "مع إني لست بهديل ولكن أسعدني أنك بخير".

هتفت وسن وقد طار النوم من عينيها: "من معي؟".

استمر بمزاحه: "يبدو أن النوم مازال مسلطًا على عقلك ألا تعرفين من أنا؟ أنا ساجد يا وسن".

ردت بذهول: "المهندس ساجد، عفواً لقد كنت نائمة ولم أتعرف على صوتك، من أين أتيت برقمي؟!".

قال ساجد بهدوء متجاهلًا سؤالها عن كيفية حصوله على رقمها: " أردت الاطمئنان عليكِ فقط ، وبما أنكِ كنتِ نائمة فأنا أعتذر عن إيقاظك، أرجو أن تكوني بخير".

ردت وسن بتلعثم: "أنا بخير، أشكرك".

قال ساجد: "إذا وجدت نفسك غدًا غير قادرة على الحضور للعمل فبإمكانك أخذ عطلة، والآن تصبحين على خير، عودي إلى نومك"، ثم أغلق الاتصال.

ظلت وسن تنظر لهاتفها لحظات مندهشة لاتصاله وإغلاقه الخط في وجهها دون أن يمنحها الفرصة للرد، يا إلهي.. هذا الرجل إما مجنون أو سيصيبها هي بالجنون.

* * *

في الصباح كانت وسن تنظر لوجهها بالمرآة وتعبس، فمنظر عينيها رهيب بكل تلك الظلال التي تحوطها ووجها الشاحب، كانت لا تريد البقاء في المنزل، البقاء وحيدة يعني المزيد من التعاسة لها.

غسلت وجهها بالماء البارد ووضعت منشفة مبللة حول عينيها لفترة، ثم ارتدت ملابسها ونثرت بعضًا من البودر حول عينيها لتخفي تلك الهالات البشعة، كانت لا تريد أن تحوم من حولها الأسئلة، خاصة بعد ما حدث يوم أمس وتطوعت تلك السكرتيرة الثرثارة ونقلته لزملائها.

كانت هديل تنتظرها على باب الشركة كعادتها أغلب الأيام، ما إن رأتها حتى أمسكت كتفيها بقلق هاتفة: "هل أنتِ بخير حقًا؟ لقد قلقت عليكِ جدًا، ولولا إنكِ رددتِ عليّ لكنت قدمت إليكِ".

ابتسمت وسن لتقول بتعب: "أنا بخير يا هديل، صدقيني، فقط الإرهاق وعدم تناول الطعام أثرا بي".

ركبتا المصعد بينما هتفت هديل بحنق: "أنتِ تقتلين نفسك يا وسن في العمل ولا تهتمين بها، أخبريني لماذا؟".

ردت وسن بلا مبالاة: "أنا أحب عملي، أنسى نفسي عندما أندمج به".

عبست هديل قائلة: "أنت مريضة بالعمل يا وسن، لابد أن يكون لك حياة اجتماعية يا فتاة، ألا تخرجين أبدًا من بيتك؟".

ردت وسن بهدوء: "فقط معك للتسوق، وعندما أريد أن أشتري ما يحتاجه المنزل من متطلبات".

نظرت لها هديل بغضب: "وهل تسمين تلك حياة اجتماعية؟ ياإلهي.. سوف تقتلينني بهذه العقلية، ألا توجد لديك صديقات غيري تخرجن معًا للترفيه؟".

اكتفت وسن بهز كتفيها للنفي وهي تنظر لهديل بابتسامة باهتة، تنهدت هديل في أسى قائلة: "حسنًا يا فتاة، لقد أشفقت عليك جدًا وأريد أن أريك كيف هي الحياة على هذا الكوكب، اليوم سوف تخرجين معي للتسوق وسوف نذهب لمكان ما ونتناول وجبة غداء كأي إنسي يحترم نفسه ويريد أن يعيش".

اكتفت وسن بمط شفتيها وهي تخرج من المصعد قائلةً: "دعي المخططات لما بعد العمل، فأنا خلفي أكوام من العمل تنتظرني".

ثم سبقت هديل في خطواتها قبل أن تعترض لتجلس على مكتبها وتباشر ببدء أعمالها المتراكمة.

وبينما تتابع المراسلات على إيميلها زفرت باستياء، عليها أن تذهب لتتابع ما تبقى من الأعمال النهائية كي تستطيع تسليم الفيلا لصاحبها.

نهضت وسحبت معطفها لترتديه ثم أحكمت لف وشاحها على رقبتها، نظرت لها هديل باندهاش قائلةً: "أين تذهبين يا وسن؟".

تنهدت وسن بتعب قائلة: "لقد اتصل بي رئيس العمال ليخبرني بأنهم قد قاربوا على الانتهاء، لذا لابد أن أذهب لمتابعة العمل وتسلم الفيلا منهم قبل أن يفروا ولا أجدهم، وأنتِ خير من يعلم كيف يتهربون".

ردت هديل بغيظ: "بل أنتِ من تتهربين من موعدنا أليس كذلك؟".

هزت وسن رأسها لتنفي الاتهام عن نفسها قائلة: "أبدًا يا هديل، أقسم لكِ إني لست أتهرب، ولكي أثبت لكِ صدق كلامي أعدكِ إن لم أذهب معك اليوم سأعوضكِ يومًا آخر".

نفخت هديل بشفتيها في حنق وهي تقول: "حسنًا.. سأصدقك".

ثم لوحت بإصبعها مهددة: "ولكن إذا خدعتِني سأخاصمكِ ولن أكلمكِ أبدًا أبدًا".

ضحكت وسن تمازحها: " حسنًا أيتها الطفلة الكبيرة، لن أتهرب منكِ لا تقلقي".

خرجت من المكتب مبتسمة لتصرفات هديل الطفولية والتي لا تليق بعمرها، لكنها تليق بشخصها، فتاة وحيدة مدللة والديها، نظرتها للحياة بسيطة كبساطة شخصيتها.

وبينما هي شاردة في أفكارها تنتظر وصول المصعد، سمعت صوتًا رجوليًا مألوفًا دغدغ أذنيها وأطلق فراشات في معدتها، التفتت تنظر لصاحبه، كان يقف بالقرب من المصعد يتحدث مع أحد المهندسين ويبدو وكأنه كان بطريقه للمصعد هو الآخر، كان ينظر إليها بجانب عينه وهو يتحدث.

تلاقت عيناهما فاستدارت مسرعة لتدخل المصعد الذي وصل وهي تبتهل لله ألا يدخل معها، لكن رجاءها خاب وهي ترى مقدمة حذائه قد مدت داخل المصعد قبل أن يقفل أبوابه.

- "مساء الخير يا وسن"، قالها بابتسامة جذابة.

لم تتطلع إليه، قالت وهي تطرق أرضًا: "مساء الخير مهندس ساجد".

سألها: "كيف حالك الآن؟ هل أصبحت بخير؟".

أومأت برأسها بينما ترد بخفوت: "نعم.. أفضل والحمد لله، شكرًا لسؤالك".

صمت قليلًا ثم قال: "أين تذهبين في هذا الوقت، هل أخذتِ إذنًا مبكرًا للعودة إلى منزلك؟".

رفعت رأسها لأول مرة تنظر إليه بدهشة لتقول نافية: "لا.. لن أعود إلى لمنزل، إني ذاهبة لأتسلم العمل من المنفذين قبل أن أسلِّم الفيلا لصاحبها".

تجعدت ملامحه بالغضب حتى ظنت بأنها قد قالت شيئًا خاطئًا لكنه لم يتكلم، اكتفى بالتحديق أمامه وقد احتفظت ملامحه بذلك الغضب المتفجر.

التزمت وسن الصمت هي الأخرى حتى وصل المصعد للدور الأرضي، خرجت بصمت يتبعها ساجد حتى وصلت لسيارتها، وعندما فتحت باب سيارتها فوجئت بساجد يفتح الباب الآخر ليدلف إليها، نظرت له بدهشة قائلة: "عفوا، ماذا تفعل؟".

اكتفى بأن رد باقتضاب: "سوف أذهب معكِ، أريد أن أطمئن على سير العمل وأعرف كيف هي تصاميمك".

ردت باندهاش: "لكن أنا لم أسمح لك بأن تركب... ."

قاطعها قائلًا باستفزاز: "إلا إذا كنتِ ذاهبة لمكان آخر وتستخدمين العمل كغطاء فقط للتهرب من مسؤولياتك".

ردت بحنق: "كيف تقول ذلك، أنا لا أتهرب من عملي أبدًا مهندس ساجد، وإن كنت تشك في مصداقيتي فبإمكانك التحدث لمديري السابق، وحينها ستعرف من هي وسن".

كور شفتيه بلا مبالاة ثم قال: "ومن هي وسن؟ وقبل أن تجيبي على سؤالي أحب أن أخبرك إني لا أحكم على عمل أحد إلا من منظوري الشخصي، لذلك لن أسأل مديرك السابق، يكفيني أن أرى تصاميمك بنفسي حتى أقيِّمك، والآن أخبريني من هي وسن؟".

كانت تغلي غضبًا وتجاهد للتحكم في غضبها كي لا تصبه على جام رأسه.

ردت بغضب متهكم: "لا يهم أن أرد، فبإمكانك أن تعرف من لمحاتك الذكية ونظراتك الفذة من هي أنا"، ثم انطلقت بسيارتها بعنف والإطارت تصدر صريرًا قويًا وكأنها تئن من قوة الغضب التي تصبه عليها وسن.

* * *

عندما أنهت وسن تسلم الفيلا من المنفذين عادت لسيارتها، لكن ساجد تأخر باللحاق بها، أطلقت نفير السيارة مرتين متتاليتين وهي تزفر بضيق لتعجل بحضوره.

مرت عدة دقائق قبل أن يُفتح الباب بجانبها ليركب ساجد قائلًا: "معذرة لتأخري، لم أقاوم بالصعود للأدوار العلوية لرؤية باقي الفيلا، وخاصة بهذا الطراز المتفرد ببصمتك المميزة، لقد أعجبني جدًا استخدامك للزخرفة الإسلامية والتراث العربي في تصميمك".

نظرت له وسن بجانب عينيها وهي ترد: "أشكرك، إنه شيء بسيط مما أملكه".

نظر لها بدهشة وقد لاح على ثغره شبح ابتسامة ليقول بسخرية مبطنة: "ياللغرور! لم أقابل أحدًا من قبل يثق في عمله لهذه الدرجة".

ردت وسن دون أن تنظر إليه: "إنه ليس غرورًا، أنت قلتها بنفسك، إنها الثقة فقط، هذا ما أدين به لنفسي، أن أمنحها تميزًا ما".

رد ساجد بتعجب: "تميزينها بالعمل فقط، أم تميزينها بما تملكينه في الحياة؟".

ردت ببساطة: " أنا لا أملك شيئًا أقدمه لها سوى نجاحي في عملي، هذا ما أملكه ولذلك هذا ما أستطيع إهدائه لنفسي".

ظل ساجد ينظر إليها بصمت للحظات ثم سألها مباغتًا: "ماذا حدث لك ليجعلك هكذا؟".

ردت وسن وهي تتصنع اللامبالاة: "هكذا ماذا؟".

أجابها ساجد: "سلبية، تكرهين نفسك حد امتهانها، انطوائية تكادين تتخفين ممن حولك حتى ليظن الناظر للحظات بأنك قد ارتكبتِ جريمة بالرغم من إنكِ كنتِ الضحية ولستِ الجانية".

اهتزت عجلة القيادة في يدها للحظات ثم سرعان ما استعادت سيطرتها على المقود وهي تعبس قائلةً: "هل يمكنني سؤالك؟".

هز رأسه بالإيجاب وهو يرد: "تفضلي سلي ما تريدين، ولكن لن أجيب إلا إذا أعجبني السؤال".

رفعت حاجبيها بتهكم قائلةً: "وهل إذا سألتك من أين تعرفني ستجيب؟".

تبسم بغموض قائلًا: "سوف أترك إجابة هذا السؤال لما بعد، والآن هل من سؤال آخر؟".

هزأت وسن قائلةً: "وكأنك ستجيب، أعتقد أنك مستمتع بهذه اللعبة".

رد ساجد: "أي لعبة تقصدين؟".

أشارت إليه وسن بكفها: "لعبة احزري وأنا لن أجيب، أليس كذلك؟".

مط شفتيه بتكاسل وهو يقول: "جربي.. لن تخسري شيئًا".

رفعت حاجبيها بتحدي قائلةً: "إذن أخبرني، ماذا تعرف عن حياتي؟".

رد ساجد بتباطؤ: "أغلبها".

شهقت غير مصدقة: "أغلبها!! مثل ماذا؟ أخبرني أي شيء لأصدقك".

رد بعدم اكتراث: "أخشى أن ما أعرفه لن يعجبك".

طال صمته ولم يتكلم، نظرت إليه وسن باستفهام تحثه على الكلام وعندما لم ينطق بكلمة هتفت: "أخبرني ما تعرف عني، أنت تتبجح بأنك تعرفني وترمي طوال الوقت بعضًا من الكلمات توحي بأنك تعرف الكثير، لكن هكذا يبدو أنك لا تعرف سوى ما يعرفه الجميع".

رد ساجد ببطء: "وهل هناك ما تخفينه؟".

أسرعت بالنفي هاتفةً: "لا، ليس لدي ما أخفيه".

هز رأسه موافقًا ليغمغم: "هذا أفضل".

كانا قد وصلا إلى مقر الشركة، ترجل ساجد من السيارة وأغلق الباب، ثم مال من النافذة ناظراً إليها: "حينما تكفين عن الهروب يا وسن وتطوين تلك الصفحة القميئة، ستعرفين حينها إنني على حق وأنك تبخسين نفسك قدرها وحينها لربما تذكرتني".

ثم استقام وأدار ظهره لها وذهب.

غصت وسن في ريقها، لم تستطع الكلام، كانت تريد أن تسأله من هو، وماذا يعرف عن تلك الصفحة القميئة من حياتها؟ لكنه لم يعطها الفرصة لتتمالك نفسها وتسأل.

كان قد سبقها ورحل.

* * *

خلعت وسن نظارتها لتفرك عينيها ووجهها بيديها، كانت تشعر بالإرهاق أثناء تفحص بعض التصاميم على حاسوبها النقال، فمنذ أسبوعين تسلمت ملحق الفيلا والذي سبق ورشحها السيد عدنان لتشرف على إعادة تصميم ديكوراته، ومنذ ذلك الوقت لم تنجز إلا القليل.

كانت السيدة ليلى وهدان صعبة الإرضاء، تتدخل في كل جزء برأيها، وتتابع العمل وكأنها من تشرف على العمال، كانت سيدة أرستقراطية أنيقة جميلة المحيا يعكر صفو جمالها نظراتها الحادة، ومزاجها المتقلب، تراقب ما يدور حولها كالصقر ولا تغفل أي من التفاصيل، انتقائية لأبعد الحدود، وهذا ما كاد أن يجنن وسن، فهي اعتادت أن تأخذ فكرة عن التصميم الذي يريده العميل ثم تطلق العنان لذوقها لتخرج أروع ما به.

أما السيدة ليلى فكانت تسير بمبدأ خُلقنا لنعترض، كانت وسن في قرارة نفسها تريد أن تنتهي من هذا العمل بأسرع وقت، فلو استمر الحال هكذا لأسبوعين آخرين فقد تقرر أن تنتحر وتريح نفسها من هذا العالم بأسره.

وضعت جهازها جانبًا وقامت لتصنع لنفسها فنجانًا من القهوة علَّ إرهاقها يزول.

وبينما كانت في المطبخ سمعت رنين جرس الباب، عقدت حاجبيها بينما تنظر للساعة الجدارية وتغمغم لنفسها بإرهاق: "من الطارق في هذا الوقت؟".

كانت الساعة قد قاربت التاسعة صباحًا في يوم العطلة الرسمية من العمل، وضعت مئزرها على كتفيها، ثم ذهبت إلى الباب لتسأل: "من الطارق؟".

أتاها صوت رجولي غليظ لم تتعرف عليه قائلًا: "هل هذه شقة المهندسة وسن؟".

كانت تنظر من العين السحرية للباب كانت هيئة الرجل تبدو مألوفة لها، ومع ذلك لم تفتح الباب واكتفت

بالإجابة: "نعم.. من يريدها؟".

رد الرجل قائلًا ملوحًا بمظروف يحمله: "معي طرد لها".

عدلت مئزرها وضمته إلى صدرها لتفتح الباب وتنظر من خلفه بحذر، طالعتها الهيئة الثمينة لرجل في منتصف العقد الخامس من العمر يحمل مغلفًا ورقيًا في يده وينظر لها بابتسامة متكلفة.

لم ترتح لنظراته لكنها تذكرت أنها رأته مرات عديدة في مدخل فيلا وهدان التي تعمل بها.

نظرت إليه قائلة بلهجة عملية: "هل أنت مُرسل من قِبل السيدة ليلى؟".

اكتفى بالإيماء برأسه ولم يرد محتفظًا بتلك الابتسامة اللزجة على شفتيه.

عادت تسأل بنفس النبرة: "هل هناك ما يمكن أن أخدمك به؟".

رفع حاجبيه باستهجان قائلًا: "هل سنتحدث عند الباب، أين حسن الضيافة؟".

ردت وسن بصلابة: "معذرة، لكن لا أستطيع إدخالك إلى الشقة فأنا لوحدي".

تطلعت بقلق لشقة السيدة سهام جارتها التي تقطن أمامها، كانت تخشى أن تراها تكلم رجلًا غريبًا فتنشر

الأقاويل كعادتها في الثرثرة وإضافة الرتوش للأحداث.

قاطع أفكارها الرجل قائلًا بتذمر: "هذه ليست بمعاملة، سوف أشكوكِ لعدنان".

قالت باستفهام: "عدنان؟ أنت تقصد السيد عدنان صاحب الشركة التي أعمل بها؟ حسنًا.. لم نتعرف، هلّا أخبرتني مع من أتحدث؟".

رد الرجل بصلف وخيلاء: "أنا السيد كامل وهدان".

فغرت فاها قائلة: "أنت زوج السيدة ليلى؟".

رد ونبرة الغرور تتعالى في صوته: "بل هي زوجتي يا فتاة، أحسني انتقاء الكلمات".

غمغمت بحرج معتذرة ولا تدري علام تعتذر، هذا الرجل أثار بداخلها مشاعر الاستياء والازدراء وقليل من الخوف لا تدري سببه.

قال الرجل بصلف: "والآن وقد علمتِ من أنا، هل سنتحدث بالداخل؟".

هزت رأسها بالرفض قائلة بلباقة: "آسفة، كنت في طريقي لتناول القهوة في مقهى قريب، هل تريد أن تتناولها معي هناك؟".

نظر لها الرجل نظرة تقييمية قائلًا بابتسامة صفراء: "حسنًا.. لا أمانع".

قالت وسن بهدوء بينما تغلق باب شقتها أمامه: "أعتذر منك، عليك أن تنتظرني بالأسفل ريثما أستعد للذهاب".

ظل الرجل ينظر لباب الشقة المغلق لحظات وهو يفكر وسرعان ما اتسعت ابتسامته هامسًا لنفسه بجذل: "صعبة المنال، يا له من تحد".

ثم استدار ونزل الدرجات القليلة للبناية لينتظرها في سيارته.

* * *

كانت وسن حائرة، ماذا يريد منها هذا الرجل؟ فهي لم تتعامل معه من قبل، وجزء العمل الذي تقوم به لا يخصه بشيء، هذا ما فهمته من السيدة ليلى بأنها تعيد تغيير تصميم الملحق ليناسب ابنها الذي سيتزوج به وقد أوكلها ابنها بكل شيء.

حملت جهاز حاسوبها النقال معها فلربما كان يريد استعراض التصاميم والمشاركة بها، ثم أغلقت باب شقتها ونزلت.

وجدت السيد كامل يجلس في سيارة فخمة يقودها سائق، لوح لها بيده لتركب معه لكنها اعتذرت بلباقة بأن لديها موعدًا ما بعد اجتماعهما وسوف تذهب إليه بسيارتها، ثم أسرعت إلى سيارتها لتركبها قاطعة عليه الطريق ليعترض وأشارت إلى السائق ليتبعها.

دلفا إلى المقهى الخالي من الزبائن في هذا التوقيت، اختارت مائدة في أحد الأركان وأشارت للنادل ليحضر لها فنجانًا من القهوة

عوضًا عن ذاك الذي لم تشربه، طلب السيد المترفع أيضًا فنجانًا من القهوة.

انتظرت وسن حتى ذهب النادل ثم رفعت رأسها لتنظر له قائلةً بتوجس: "هل هناك خطًا بالعمل؟ هل السيدة ليلى من أرسلتك؟".

عقد حاجبيه بضيق ليقول: "السيدة ليلى لا تعلم عن زيارتي لكِ ونعم هناك خطأ ما، أريد أن أرى التصاميم التي اختارتها زوجتي المصون وبخلت عليّ بالمشاركة بها".

ردت وسن بحرج لإقحامها بمشاكلهما العائلية: "أنا أحضرت جهازي معي ومعي تصور مبدأي بالتصميم ثلاثي الأبعاد نفذته بنفسي، لكن هناك بعض التعديلات كنت أعمل عليها".

رد بسخرية: "طبعًا، فليلى خاصتي صعبة الإرضاء ومتطلبة قليلًا".

صمتت وسن ولم تعقب، كانت تتظاهر بالانهماك في تشغيل جهازها وإظهار التصاميم شاعرةً بالحرج لوضعها في هذا الموقف، فهي لم تعتد على التدخل فيما لا يخصها ولا تدري ما هو التصرف الأمثل في موقفها هذا.

كانت تعلم أن السيدة ليلى هي المسئولة، لكنها منعًا للحرج قررت أن تساير السيد كامل وتريه التصاميم، كانت تأمل بأنه لن يتدخل ويغير ما أرادته زوجته.

أدارت جهازها النقال له وهي تشرح بإيجاز ما هو موجود وما سوف يتم تعديله بناء على رغبة زوجته، كان صامتا، نظراته لاهيةً قليلًا وكأنه لا يهتم، وعندما انتهت من شرحها مط شفتيه بلا مبالاة

ليقول: "عظيم.. رائع، ليلى بالرغم من كل مساوئها إلا أني أشهد لها بحسن الذوق والأناقة".

ابتسمت وسن مجاملة له، ثم رفعت عينيها إليه متسائلة: "هل تريد أن تضيف أي تعديلات؟ يمكنني أن أغير ما تريد قبل بداية العمل الفعلي".

لوح بيديه بعدم اكتراث وهو يقول: "لا.. لتفعلي ما ترينه مناسب، أنا أعطيك كل الصلاحيات لتنفيذ ما تريدينه حتى لو اعترضت ليلى".

هزت رأسها بحرج قائلة: "أشكرك، نحن نتفق أنا والسيدة ليلى في بعض الأراء وسوف يعجبك التنفيذ في النهاية كما آمل".

هز رأسه قائلًا: "إنه يعجبني منذ الآن".

كانت نظراته تجول بحرية على أنحاء جسدها في إيحاء سافر بمعنى كلماته، احتقن وجهها وهمت بالنهوض قائلةً: "إذن انتهى اللقاء سيدي".

قاطعها بكفه وهو يدفع المغلف الورقي نحوها عبر الطاولة قائلًا: "لم ينته اللقاء، لقد بدأ يا مهندسة".

استقرت في مجلسها مرة أخرى وهي تنظر باستفهام نحو المغلف قائلة: "ما هذا؟".

رد وعلى شفتيه ابتسامة عابثة: "إنه عربون بداية الخدمة، افتحيه".

رفضت النظر إليه وهي تنهض قائلة بهدوء: "يبدو إنك قد أخطأت فهم طريقة العمل، فأنا لا أتلقى مبالغ مالية يا سيدي، النقود تحول لحساب الشركة التي أعمل بها".

قهقه بصوت عالٍ ليقول بعدها: "عدنان لن يمانع، فهو يعلم كرمي الزائد، إنها إكرامية لكِ".

ردت ببرود: "إذن أنا أشكرك وأخبرك إني لا أقبل أي أموال خارج راتبي، يمكنك الاحتفاظ بها ودفعها للعمال فهم من يستحقون النقود".

ثم أمالت رأسها لتحدجه بنظرة رادعة قائلة: "أعتذر منك فلدي مشاريع أخرى أقضي بها نهاري".

استدارت وغادرت تاركة إياه وحيدًا مفكرًا وعلى وجهه ارتسم وجه شيطان.

* * *

كانت وسن تشعر بالضيق بعد أن غادرت المقهى، فذلك الحوار المبتذل بتلميحات السيد كامل أثار استيائها وغضبها.

أمسكت هاتفها وطلبت رقم هديل، رنين ثم انقطع الاتصال، زفرت وسن في حنق وعندما همت بوضع الهاتف في حقيبتها علا صوت رنينه، كانت هديل من تتصل، وضعت وسن الهاتف على أذنيها تقول بتذمر: "أين كنتِ يا كسولة، هل مازلتِ نائمة؟".

أجابت هديل بمرح: "هل هذا يوم سعدي؟ وسن هانم تحدثني صباحًا وتطمئن علي".

زفرت وسن ثم أجابت: "آسفة إذا كنت قد أزعجتك، أشعر بالضيق قليلًا ففكرت أن أتحدث إليك".

ردت هديل باهتمام: "ماذا حدث، هل أنتِ بالخارج؟".

أجابت وسن: "نعم.. أنا بالخارج، لقد قابلت أحد العملاء بالمقهى القريب من شقتي ولا أريد العودة للشقة الآن".

أجابتها هديل بحماس: "حسنًا ما رأيك أن تأتي لزيارتي؟ فوالدي غير موجود ووالدتي ستقضي نهارها عند خالتي".

قالت وسن ببطء وتخاذل: "لا أريد أن أفسد لكِ خطط يوم عطلتك".

هتفت هديل باحتجاج ضاحك: "أي خطط؟! إذا كنتِ تعتبرين مشاهدة التلفاز والعبث على الهاتف من ضمن خطط العطلة فسأكون شاكرة لكِ إفساد خططي".

صمتت وسن مليًا تفكر، لكن هديل لم تعطها الفرصة إذ سرعان ما هتفت: " هيا يا وسن، لا تفكري كثيرًا، لقد أرسلك الله لإنقاذي، هل تريدين لي التعفن أمام البرامج التافهة التي تُعرض على التلفاز؟

أدرات وسن محرك سيارتها بينما تقول: "حسنًا أنا قادمة، هل تناولتِ الإفطار؟".

أجابتها هديل بحماس: "لا مانع من تناوله معك مرة أخرى، هذا إذا كنتِ ستحضرين لي شطائر الفلافل اللذيذة التي تغرينني بها".

ضحت وسن قائلةً باعتراض: "وهل نسيتِ نظامك الصحي في الطعام؟".

أجابت هديل مسرعة: "وهل هناك صحي أكثر من طعم الفلافل اللذيذة والتي تشبع العقل والروح قبل المعدة؟".

ضجت وسن بالضحك هاتفة: "حسنًا يا منعدمة الضمير، تتلونين حسب قائمة الطعام".

اعترضت هديل قائلةً: "فقط حين أسمع كلمة فلافل السحرية، أنسى كل قيمي ومبادئي".

أغلقت وسن الخط وهي تضحك على مزاح هديل، كانت فتاة سحرية قادرة على تحويل مزاج وسن العكر إلى النقيض في غضون دقائق.

قادت سيارتها تجاه المحل المفضل لها للشطائر، ولم تلحظ تلك السيارة التي تتبعها في خفاء!

* * *

قارب النهار على الانتهاء، كانت وسن مستلقية على فراش هديل باسترخاء تتابعها تكمل ارتداء

ملابسها لتخرجا معًا إلى الشارع، كانت هديل قد اقترحت على وسن النزول لتناول العشاء بالخارج بعد أن ملتا من الجلوس بالمنزل وخاصة أن والدة هديل أجرت مكالمة هاتفية لها تخبرها بأن خالتها متوعكة

قليلًا وسوف تبقى معها حتى وقت متأخر، كما أن والدها لن يعود باكرًا بأي حال.

كانت هديل قد بدأت بارتداء حذائها حين التفتت لوسن هاتفة: "إياكِ أن تنامي".

ردت وسن بتكاسل: "أشعر فعلًا بالنعاس، هل يمكننا تأجيل الخروج ليوم آخر؟".

مالت عليها هديل واضعة يدها في خصرها: "لا يا كسولة، لي في رقبتك نزهة قد ألغيتها سابقًا، لن أتنازل الآن وأشفق عليكِ، هيا لنذهب".

نهضت وسن بتكاسل، كان نهارها ممتعًا مع هديل، لم تكف عن الضحك حتى بعد أن أخبرت هديل بما حدث مع السيد كامل، استطاعت هديل أن تحول الجو الدرامي الذي أنشأته وسن إلى فكاهة وضحك بنكاتها وغمزاتها على السيد متحذلق كما أسمته وزوجته المستبدة كثنائي متكافئ.

دخلت إلى الحمام لتغمر وجهها بالماء البارد حتى تستفيق، عدلت هندامها وصففت شعرها، ثم خرجت لتجد هديل تنتظرها.

ركبت وسن السيارة وأدارت محركها ثم التفتت نحو هديل التي احتلت المقعد المجاور قائلةً: "والآن إلى أين؟".

هزت كتفيها بلا مبالاة قائلة: "لا أدري، قرري أنتِ".

غمزتها وسن قائلةً: "حسنًا، لا تتذمري فيما بعد من اختياري".

انطلقت بسيارتها نحو مطعم شهير من ضمن سلسلة مطاعم معروفة، كانت تحتاج إلى كسر دائرة روتين حياتها وقد كان خروجها الليلة مرة من المرات النادرة التي استسلمت لتلك الرغبة بالتحرر من الملل.

* * *

المطعم كان مزدحمًا كعادته في المرات القليلة التي زارته بها، لكن وسن اختارت أن تجلس في الساحة الخارجية بجوار حمام السباحة، كان المكان أكثر برودة من الداخل، لكنه يكاد يكون فارغًا وهو ما أمنَّ لوسن راحة البال، فهي لا تطيق الازدحام.

كانت هديل تنفخ كفيها بينما تقول لوسن: "بماذا أدعو عليكِ، هل هذا ما تفتق عنه ذهنك الحاضر، أن نجلس في الصقيع".

ردت وسن بسماجة: "أنتِ من تركتِ لي حرية الاختيار، ثم إن المكان بالداخل مزدحم جدًا، ولا تبالغي
فالجو هنا ليس باردًا كما تدَّعين".

مطت هديل شفتيها بتحسر: "ياليتني ما طلبت منك الاختيار، ما به المركز التجاري القريب من منزلي؟ كان الجو أدفأ ألف مرة عن هنا، هيا اطلبي لنا من النادل أن يحضر ما اخترناه من الطعام لعلنا نأكل فندفأ قليلًا".

ضحكت وسن ممازحة: "حسنًا يا طفلة، المرة القادمة سوف آخذك إلى مدينة الألعاب ربما تكفين عن تذمرك".

ثم أشارت بيدها نحو النادل ليأتي إليهما بما اختارتاه لتناول العشاء.

* * *

مر العشاء بين مزحات هديل وضحكات وسن التي كادت أن تغص بالطعام أكثر من مرة بسبب ضحكاتها.

وعندما انتهت الفتاتان من تناول الطعام نهضت وسن لتذهب إلى الحمام، وقبل أن تذهب طلبت من هديل أن تطلب لها فنجانًا من القهوة بالحليب والبندق.

سارت في طريقها دون أن تلحظ زوجًا من الأعين الرمادية تتابعها باهتمام وترقب.

دلفت وسن إلى المرحاض وعندما خرجت منه وقفت أمام المرآة، كانت تغسل يديها بينما تنظر إلى وجهها، بدا متألقًا على غير عادته، عيناها تلتمعان بسعادة، يبدو أن جو المرح الذي أشاعته هديل من حولها قد تغلغل إلى روحها وكسر بعضًا من الجليد المحيط بها فتألق وجهها بالبشر.

عدة رنات متتالية أخرجتها من تأملاتها لتنظر لهاتفها الذي كانت قد وضعته بجوار المغسلة ريثما تغسل يديها، ينبهها بوصول عدة رسائل إلى بريدها الإلكتروني.

جففت يديها وخرجت، كانت تنظر في رسائلها باهتمام.

كادت أن تصطدم بجسد أحدهم، غمغمت معتذرة وهي مازالت منشغلة بتفحص رسائلها وعندما مالت لتمر إلى اليمين فوجئت بأن جسده قد تحرك في نفس اتجاهها ليفسح لها الطريق.

رفعت وجهها مبتسمة لتعتذر، لكن ابتسامتها تجمدت وهي تنظر لتلك العينان الرماديتان الداكنتان في

الإضاءة الخافتة فبدت وكأنها بحر عاصف في ظلمات الليل.

هتفت غير مصدقة: "المهندس ساجد! ماذا تفعل هنا؟".

ابتسم بسخرية قائلًا: "مؤكد أتناول الطعام، فيبدو أن هذا المكان يحمل اسم مطعم".

أظلم وجهها وهي ترد: "عفوًا.. ينتابني أحيانًا بعض الغباء في لا منطقية السؤال".

رد ممازحًا: "لا تلمي نفسك، لكلٍ منا غباؤه".

ثم مال برأسه قليلًا مشيراً إلى الخارج قائلًا: "معك صديقتك من الشركة، أليس كذلك؟".

أومأت برأسها مجيبة: "نعم.. إنها هديل تعمل معي في المكتب، هل تجلس بالخارج؟".

قال بتفكه: "نعم".

كانت تشعر باضطراب غير مبرر لمشاعرها فسارعت لتغادر قائلة: "حسنًا، يسعدني لقاؤك، سوف أذهب كي لا أتأخر على صديقتي".

استدارت لتبتعد عنه، لكنها سمعته يناديها بخفوت: "وسن".

التفتت إليه مجيبة: "نعم!!".

قال بهدوء وبصوت حنون: "ضحكاتك أسعدتني، عليكِ بالخروج كثيراً مع صديقتك تلك؛ إذ يبدو أنها قادرة على إسعادك".

ثم أردف بتحذير وقد تغيرت نبرته لصوت أجش: "لكن أخفضي صوت ضحكاتك، فليس من اللائق الضحك بصوت عالٍ حيث تلفتين الأنظار إليكِ".

تطلعت له مندهشة من تدخله في أمورها، استفزها لتهتف به: "وما شأنك أنت؟"، إلا إنها قررت عدم الجدال واكتفت بأن قالت بضيق: "حسنًا سأترك المكان بأكمله وأذهب، إلى اللقاء".

واستدارت مسرعة خارجة من المكان.

* * *

كانت هديل تجلس على مائدتها تنظر باهتمام إلى مائدة خلف مقعد وسن، وعندما لمحت وسن قادمة هتفت بمرح: "ها قد أتت الآنسة، لقد بردت القهوة يا فتاة".

غمغمت وسن بضيق: "لا يهم، هيا لنغادر".

عبست هديل قائلة: "ولم؟ أنا أستمتع بالجلوس هنا".

ثم ألقت نظرة من خلف كتف وسن بينما ترفع حاجبيها هاتفة: "أليس هذا المهندس ساجد؟ ومن هذا الوسيم الذي يجلس معه؟".

ثم ألقت نظرة نحو وسن وقد التمعت عينيها بمعرفة متأخرة: "آآآه، لهذا تريدين الرحيل؟ أخبريني يا وسن، هل ضايقك؟".

مطت وسن شفتيها متصنعة عدم الاكتراث: "من ضايقني؟ السيد المدير! لا بالطبع، فأنا لم أره، هل هو خلفنا؟".

لقد أردت الرحيل فقط قبل أن يتأخر الوقت، فلدي أعمال لم تنته بعد.

ردت هديل بمرح: "أعمالك لا تنتهي أبدًا يا فتاة، هوني على نفسك وخذي يومك عطلة لوجه الله".

قامت وسن من مقعدها متهربة من إجابة هديل ولتقل بسماجة: "إذن سوف أذهب للنوم، هيا، دعينا لا نتأخر أكثر من ذلك".

نهضت هديل تهز رأسها بتبرم هاتفة: "أنتِ نكدة يا وسن، في لحظة تكوني سعيدة، وفي ثانية تحولين لحظاتك السعيدة إلى كئيبة، له الله".

اعترضت وسن قائلة بتبرم: "عمن تتحدثين؟".

أشارت هديل للنادل لكي يأتيهم بالحساب بينما تكمل بغيظ: "تعيس الحظ ، من دعت عليه الوالدة أن يسقط في طريقه جرة من النكد، وقبل أن تستفهمي عن هويتها، سأخبرك بأنها أنتِ".

ضحكت منها وسن ساخرة: "هديل، ألا يشغل عقلك سوى هذه الترهات؟ الزواج ليس كل شيء بالحياة، هناك ما هو أهم من ذلك".

اعترضت هديل هازئة: "مثل ماذا يا سيدة الاجتماعيات؟ أنتِ لا تعرفين من الحياة سوى شيئين، العمل ثم العمل".

جاء النادل يحمل فاتورة الحساب فقطع حديثهما، أخرجت وسن النقود من محفظتها ودفعتها للنادل، ثم حملت حقيبتها مغادرة تتبعها هديل وقد عادت لتستأنف الحديث: "ومن قال لكِ أن الزواج شيء بغيض، هل جربته كي تحكمي عليه؟".

عبست وسن في تجهم، ولكن هديل التي لم تلحظ تغير ملامح وسن أردفت بهيام: "ما أجمل أن تقعي في الحب وتُعشقين من قبل فارس الأحلام المنتظر!".

لكزتها وسن بحرج فقد كانتا تمران بجوار مائدة ساجد ورفيقه اللذان رفعا أعينهما ينظران إليهما وهما تمران.

ارتسمت على وجه ساجد ابتسامة عابثة رمق بها هديل، ثم انتقلت نظراته لوسن وتوقفت عندها، بينما ظل رفيقه رافعًا حاجبيه وهو ينظر لهديل بدهشة، كان يبدو وكأنه ينظر لكائن مختلف من الفضاء الخارجي.

نظرت هديل لوسن عابسة جراء لكزتها، ولما رأت اتجاه نظراتها أدارت رأسها، وفي ثانية كانت قد تحول وجهها من العبوس إلى الإحراج، عندما لمحت نظرة الصديق المندهشة المحدقة بها.

أسرعت الخطى تقفز إلى الخارج، بينما هرولت خلفها وسن تكاد أن تشرق في ضحكاتها المكتومة على منظر هديل المتقافز.

* * *

كانت هديل تغمر وجهها في كفيها تشعر بسخونة ملمسه تتأوه بحسرة: "يا إلهي.. أرأيتِ نظرته؟ لقد كان يرمقني بدهشة وكأني قد نبت لي ذيل أو قرنان".

ثم التفتت لوسن الضاحكة هاتفة بحرقة: "بالله عليكِ ما الذي يُضحك يا خفيفة الظل؟ ألا تراعين مشاعري؟ لقد كان ينظر لي وكأني مجنونة، أرجوكِ أخبريني ماذا قلت كي ينظر لي هكذا؟!!".

غصت وسن بضحكاتها المكتومة ثم قالت: "لا لم تقولي شيئًا سوى ترهاتك عن الحب والعشق، لذلك فأي شخص طبيعي سيظنك مراهقة في جسد امرأة".

ردت هديل بغضب مكتوم: "بل قولي أي شخص ذي قلب متحجر كقلبك يا وسن، لا عيب فيمَ قلته، نعم.. أنا فتاة حالمة وهذا لا يضيرني في شيء".

ربتت وسن على كفها مواسية لتقول بلهجة صادقة: "أنتِ طيبة القلب يا هديل، صدقًا أنتِ ذات قلب كبير، يومٌ ما سيأتيك من يستحق هذا القلب يا عزيزتي، لا تكترثي بالقلوب المتحجرة من حولك، فهم كثر"، شردت قليلًا وهي تردف: "أكثر مما ينبغي"، ثم تمتمت بخفوت: "أتمنى ألا تقابلي أحدهم، فأنتِ لا تستحقين".

***

الفصل الثالث

عدة سنوات ماضية....

دلفت وسن من باب المنزل هاتفة: "أمي لقد عُدت".

كانت في أول السنة من عامها الجامعي الأخير، فتاة هادئة متزنة لا تجد وقتًا سوى للدراسة والاستذكار.

أتت والدتها من المطبخ تحمل منشفة صغيرة تجفف بها يديها، مالت وسن تطبع قبلة على جبينها، بينما بدت الوالدة بصغر قامتها وبشرتها الشاحبة أصغر سنًا من سنوات عمرها الحقيقية، بالرغم من التجاعيد التي ازدادت بالظهور حول عينيها.

ربتت الوالدة على ظهر وسن قائلة بحنان: "كيف كان يومك؟ هل تريدين أن تتناولي غداءك الآن؟".

عبست وسن قائلة: "هل سيأتي واصف اليوم للغداء معنا، أم سيتناوله في العمل ككل يوم؟".

ابتسمت الأم بفرحة لتقول: "لقد أخبرني أنه سيتناول الغداء معنا اليوم".

ثم مالت بابتسامة أكثر إشراقًا لتقبِّل وجنة وسن قائلة: "يريد أن يحدِّثك عن العريس".

تجعدت ملامح وسن وهي تنظر بحيرة لوالدتها: "أي عريس؟".

قالت الأم وعلى وجهها البشر والسرور: "ألم أخبرك؟ لقد تقدَّم لخطبتك ابن صاحب الشركة التي يعمل بها واصف".

فغرت فاها هاتفة: "من؟ هل هو نادر الخياط أم هناك ابن آخر؟".

أومأت الأم ضاحكة: "نعم.. إنه هو بشحمه ولحمه، أرأيتِ.. قلت لكِ أنكِ جميلة يا حبيبتي، وسيأتيكِ من يقدر جمالكِ يا أميرة القلب".

غمغمت وسن بحيرة: "أمي.. أليس نادر متزوجًا؟ أتذكر بأننا قد حضرنا زفافه العام الماضي".

أخفضت الأم عينيها أرضًا تتهرب من نظرات وسن الحائرة لتقول: "لقد انفصلا بعد الزواج بقليل".

عبست وسن قائلة: "لكن لِمَ انفصلا؟ لقد سمعت أنهما كانا زميلا دراسة وقد أحبّا بعضهما البعض".

قالت الأم بخفوت: "ولِم يحدث نصيب، الزواج نصيب يا ابنتي، وكل مقدر لما خلق له، انظري إلى حالي ووالدك رحمة الله عليه، لقد تقدم لي بعد حصولي على الثانوية، ووافق أهلي وتزوجت في عامي الجامعي الأول، لم نكن نحب بعضنا من قبل، وبالرغم من هذا لقد عشقته يا صغيرتي، الرجل الحق هو من يرغم زوجته على الهيام به يا حبيبتي دون أن يطلب، بمعاملته وفروسيته معها".

ثم اغرورقت عيناها بالدموع وقد شردت في ذكرياتها.

كانت وسن تعرف ما كان مقدار والدها في حياتهم، وكيف أثر فيهم جميعًا بوفاته.

كان يعشق أمهما، كان أخًا أكبر لواصف يحاول أن يضعه دومًا في الطريق الصحيح، وملكًا متوجًا لقلب وسن.

تذكرت كيف كان يغدق عليهم من فيض رجولته وطيبته، كيف وقف بجوار والدتهما حتى أنهت دراستها، كيف احتواهم في أزماتهم، وكيف دفعهم لفعل كل ما يحبون بطيب خاطر منه دون أن يتدخل في قراراتهم، حتى أنها وأخيها قررا أن يسيرا على خطاه ويدرسا في الجامعة دراسة الهندسة، بالرغم من اختلاف تخصصاتهما عما كان هو، فوسن قد درست التصميم والديكور، بينما درس أخوها الإلكترونيات.

تذكرت كيف كانت وفاته صدمة لهم جميعًا.

واصف بكل تمرده قد تغير، أصبح انطوائيا معهما، أغلق على نفسه دون أن يسمح لأحد بغزو قوقعته،

أصبح يسهر بالخارج كثيراً يكاد لا يدخل المنزل، وعند تواجده يكتفي بتقبيل يد والدته ثم يدخل غرفته ولا يخرج منها أو يتحدث مع إحداهما.

والدتها هي فعليًا من تهشمت، فقد كان محمد الأنصاري ليس مجرد زوج لها، بل كان كل عالمها.

كانت لا تستطيع التصرف بدونه في كل أمور حياتها، لم تكن لها فعليًا شخصيةً قويةً كشخصية وسن، كانت هشة وضعيفة تحتاج أن

تتكئ على أحدهم دومًا، وبوفاة والدها وانعزال أخيها عنهم كانت وسن صغيرة السن هي الوحيدة التي أخذت على عاتقها هذا الدور.

كانت الأكثر تماسكًا كما كانت تحب أن تُظهر، تتظاهر بالقوة والجلد لتحتوي والدتها بينما تعاني آخر الليل وحيدة، تتجرع مرارة الفقد وكأس الحرمان، حرمانها من كونها مازالت فتاة صغيرة تحتاج الحب والاحتواء.

غمغمت وسن كمن تخاطب نفسها: "لكن أنا لا أرغب في الزواج الآن".

سمعتها والدتها فقالت وهي تمسح دموعها: "لن أضغط عليكِ حبيبتي، لكنها فرصة لن تعوض لك، عريس رائع بكل المقاييس، من أسرة مرموقة وغنية، يحبك ويتلهف عليكِ منذ فترة، لقد طلبكِ للزواج من أخيك أكثر من مرة ورفضه واصف، والآن بعد أن وعده واصف بالتحدث معك، ازداد تلهفًا للزواج منك خلال أشهر قليلة، لكن إذا وافقت به فبإمكاننا أن نؤجل الزواج لنهاية عامكِ الدراسي".

قالت وسنٍ بهدوء وهي تمسك يد والدتها: "حسنًا يا مليكة القلب، لن أخيب أملكِ، دعينا نراه وليفعل الله ما يريد".

* * *

حفل خطوبة رائع في ردهة أحد الفنادق الفخمة.

كانت وسن تتألق بخيلاء في فستان خطوبتها الرائع التصميم، بدت وكأنها تحلق في سماء الخيال والانبهار.

بالرغم من مستواهم المعيشي الممتاز نوعًا ما إلا إنها انبهرت بكل مظاهر البذخ والرفاهية التي وفرها لها نادر والذي أصر على تحمل تكاليف حفل الخطوبة وحفل الزفاف فيما بعد.

كانت كالطفل الذي عانى حرمانًا من وجود والديه فعوضاه بالهدايا والألعاب ليشغلا نواقص نفسه.

نادر الخياط شاب طويل ضخم الجثة ذو بشرة سمراء وشعر أجعد أسود وعيون واسعة سوداء، ملامحه هادئة، ترتسم ابتسامة متألقة على وجهه دائمًا، يبدو جذابًا بملابسه الأنيقة المصممة خصيصًا له.

كان يكتفي بمراقبة ملامح وسن الجذلة بهدوء، وعندما تلتفت إليه يبتسم في هدوء ويعتصر كفها في يده.

كان محتفظًا بكفها داخل يده الضخمة ويرفض أن يتركه، مهما حاولت يكتفي بالضغط عليها وهو يهمس: "لا تحاولي، لن أدعكِ أبدًا تفلتين"، فتكتفي أن تشيح برأسها في خجل وتتألق ابتسامتها بينما تغزو وجهها حمرة الخجل لتتسع ابتسامته وتتألق عينيه ببريق التملك.

* * *

في أحد المراكز التجارية، وسن تتحدث في هاتفها وتحمل حقائب مشترياتها باليد الأخرى.

كانت تهتف في مرح: "نعم يا أمي، لقد اشتريت تقريبًا ما ينقصني من الملابس".

ثم غزا وجهها حمرة الخجل لتخفض صوتها مكملة: "لا.. لم أشتر هذه النوعية من الملابس، لم أستطع دخول المتجر وحدي، لقد خجلت سأترك لكِ هذه المهمة".

كانت لا تفطن إلى ذلك الشاب الوسيم الذي يرتدي نظارة شمسية ويتابعها من بعيد.

عندما أنهت المحادثة وهمت بوضع هاتفها في حقيبة يدها، سقطت حقائب المشتريات أرضًا، مالت لتجمع مشترياتها من الأرض، فوجئت بشاب ذي نظارة سوداء يميل معها ليجمع ما سقط منها ويضعه في الحقائب.

غمغت بحرج لتشكر مساعدته لها، همس الشاب بصوت أجش: "يسعدني مساعدتك".

ثم أردف باستفهام: "أنتِ مخطوبة وتستعدين للزواج، أليس كذلك؟".

ردت وسن باستياء مشوب بالحيرة: "هل أعرفك؟".

اكتفى بأن هز كتفيه قائلًا: "ربما لا، لكني أعرفكِ".

تطلعت نحوه بقلق تحاول أن تستشف من ملامحه المغطاة نصفها بنظارته الشمسية الكبيرة، لكنها عجزت عن التعرف عليه، لذا قالت بتوتر: "أستأذنك".

واستدرات لتبتعد لكنه ناداها: "انتظري يا آنسة، لقد نسيتِ شيئًا".

تراجعت بخطواتها لتسأله بينما تتطلع ليده تتأكد بأنها لم تنس أحد أكياس مشترياتها معه: "ماذا نسيت؟".

تطلعت ليديه الفارغتين بحيرة، لكنه استطرد في الكلام دون أن يبالي بحيرتها: "نسيت إخبارك شيئًا، لا تجعلي الشكليات تبهرك لتعميكِ عن الجوهر، أعيدي النظر في قرارك بشأن الزواج".

حدقت في وجهه قائلة بحيرة مغلفة بالخوف: "ماذا تقصد بكلامك؟ هل تعرفني أو تعرف خطيبي؟".

اكتفى بأن لوح لها بيده ثم استدار مبتعدًا مكملًا حديثه: "فقط تذكري، ابحثي خلف ما هو براق تجدي الوجه القبيح، أعيدي حساباتكِ مرة أخرى وألغي حفل الزفاف فربما تندمين، أراكِ بخير".

ظلت وسن متسمرة مكانها فاغرة فاها بدهشة، تراقب ظهره العريض وهو يبتعد حتى اختفى بين الزحام.

غمغمت في بلاهة لنفسها: "لم أعرف من هو، لم أنظر حتى في وجهه لأعرف ملامحه، يا ترى هل رأيته من قبل؟".

استدرات تحمل مشترياتها وتغادر المجمع التجاري مفكرة أنه ربما أخطأ الشبه بينها وبين أخرى.

كان هذا هو التفكير الأمثل، فعقلها لا يريد التصديق، وقلبها قد خانها وظن أنه مال في هواه، كانت لا تدري أن الخيبة تأتي عندما تهوى القلوب.. في الاتجاه الخاطئ.

* * *

الوقت الحالي....

رنين الهاتف أزعجها وأخرجها من شرودها، كان رقم صديق والدها السيد فاروق.

السيد فاروق كان صديقًا عزيزًا لوالدها منذ سنوات الجامعة، بعد وفاة الوالد أخذ على عاتقه الاطمئنان عليهم ومحاولة مساعدتهم بقدر إمكانياته، كان يحنو على وسنٍ بشكل خاص، فهي في مثل عمر ابنه عمر وحين احتاجته وسن فعليًا في سنواتها الماضية، وقف بجوار أسرتها وقفة رجل شهم.

أحضر لها محاميًا متمرسًا وقف بجوارها في المحاكم، أخذ بيد والدتها، كان داعمًا لهما، حتى مع واصف، حاول أن يحتويه، أن يخرجه من حالة التيه التي يعيشها بعد فقدان والده، لكن واصف انسحب، قرر إلقاء كل شيء خلفه وحلّق خارج البلاد.

ضغطت زر الإجابة بينما تثبت المسماع الصغير في أذنها كي تكمل عملها على جهاز حاسوبها المحمول.

أتاها صوته الحنون: "كيف هي أحوالكِ يا وسن، لقد افتقدتك يا ابنتي، ألا تفكرين أبدًا في الاتصال بي
والاطمئنان عليّ؟".

ضحكت وسن بحرج وأجابته: "عمي.. أهلًا بك، وكيف هي أحوال الخالة أحلام، لقد اشتقت إليكما".

رد عليها بغضب مصطنع: "اشتقت؟!! إذن دعينا نرى طلتك الحسناء يا وسن".

قالت وسن بإحراج: "آسفة لتقصيري معك يا عمي، أنت تعرف انشغالي بالعمل فهو يأخذ معظم وقتي، لكني أعدك بأني سوف أزوركم قريبًا".

قال الحاج فاروق: "بيتك حبيبتي، تأتين متى تحبين".

ثم صمت، كان يبدو مترددًا بخصوص شيء ما.

فطنت وسن لتردده فسألته: "هل تريد إخباري شيئًا ما يا عماه؟".

تنحنح في حرج ثم قال: "لا أريدك أن تقلقي، لكن المحامي كنت قد أوصيته أن يخبرني بما استجد من أحداث، لذلك هاتفني أمس بخصوص قضيتك القديمة".

توترت وسن بشكل مرعب فهتفت بصوت مذعور: "ما بها؟".

رد الحاج فاروق مسرعًا ليتدارك توترها قبل أن يتصاعد أكثر: "لم يحدث شيء، لقد اتصل ليخبرني أن الحكم بالقضية قد سقط بالتقادم".

ثم أردف متنفسًا بصوت مكتوم: "أنا خشيت أن يظهر لك دون أن تأخذي حذرك فقررت أن أعلمك يا ابنتي، لكن لا تقلقي مازال خارج البلاد، لم يعد بعد".

ردت وسن بصوت متحشرج مكتوم: "قلت لم يعد بعد، لكن مصيره أن يعود، فهذا موطنه".

رد الرجل بقلق: "وسن.. اهدئي حبيبتي، لا تخشي شيئًا، أرجوك، عندما يعود سنتصرف حينها ولن أدعه يقترب منكِ مجددًا".

كانت نبضات قلبها قد بدأت تتسارع في جنون وحبات العرق تتجمع على وجهها، ضاق صدرها فغمغمت بوهن لتنهي الحديث: "حسنًا يا عمي، لقد هدأت، لا تقلق عليّ، إلى اللقاء".

أغلقت هاتفها، سقط منها أرضًا، بينما انكمشت على نفسها في فراشها تلهث وتحاول أن تنظم أنفاسها دون جدوى.

* * *

في العمل....

طرقت باب المدير وانتظرت لتسمع صوته يدعوها للدخول.

دخلت وسن بحرج، كانت السكرتيرة داخل المكتب تنتظر أن ينتهي المهندس ساجد من إمضائه لبعض
الأوراق.

همست وسن: "معذرة لم أجد هند في مكتبها فطرقت الباب، سأعود فيما بعد".

استدارت لتغادر لكن صوت ساجد أوقفها: "تعالي يا وسن، لقد أنهت هند عملها".

ثم دفع الملف الذي يحمل الأوراق للسكرتيرة وأشار لها كي تنصرف.

أومأت وسن برأسها لهند تحييها.

رمقتها السكرتيرة بابتسامة لطيفة، ثم أغلقت الباب خلفها، بينما ظلت وسن تفرك يديها وتطأطأ برأسها أرضًا.

قال ساجد بلطف: "اقتربي يا وسن واجلسي، هل هناك ما يقلقك؟".

اقتربت وسن باضطراب مهمهمة: "لن أطيل البقاء، فقط أردت منك خدمة".

ثم رفعت رأسها بحرج وقد غزا الاحمرار وجنتيها لتكمل: "ليست منك شخصياً، بل من أخيك الطبيب".

رفع ساجد حاجبيه بعدم فهم ليقول مستفهمًا: "من أحمد؟ ماذا تريدين منه؟".

ظلت وسن صامتة للحظات، كان يبدو وكأنها تجبر نفسها كي تتكلم، وأخيراً همست: "طبيب نفسي".

عقد حاجبيه بغباء وهو يردد خلفها: "طبيب نفسي؟! هل تريدين من أحمد أن يدلك على طبيب نفسي؟".

أطرقت أرضًا تهز رأسها بالإيجاب دون أن تجرؤ على رفع رأسها وملاقاة عينيه.

كانت تشعر وكأن روحها متعراة أمامه، تكره هذا الإحساس، لكن ما دفعها لهذه الخطوة هو خوفها الشديد بالأمس بعد مكالمة الهاتف إياها، لقد ظلت تعاني الأرق والاضطراب بشكل عنيف حتى أحست بأنها سوف تموت من توقف قلبها جراء خفقانه المستمر

وضيق تنفسها، وفي لحظات الألم تلك قررت أن تجرب حظها مع طبيب نفسي كما سبق وعرض عليها ساجد، فربما وجدت الراحة التي تنشدها.

في لحظة تهور أحمق قررت أن تسأل ساجد ليعاونها والآن تشعر بالغباء لتهورها ذاك.

سألها ساجد بقلق: "هل تكررت تلك النوبات عليكِ مرة أخرى؟".

اكتفت بالصمت، لم تكن تستطيع أن ترفع عينيها لوجهه من هذه المسافة القريبة، كانت تلعن غباءها في سرها دون أن تنطق.

اقترب صوته من أذنها حتى إنها أجفلت مبتعدة: "وسن.. أنا أتحدث معكِ، هل مررتِ بتلك الإغماءات مرة أخرى؟".

كانت تفرك أصابع يدها بحركات متوترة متتالية وهي تهز رأسها بالنفي.

هدر صوته: "وسن.. انظري إليّ وأجيبي".

رفعت وجهها ببطء تنظر لوجهه وقد ركزت عينيها على جانب وجهه دون أن تنظر لعينه وتهمس باضطراب: "لا.. لم أصب بإغماء، فقط تلك الأعراض التي أتتني بالمشفى حين كنت معي".

ظهر القلق في صوته قائلًا: "إنكِ تبدين شاحبة، هل أنت بخير؟".

ابتلعت ريقها بتوتر هامسة: "نعم بخير، فقط أردت أن أزور طبيباً كي يطمئنني كيف أتصرف حيال تلك

الأعراض، آسفة إن أزعجتك، لم أعرف كيف أبحث عن أحدهم".

قال ساجد بتوتر: "لا تقلقي سأساعدك، سأهاتف أخي وأخبرك عن مكان أحدهم، بل أفضلهم يا وسن".

همست بخفوت وقد غلف الخجل محياها: "أشكرك مهندس ساجد وأعتذر منك لإزعاجك بمشاكلي".

ظل و اقفًا مكانه دون أن يبدي رغبة للحراك أو يرد على اعتذارها.

نظرت لوجهه بتعجب لتجد ملامحه ساكنة تتأمل عيناه وجهها وقد ظهر الألم بهما.

ظلا هكذا بضع لحظات حتى تنحنحت وسن بحرج لتخفض عينيها وتهمس بخفوت: "هل يمكنني العودة لمكتبي؟".

رد ساجد بهدوء بعد أن تمالك نفسه: "هل يمكنني معرفة السبب الذي أدى لتوترك الشديد هذا؟".

ردت وسن باضطراب: "لست متوترة، أنا بخير".

تطلع لها لحظات ثم أفسح لها الطريق قائلًا: "حسنًا يا وسن.. سأحاول التصديق أنكِ بخير، عودي لمكتبك وانتظري أن أجد لكِ طبيبًا".

أسرعت وسن خارج المكتب تشعر بشدة الغباء للجوئها لساجد. ساجد دونًا عن غيره من البشر.

* * *

رن الهاتف الداخلي لمكتب وسن، كانت منهمكة في إجراء محادثة بخصوص تنفيذ بعض التصاميم الخاصة بفيلا وهدان،

اعتذرت من محدثها ثم أجابت على الهاتف، كانت هند سكرتيرة مكتب ساجد تخبرها أن المدير يريدها في مكتبه.

أنهت مكالمتها الخاصة بالعمل ثم نهضت من مقعدها فنظرت لها هديل تسألها: "أين تذهبين؟".

أجابت وسن: "سأذهب لمكتب المدير، يريدني".

قالت بقلق: "وسن.. هل أنتِ بخير؟ تبدين مضطربة وشاحبة قليلًا".

أجابت وسن سريعًا ترسم على وجهها ابتسامة بدت مبتئسة بالنسبة لكونها ابتسامة: "أنا بخير، لا تقلقي".

ثم تصنعت المرح قائلة: "يبدو أن مشروعي الأخير هو سبب استدعائي".

ضحكت هديل قائلة بتشجيع: "مشروع السيدة مستبدة، تستطيعين التغلب عليها يا فتاة، اذهبي وانتصري عليها".

ابتسمت وسن بشحوب وهي تخرج من المكتب باتجاه مكتب ساجد، وسرعان مازالت ابتسامتها وحل مكانها التوتر، أدخلتها السكرتيرة مكتب ساجد.

كان منهمكًا في التحدث في هاتفه بصوت منخفض، أشار لوسن بيده لتجلس على المقعد المواجه لمكتبه، كان يمسك قلمًا ويدون شيئًا به على ورقة أمامه على المكتب.

احتلت وسن المقعد أمامه، تشاغلت بالنظر حولها ريثما ينتهي من محادثته، ضحك بخفوت فنظرت تجاهه لتجد نظراته محدقة

بها، التقت نظراتهما كانت نظراته تبدو غريبة، ينظر إليها وكأنه يخترق كيانها، كأنه يريد أن يحفر أعماقها بشدة.

جمدت نظرات وسن، تعلقت بعينيه وتوقف الزمن بينهما، لم تعد تسمع غير وجيب قلبها وخفقاته.

كانت بينهما ألف رسالة ورسالة غير منطوقة، عيناه تحمل اللهفة والألم، كانت تحمل ألف سؤال وتبحث عن ألف إجابة.

عيناها كانت تحمل الخوف والاضطراب، اليأس والرجاء، كانت نظرات حائرة ضائعة تبحث عن الأمل، عن مرفأ لنهاية أوجاعها، تريد أن تجد ذاتها التي أضاعتها ذات يوم ولا تدري كيف تستعيدها من جديد.

قطع سيل رسائلهما البصرية رنين الهاتف على أذنه، انتفض ساجد وأنزله من على أذنه ليحدق به، لقد نسي محدثه على الجهة الأخرى دون أن يُنهي المكالمة.

انتظر قليلًا ليلتقط شتات نفسه ثم ضغط زر الإجابة مجيباَ: "نعم يا أحمد يبدو أن الإرسال ضعيف فقطع الاتصال، حسنًا لقد سجلت العنوان ورقم الهاتف، أشكرك جزيلًا يا أخي".

أنهى المكالمة وتشاغل قليلًا بترتيب المكتب بينما ظلت وسن صامتة لا تجرؤ على النظر تجاهه تفرك يديها في بعضهما ببطء في حركة لا شعورية تنم عن توترها الشديد.

تنحنح ساجد ليجلو صوته الضائع، ثم قال بصوت أجش دافعًا الورقة بالعنوان أمام عينيها: "أخي رشح لكِ هذا الطبيب، أخبرني

أنه ناجح وأهلًا للثقة"، ثم أضاف دون أن ينظر تجاهها: "لقد حجز لكِ موعدًا معه بالغد، فلو انتظرتِ للحصول على موعد لربما نلته بعدَ أشهر".

ضحكت وسن باهتزاز لتغمغم: "أشكرك، واشكر أخيك بالنيابة عني"، ثم نهضت من مقعدها لتغادر مكملة: "أعتذر منك مرة أخرى، لم أرد الزج بك في مشاكلي".

ضحك ساجد وهو يجيب بخفوت: "يبدو أن مشاكلك هي من تطاردني لأشاركك بها رغمًا عني وعنكِ".

اكتفت وسن بالهمس: "سأعود لمكتبي، أعتذر عن تعطيلك عن العمل".

خرجت من الباب وأغلقته خلفها بسرعة.

وفي الممر المؤدي لمكتبها وقفت وسن تستند على الحائط تضع يدها على قلبها علها تهدئ قليلًا من خفقانه، فقد كان يتقافز بجنون غير جنونه المعتاد، جنون لم تجربه وسن من قبل ولا تدري كنهه.

* * *

فيلا وهدان....

كان مسئول التنفيذ يقف بجوار وسن تحدثه بينما كل حين يقطع حديثهما ليصرخ بأحد العمال أن يحاذر من كسر شيء ما أو سكب لون على الأرض.

كان المكان تعمه الفوضى بمعنى الكلمة الحرفي؛ فاليوم بدأ دهان الجدران، بينما هناك عمال إصلاحات بالحمام لتركيب المراحيض، وعامل بالمطبخ لأخذ قياسات الجدران لتجهيز الخزائن المناسبة.

اختنقت وسن من كل هذه الضوضاء، أشارت للرجل بأنها ستخرج للحديقة قليلًا لتستنشق الهواء ريثما ينتهي من صراخه ويتبعها.

كانت السيدة ليلى تريد تعجيل الانتهاء من إعادة تجديد الملحق، فهي تريد أخذ عطلة للسفر للخارج للتسوق قبل موعد زفاف ابنها.

سمعت صوتًا غليظًا أجفلها لتجد السيد متأنق يقول لها: "هذا الوجه الجميل لا يستحق العبوس".

اضطربت وسن، لكنها حاولت أن تبدو متماسكة لتقول بصوت حيادي: "مرحبًا سيد كامل".

رد الرجل بترحاب مادًا يده للمصافحة: "مرحبًا مهندسة وسن".

ترددت وسن قليلًا قبل أن تمد يدها لتصافحه، أمسك يدها وضغط عليها بوقاحة وهو يقول: "لقد أعجبني عملك جدًا، تبذلين مجهودًا رائعًا، معه حق عدنان أن رشحكِ للعمل معي".

حاولت سحب يدها فتركها وهو يميل عليها ويغمز قائلًا: "ولأن أعمالكِ أعجبتني بجدية فأنا أعرض عليكِ عملًا آخر".

ابتعدت وسن بلباقة وهي تقول بحرج من تصرفاته الوقحة: "أشكرك سيد كامل، إذا أردت خدمات شركتنا مرة أخرى فبإمكانك أن تحدِّث السيد عدنان بذلك".

قهقه كامل بضحكة عابثة ليقول: "عدنان!! وما دخل عدنان بما أعرضه عليكِ؟".

عبست في قلق: "إذن أنا لم أفهم إلام ترمي بحديثك، أستأذنك فلدي أعمال أريد إنهائها إذا لم تمانع".

قاطع حديثهما صوت السيدة ليلى الغاضب المتهكم: "ولمَ حبيبتي؟ يمكنك قضاء النهار معنا والتحدث مع كامل طوال اليوم، فهو متحدث لبق ويقدِّر الجمال".

كانت ترمق زوجها بغضب وتنظر لوسن بشك، نظرت لها وسن بعبوس وعدم فهم، ثم انسحبت لتدخل الملحق قبل أن تتهور وترد على السيدة مستبدة برد أحمق يُغضب السيد عدنان فيما بعد.

* * *

في عيادة الطبيب النفسي المزدحمة كانت وسن تجلس على طرف مقعدها وكأنها على أهبة القفز من عليه في أي لحظة والهروب خارج المكان.

ترمق ما حولها بتوتر وتتعجب من كل هذا العدد المتواجد، وهي من كانت تظن أن الأطباء النفسيين لا يزورهم إلا المخابيل.

السينما شوهت صورة المرضى والأطباء على حد سواء.

كل هذا العدد لم يفلح في جعلها تشعر بالاسترخاء، لقد قدمت لوحدها بعد أن تهربت من هديل، لا تريد لأي مخلوق أن يعلم عن معضلتها النفسية، ليس بعد، فهي مازالت ترفض في عرفها مبدأ الطبيب النفسي، ولولا تدني حالتها قبل الأمس لما فكرت أبدا أن تخطو هذه الخطوة.

- "مرحبا".

انتفضت من مكانها على صوته المميز قائلة بتعجب: "مهندس ساجد!!! ماذا تفعل هنا؟".

رد ساجد ممازحًا: "وماذا تريني أفعل؟ أزور الطبيب بالطبع".

عقدت حاجبيها تنظر له بضيق: "لا تسخر مني".

قال ساجد بهدوء: "لا أسخر منك، فأنا أيضًا أحتاج لاستشارة بخصوص حالة ميئوس منها، أتدرين؟".

نظرت له مستفهمة فتابع وملامح الجدية مرتسمة على وجهه: "لقد عانيت كثيراً أنا أيضًا".

قالت وسن بحذر: "مم عانيت؟".

ظل صامتًا لفترة بدت كالدهر، ثم هز رأسه مجيبًا ببساطة: "عانيت إحساس الفقد الموجع".

صمت ثم استطرد بوجوم: "ذات يوم رأيت فتاة أعجبتني حتى أنها سلبت عقلي ببرائتها وعفويتها، أردت اختطافها والهرب بها بعيدًا عن أعين الناس لأحميها".

كانت تنظر له وقد تعقدت ملامح وجهها دون أن تدري لتسأله: "وماذا حدث؟".

كان يتابع ملامح وجهها باهتمام، ثم نظر ليده وهو يكمل بشرود: "للأسف كان توقيت ظهورها في حياتي خاطئًا".

ردت وسن بهمس: "لِمَ؟".

عاد لينظر في وجهها مليَا ثم أجاب ببطء: "لقد رأيتها في حفل خطبتها".

ظلت تنظر له وقد ارتسم الأسى على وجهها لا تدري أتواسيه أم تواسي قلبها الذي علت رفرفاته في صدرها، ثم مدت يدها بعفوية لتربت على يده تقول بأسى: "آسفة لك".

أجفل ساجد وسحب يده وكأن صاعقة كهربائية قد أصابته، بينما تابعت وسن غائبة في عالمها الموازي دون أن ترى ردة فعله: "وماذا حلَّ بتلك الفتاة؟ هل أنقذتها؟".

أجاب ساجد بتوتر يخشى أن تفهم تلميحاته: "أنقذتها؟ من ماذا أنقذها؟".

لكن وسن استطردت دون أن تعي توتره: "من تلك الزيجة التعسة، ربما كنت آخر أمل لها أن تجد من يمنعها من الوقوع في براثن الجحيم".

صمتت ثم رفعت عينيها لساجد تقول بأسى: "معذرة لقد شردت وخلطت الأحداث، إني أهذي".

نظر لها ساجد، لم يستطع إنزال عينه من على وجهها، كان يريد أن يربت على وجنتها ليزيل ذلك الأسى المرتسم عليها.

كان يتمنى لو عاد به الزمن مرة أخرى فيحبسها داخل غرفة مغلقة حتى يمر موعد زفافها ويرحمها من كل ذلك العذاب.

كانت تشعره بكل التناقض في العالم، فتارة يريد طرق رأسها ولعن غبائها الذي أوقعها كضحية، وتارة يريد أن يحتويها، يغمرها داخل قلبه، يدفئها بنبضاته حتى ينسيها آلامها ويمحو عنها أحزانها.

ليته كان أقل سلبية في ذلك الوقت، لما عانى أيا منهما كل هذا الألم.

همست تستحثه على الإكمال: "وماذا بعد؟".

خرج من شروده متنهدًا: "لم أنقذها يا وسن، وأندم كل يوم يمر من عمري إني لم أفعل، لكني آمل أن تجد في نفسها القوة لتفعل، هي من تحتاج لإنقاذ نفسها دون تدخل من أحد".

سألته وسن بحرج: "إذن تركتها تتزوج وتزوجت غيرها؟".

ارتسمت على وجهه ابتسامة بدت عابثة وهو يجيب تساؤلها بسؤال: "هل تريدين معرفة ما إذا كنت أعزبًا أم متزوجًا؟".

خجلت واحمر وجهها فقالت لتداري حرجها: "لا لم أقصد التدخل بخصوصيات حياتك، لقد سألت فقط

لأعرف ما حلَّ بهذه المسكينة بعد أن أحببتها ثم تركتها لمصيرها".

قال ساجد بهدوء: "إذن أنتِ تؤمنين بالحب؟".

شردت ثم تبسمت باستهزاء قائلة: "كنت ذات يوم أؤمن به وأبحث عنه".

قال ساجد يحثها على الكلام: "وماذا حدث؟".

ارتسم الجمود على وجهها مجيبة: "لقد نضجت، لم يعد لهذه الكلمة معنى بقاموسي، الحب هو هراء قصصي يزرعه الكتاب في عقولنا منذ الصغر فنكبر لنجد أن الواقع أمّر من كلمات الغزل ونظرات العشق وقصائد الغرام".

ثم ضحكت بسخرية قائلة: "أتصدق أنني كنت أحلم ذات يوم بقصائد العشق والغرام تلك، لقد كنت أعيش في عالم مواز لعالمنا هذا".

قال ساجد بأسف: "الحب ليس هراء يا وسن، نحن فقط من نسئ اختيار المسمى، الحب أكبر من كلمات الغزل ونظرات العشق، الحب هو الاحتواء، أن تعيش مع الطرف الآخر كشخصين اجتمعا في قلب واحد وجسدين، الحب هو ما يدفعنا أن نحيا ونتنفس ونتقدم في حياتنا دون خوف مما تخبئه لنا الأيام، الحب مفهومه الحماية، الأمان والعطاء، إذا فقد أي ركن من هذه الأركان فقد مفهومه الصحيح وأصبح ما نعيشه هو الهراء وليس الحب".

ظلت وسن تنظر له بدهشة وقد نسيت فمها مفتوحًا ثم تمتمت بانشداه: "تتحدث كوالدي رحمه الله".

ضحك ساجد قائلًا: " إذن اعتبريني والدك ولا تتحرجي، فانا أكبرك بما يقرب التسعة أعوام".

انكمشت وسن واحمر وجهها ولم يسعفها عقلها كي تسأله عن معرفته لعمرها.

كانت ترتجف وتخطئ في تفسير ارتجافة يديها وعلو ضربات قلبها فتعزوها إلى نوبات القلق.

لم تكن تدري بأنها اضطرابات من نوع آخر، اضطرابات قلب يحاول أن ينبض من جديد.

* * *

خرجت وسن من غرفة الطبيب، كانت تبدو تائهة، نظراتها تدور وتدور وكأنها تبحث عن شيء أو شخص ما.

نادتها السكرتيرة الخاصة بالعيادة لتطلب منها أن تسجل الموعد القادم للاستشارة.

رمقتها وسن بوجل لتغمغم بشرود: "لست أدري إذا كنت أستطيع أن أحضر، ربما كانت ظروفي لا تسمح".

تأففت السيدة الخمسينية المتأنقة باحتشام ناظرة لوسن قائلة: "يمكنكِ تأكيد الموعد معي الآن يا آنستي، فهذا نظام العيادة، وإذا لم تحضري في موعدك سقط الحجز وحينها ستضطرين أن تحجزي موعدًا آخر من جديد".

ابتلعت وسن ريقها ونظراتها تشي بالرفض، كانت تبدو وكأنها على وشك الاستدارة والذهاب عندما قاطعها ذلك الصوت المميز لأذنها بنبراته الرجولية يقول بصوت حازم: "سجلي موعد استشارتها سيدتي وسوف تحضر في موعدها".

ثم التفت لوسن التي كانت تنظر له بوجل واضطراب وقال بحزم: "هيا يا وسن، أخبري السيدة بالموعد الذي أخبرك الطبيب بالحضور فيه".

هزت رأسها برفض وبالرغم من هذا نطق فمها بخفوت وكأنه لا يستجيب لرفضها: "بعد أسبوع".

سجلت السيدة الأنيقة الموعد على جهاز الكمبيوتر القابع أمامها، ثم التفتت لوسن تسألها: "هل لديكِ رقم هاتف أسجله في الحالات الطارئة؟".

أسرع ساجد بإملائها رقم هاتفه هو قبل أن تنطق وسن، ثم أومأ شاكرًا للسيدة والتفت لوسن قائلًا: "هيا لنذهب".

نظرت له بشرود تقول بثقل: "ألن تدخل للطبيب؟".

لوح ساجد بكفه قائلًا: "فيما بعد، والآن دعينا نذهب".

أومأت برأسها في استسلام وسارت خلفه دون كلمة.

وقف ساجد بجوار سيارته ثم التفت يقول لوسن: "هيا.. سأعيدكِ لمنزلك".

غمغمت وسن بصوت باهت: "معي سيارتي".

قال ساجد بهدوء: "اتركيها، سأحضرها لكِ غدًا".

صعدت السيارة في استسلام، كانت تبدو ساهمة حزينة وكأنها فقدت القدرة على القتال أو الدفاع عن مبادئها.

نظر لها ساجد في أسى، يود لو يعتصر قلبها هذا فيَخرج منه كل الحزن والمرارة العالقين به، ثم يزرعه بالحب ويرويه بالعشق حتى يُزهر من جديد.

يود لو يحتضنها ويظل يهدهدها لتنام خالية البال على صدره كالطفل الذي وجد الأمان بعد طول حرمان.

انطلق بسيارته على الطريق وهو يصارع رغباته المجنونة، فكان الصمت سيد المكان.

قطعت وسن الصمت لتقول بصوت خافت: "ليست بي الرغبة للذهاب للمنزل الآن، لا أريد أن أبقى وحيدة، هلا ذهبنا لمكان آخر؟".

التفت إليها ساجد، التقت نظراتهما، كانت نظراتها تسكب البؤس والتيه سكبَا.

قال في محاولة منه للتسرية عنها: "أعرف مقهى يطل على النهر يقدم قهوة لذيذة، أم ربما تريدين تناول العشاء؟".

ردت بهدوء بينما تتظاهر بالنظر من خلال النافذة المغلقة: "ليست بي الرغبة للطعام، يكفيني تناول مشروب".

قال بصوت حاول أن يبدو مرحًا فظهر كصوت إسطوانة مشروخة ومعذبة: "حسنًا يا سيدتي، أنتِ تأمرين".

ضحكت وسن بخفوت لمحاولته السخيفة لإضحاكها، ثم استدرات مرة أخرى وأسندت رأسها على زجاج النافذة في تعب.

عم الصمت أرجاء المكان حتى همس ساجد بعد فترة: "وسن.. هل نمتِ؟".

همهمت وسن بصوت حالم ولم ترد.

وصل لوجهتهما فصف السيارة وهو ينادي مرة أخرى: "وسن.. هل نمتِ؟ هيا لقد وصلنا".

قالت وسن بصوت نعس: "هل يمكنني البقاء هنا؟ أشعر بالنعاس".

عقد ساجد حاجبيه بعدم تصديق فهتف بها: "وسن.. هل جننتِ؟ أتريدين النوم في سيارة مصفوفة في الطريق وبين أنظار المارة؟".

انتفضت وسن على هتافه لتقول بغيظ: "لماذا تصرخ هكذا؟ لقد أفزعتني".

ثم عبست وهي تنظر للطريق لتسأل بغباء: "هل وصلنا؟".

حملق بها ساجد وهو يخبط كفًا بكف ليقول بنفاد صبر: "يا إلهي، سأصب بالجنون"، ثم مال نحوها وهو يسأل مشككًا: "ألم تقلي لي منذ قليل بأنكِ نعسة وستنامين هنا؟".

ردت وسن باستنكار: "أنا؟! هل جننت كي أنام في سيارة على قارعة الطريق؟ من تظنني؟"، ثم نفخت وهي تنزل من السيارة وتصفق الباب خلفها بشدة.

استشاط ساجد ونزل خلفها من السيارة ليصيح بها بعصبية: "أمجنونة أنتِ؟ كيف تصفقين الباب هكذا؟".

مطت وسن شفتيها قائلة بغيظ: "لم يحدث شيء لسيارتك، فها هي أمامك قطعة واحدة لم تتجزأ"، ثم تمادت لتكمل بحنق: "ياللرجال، يعاملون السيارة بلطف أكثر من النساء".

قال ساجد بغضب: "هذا ليس حقيقيًا".

قالت وسن باستفزاز: "أتُنكر؟ ها أنت ترفع صوتك عليّ لمجرد إغلاق باب السيارة بشدة، تخيل لو ركلتها، ماذا ستفعل بي حينها؟".

قال ساجد بسخافة وقد أعجبه استفزازها: "حسنًا.. جربي وانظري للنتيجة بنفسك"، ثم نظر لها ورسم التوحش على ملامحه ليهمس بنبرة محذرة: "سأجعلكِ تعتذرين لها ولي كل يوم على فعلتكِ السوداء وبطريقتي الخاصة".

لوحت وسن بحنق: "دعنا لا نكمل الحوار، فربما فقدت صبري وخدشتها لك بمسمار صدئ".

عبس ساجد قائلًا: "وهذا أيضًا إذا حدث فاعتذاركِ نفسه لن يكفيني".

نفخت وسن وانطلقت مبتعدة لتدخل المقهى الرائع ذا الإضاءات الخافتة والموسيقى الهادئة المنسابة في المكان وكأنها تصدر من اللامكان، جلست على طاولة تطل مباشرة على النهر، تبعها ساجد واتخذ مقعده أمامها.

ظلت وسن صامتة تطرق بضيق على المائدة بينما ينظر لها ساجد بتفكه، كان يشعر بالتسلية على حسابها، تبدو كطفل غاضب قد حُرم من الحلوى فقرر صب جام غضبه على من يقابله.

عندما طال الصمت تنحنح ساجد ثم قال بهدوء: "هكذا أفضل".

نظرت له وسن تسأله بينما مازالت غاضبة: "ما هو الأفضل؟".

قال ساجد ببساطة: "هذا الغضب المطل من عينيك ويسري في كل حركاتك وسكناتك".

قالت بصوت حانق: "أتجد حنقي وغضبي من سخافات ردودك أفضل شيء حدث في هذه الليلة المكروبة؟ يبدو أنها ليلة لن تمر على خير".

هز رأسه مجيباََ بتلقائية: "نعم.. أنا أفضله عن حالتك الأخرى التي كنتِ بها بعد خروجك من عند الطبيب، من الجيد أن يجد المرء شخصًا يصب عليه قلقه وتوتر دون اعتراض، وها أنا أمامك لا أعترض، فقد أقلقتني منذ قليل".

وجمت وسن تنظر له، ثم أطرقت برأسها أرضًا.

قال ساجد بحذر: "وسن.. هل ضايقتكِ بكلامي؟".

قالت بسخرية وهي تتحاشى النظر إليه: "وماذا كنت تفعل منذ قليل؟ أنا بخير، لا داعي لتأنيب نفسك".

أجابها باستفهام حذر: "إذن هل لي أن أعرف لم خرجتِ بتلك الحالة من عند الطبيب؟".

رفعت يدها أمام عينيها وظلت تنظر لأظافرها بشرود، ثم نظرت لساجد لتقول بهدوء: "أي حالة؟ أنا بخير".

سألها بلهفة: "مادمتِ بخير إذن أخبريني، ماذا أخبركِ الطبيب بشأن الأعراض التي تأتيكِ؟".

ردت بلامبالاة ظاهرية بينما بدا صوتها مبطنا بالقلق: "أخبرني أنها اضطرابات قلقية تأتي على هيئة نوبات وتحتاج لبعض العلاجات الدوائية للتحكم بحدوثها".

صمتت ثم استطردت: "يقول لي إنه يمكنني التحكم بها إذا عرف السبب وتم التغلب عليه".

سأل ساجد: "وهل تعرفين السبب؟".

اضطربت لكنها حاولت التماسك لتقول بصوت متحشرج : "لا.. لا أعلمه بعد، لذلك هو يريد أن أجرب جلسات علاجية معه"، ثم أردفت بتهكم: "يسميها رحلة إبحار نحو الماضي".

شجعها ساجد: "عظيم، هكذا أفضل".

نظرت له في هدوء ثم قالت: "أنا لا أفضل حضور هذه الجلسات، فلن تقدم لي شيئًا".

عبس ساجد قائلًا: "وكيف عرفتِ بأنها لن تقدم لكِ شيئًا؟! هل حضرتِ أيًا منها من قبل؟".

شردت بنظراتها لعدة ثواني ثم عادت وهمست: "لا يهم، لا أريد الحضور وحسب، هذا قراري ولا شأن لك به".

كان النادل قد أتى إلى منضدتهما ليعرف ماذا يطلبان، دوّن طلباتهما ثم رحل.

طال الصمت بينهما وكلا منهما غارق في بحر أفكاره المتلاطم، فبينما كان ساجد يفكر كيف يستطيع الدخول إلى رأسها وإقناعها

بحضور تلك الجلسات، كانت هي تفكر بأن تلك الليلة قد طالت أكثر من اللازم وتريد أن تهرب من حصار ساجد لها.

كانت تنشد راحة البال، فوجودها مع ساجد يجعلها تطفو بين أحاسيس غامضة ومقلقة، أحاسيس لم تجربها من قبل، ولا تريد أن تعتادها الآن.

* * *

بعد مرور أربعة أيام من تلك الليلة....

انهمكت وسن في أخذ قياسات على جدران الملحق الخاص بفيلا وهدان المطلية حديثًا وتسجيلها في دفتر ملاحظاتها، كانت قد صرفت العمال لهذا اليوم على أن يعودوا غدًا لإكمال عملهم.

كان العمل بالفيلا على وشك الانتهاء وتبقت مرحلة التأثيث.

كانت تميل على السلم الصغير التي تقف عليه لتضع أداة القياس على الجدار عندما شعرت بأن هناك من يخترق وحدتها، التفتت فأجفلت من وجود السيد كامل.

كان يقف خلفها صامتًا بطريقة مريبة يتأملها، نظرات عينيه غير مريحة إطلاقًا تجول على جسدها بطريقة فاجرة وقد التمعت بطريقة مقززة.

مالت وسن بالسلم محاولة الهبوط بسرعة من عليه، كادت أن تسقط، لكنها هبطت بسلام على الأرض.

رفع نظراته إلى وجهها وفي ثانية تغيرت تعبيراته ليرسم ابتسامة متصنعة على وجهه مرحبًا بها بحفاوة مقلقة: "مرحبًا مهندسة وسن، أم أناديكِ باسمكِ؟ أفضِّل أن نرفع التكليف بيننا، وسأدعوكِ وسن".

ثم ردد اسمها بتلذذ وهو يقول بتأنٍ كأنما يلوكه بين أسنانه: "وسن امممم، اسم لذيذ يليق بكِ".

لم تجبه، كانت متوترة تحاول أن تداري بحقيبتها اليدوية جسدها المخفي فعليًا تحت قميص طويل يصل لركبتيها وتحته بنطال من الجينز.

لم يلحظ كامل توترها وهو يكمل: "أتريدين تناول مشروب معي بالحديقة، فأنا كنت سأتناول قهوتي بالخارج".

أسرعت وسن لتقول: " لا أبدًا، كنت على وشك المغادرة قبل أن تحضر، فلقد أنهيت عملي".

قال كامل بابتسامة ذئبية: "فقط كوب من العصير، ريثما أعرض عليكِ العمل القادم".

قالت وسن بحدة: "أشكرك، ليس لدي وقت، دع المشروع القادم لما بعد".

رفع حاجبًا واحدًا متهكمًا: "ربما كان فيما بعد أفضل من الآن، فأنا أفضِّل مناقشة مشاريعي في أجواء هادئة وأعصاب مسترخية".

اندفعت وسن تمر من جانبه بسرعة مغمغمة: "حسنًا.. أعتذر، وداعًا".

ظل يراقبها كالأفعى تراقب فريستها ويقول بصوت بدا كالفحيح الخافت: "بل قولي إلى اللقاء، فستكثر لقاءاتنا".

لم يدر بأن هناك أذنًا أخرى غاضبة تقف خلف الباب، الذي أغلقته وسن في اندفاعها الغاضب، لتستمع، أذن مقهورة بعدد سنين عمرها، قهر أشد من قهر الرجال.

❋ ❋ ❋

الفصل الرابع

التفتت هديل لوسن الجالسة على مكتبها تتصفح بعض مواقع شركات الأثاث قائلة: "وسن.. هل لديكِ التزامات لليوم؟".

رفعت وسن وجهها تنظر لهديل باستفهام: "لِمَ تسألين؟".

هزت كتفيها قائلة: "أشعر بالملل، أريدكِ أن تخرجي معي قليلًا".

قالت وسن بتململ: "لست أدري يا هديل، لديّ أعمال كثيرة عليّ إنجازها اليوم أو بالكثير غدًا، ألا ترين عبء العمل عليّ ومحاولتي لإرضاء السيدة ليلى في اختيار الأذواق التي تناسبها حتى أنتهي من تلك المهمة الشؤم، ثم إني أريدكِ معي في المرة القادمة التي أذهب بها هناك".

سألتها هديل بفضول: "لماذا؟ هل تعرَّض لكِ السيد سخيف مرة أخرى؟".

أجابت وسن بغضب: "أشعر أن نظراته تنتهك روحي، يشعرني بالحقارة وسوء الأدب، لست أرتاح للتعامل معه"، تنهدت ثم استطردت: "أنا أريد أن أنتهي من هذا العمل بأسرع ما يمكن، فالسيدة تعاملني بجفاء وتعنت وزوجها المعتوه لا أدري ما به، يعاملني بتملق مثير للاشمئزاز".

-"من هذا الذي يتملقكِ بطريقة تثير الاشمئزاز؟"، ارتفع السؤال في سماء الحجرة لتنتفض كلًا من وسن وهديل في مكانيهما،

كان السؤال قد خرج كدوي الرعد من شفة ساجد الذي وقف عند باب الحجرة وملامحه متفجرة بالغضب.

غصت هديل في ريقها، كانت المرة الأولى التي يأتي فيها ساجد إلى غرفة مكتبهم، ولحسن الحظ أن غدير متغيبة هذا اليوم.

التزمتا الصمت فهدر ساجد: "ما هذه الأحاديث التافهة الجانبية، ألا يوجد لديكما عمل؟".

أسرعت هديل بدفن وجهها في شاشة حاسوبها تتظاهر بالعمل، بينما ظلت وسن محدقة به، ثم أجابت ببرود: "بلى لدينا عمل، وكنا نتحدث عنه للتو".

هزأ ساجد قائلًا: "وهل الحديث عن العمل يشمل نوايا الناس وسلوكياتهم؟".

ثم أشار لوسن قائلًا بعصبية مكتومة: "أنتِ اتبعيني لمكتبي حالًا".

وأشار لهديل قائلًا: "وأنتِ عودي للعمل، لا أريد أحاديث جانبية تافهة".

تبعته وسن في صمت، بينما تستدير لهديل وتضع يدها على عنقها علامة الذبح، فضجت هديل بالضحك وهي تضع يدها على فمها تكتم ضحكاتها.

دلفت خلفه لمكتبه، فصفق الباب خلفها بقوة، ثم استدار نحوها عاقدًا ذراعيه على صدره قائلًا بصوت يحمل غضبا متفجراً: "والآن هل لي أن أعرف عمن كنتِ تتحدثين أنتِ والآنسة هديل؟".

غمغمت وسن متحاشية النظر لوجهه: "كنت أتحدث عن العمل".

قاطعها هادرًا: "وسن.. لا تستغفلينني، لقد سمعت الحوار وأريد أن أعرف من هو؟ هل كنتِ تتحدثين عن صاحب الفيلا التي تعملين بها الآن؟".

اضطربت وسن قائلة باندفاعٍ: "لم يكن يحق لك التنصت، فأنا أتحدث مع صديقتي حديثًا عابرًا".

هتف ساجد: "وحينما يتعلق الحديث بكلام عن تعرضكِ لمحاولات تحرش حينها لا يعتبر حديثًا عابرًا".

هتفت وسن قائلة باندفاع: "لم أقل هذا، لقد قلت إني لا أرتاح لمعاملته، يشعرني وكأنه يضمر شيئًا ما".

رفع إصبعه أمام وجهها قائلًا: "إذن لن تكملي العمل في هذا المشروع".

هتفت معترضة: "وما صفتك لتتحدث معي هكذا؟ هذا عمل تابع لصاحب الشركة، وهو من كلفني بإتمامه، لذا لا يحق لك سحبه مني".

تصاعدت نبرة الغضب في صوته محذرًا: "لا تتحديني يا وسن، أخبرتكِ أن عملكِ بهذا المشروع قد انتهى".

اكفهر وجه وسن وتملكها شيطان العند فقالت: "إذن حين يأتيني أمر رسمي من السيد عدنان سأتوقف عن العمل به، أما قبل هذا فلن أتوقف".

تقدم منها بخطوات غاضبة فأسرعت تضع يدها على وجهها وتغمض عينيها لتنكمش على نفسها بطريقة مثيرة للشفقة مزقت نياط قلبه.

صُدم ساجد من ردة فعلها وجرحت قلبه بشدة، قال بصدمة: "وسن.. ما بكِ؟ لم أكن سأوذيكِ".

فتحت عينيها وقد ماجت بالدموع وغلفها الاضطراب، ظلت تنظر له لاهثة تحاول السيطرة على ارتجافها، ثم استدارت واندفعت من الغرفة بقوة.

هتف خلفها: "وسن.. انتظري، أنا آسف، لم أقصد أن أخيفكِ".

لكنها كانت قد صفقت الباب خلفها واختفت.

انطلقت مسرعة في خطواتها لتدخل حمام السيدات كالعاصفة، غير عابئة بنظرات السكرتيرة المدهوشة، أغلقت المرحاض عليها وظلت بالداخل تنتحب وتكتم شهقاتها لما يقرب من العشر دقائق، ثم خرجت من المرحاض لتنظر في المرآة تحاول أن تستجمع شتات نفسها وتعديل وضع وجهها المزري بأنفها المحمر وعينيها المتورمتين.

كانت قد تركت حقيبتها في غرفة مكتبها، لذلك استسلمت بأن تغسل وجهها بالماء البارد وتجففه.

ظلت تقف أمام المرآة خائفة أن تخرج فتسألها هديل عما ألمَّ بها، لكن اندفاع موظفتين إلى داخل الحمام أجبرها على إنهاء خلوتها والخروج لتواجه الواقع.

وقف ساجد من بعيد يرمقها بقلق يهم بالاتجاه نحوها إلا إنها أشاحت بوجهها واندفعت لغرفة مكتبها قبل أن يستوقفها.

هتهفت هديل حينما رأت وجهها: "يا إلهي، ما بكِ؟".

ثم أردفت بغضب: "هل ضايقكِ هذا المتوحش الهمجي؟".

اكتفت وسن بأن هزت رأسها نافية ولم تنطق.

نهضت هديل من مقعدها وتقدمت لوسن ممسكة يديها قائلة: "إذن لماذا كنتِ تبكين؟".

قالت وسن في محاولة للتحدث بهدوء يغالب اضطرابها: "لا شيء، أغضبني فقط تصرفه معنا".

قلدته هديل مكشرة بوجهها: "وسن.. اتبعيني، وأنتِ اخرسي يا هديل".

تبسمت وسن، ثم نظرت للباب بحذر هامسة: "اصمتي، لا نريده أن يعتقلنا هذه المرة بتهمة السخرية من جلالته".

اعترضت هديل بتفكه: "لا أستطيع، لقد أعجبني تنمره، وجدت فيه مادة خصبة للمزاح".

دفعتها وسن تجاه مكتبها ضاحكة: "اذهبي يا فتاة، بالله عليكِ اذهبي، سوف تأخذينا للجحيم بسبب لسانكِ الطويل هذا".

رفعت هديل كفيها مستسلمة قائلة: "حسنًا.. سأذهب، لا تدفعيني هكذا سوف تُسقطيني أرضًا يا جبانة".

عادت هديل لمكتبها بينما تظاهرت وسن بالانشغال في العمل، لكن شتان ما بين انتباهها منذ قليل وانتباهها الآن، فقد فقدت

شغفها بالعمل وضج رأسها بالذكريات، كلها ذكريات خاصة.. ومخيفة.

* * *

عبر المحيطات....

في ذلك الملهى الليلي، كان واصف يجلس على البار مع صديقه الأجنبي يتناول كأسا من العصير.

ضحك ويليام في سخرية من واصف قائلًا: "أمازلت لا تقرب الخمر، هل لك أن تخبرني لماذا؟ فلا يبدو أنك ملتزم بتعاليم دينك كما أخبرتني".

ضحك واصف قائلًا: "نفسي تعافها، لا أستسيغ طعمها"، ثم مال وهو يصفر بخفوت وينظر تجاه فتاتين حسناوتين تجلسان في مرمى بصره عبر البار.

نظر ويليام نحو الفتاتين ثم غمز لواصف: "أيهما أعجبتك؟".

نهض واصف نحو الفتاتين وهو يغمز لويليام قائلًا: "ستعرف عندما تراها ترافقني، هل ستحذو حذوي؟".

قال ويليام ضاحكًا: "لا يا رجل، أتريدني أن أخون زوجتي، اذهب ودعني لشأني".

اقترب واصف من الفتاتين، دار بينهما حديث ركيك بلغتها، ثم طلب منها أن تدله على عنوان فندق قريب ليقيم به، تطوعت

الفتاة وذهبت معه بينما ظلت صديقتها بالملهى وحدها بانتظار من تنهي معه سهرتها.

كان يغمز لويليام بعبث وهو يخرج بصحبة الفتاة، فانفجر الشاب الأسمر بالضحك مغمغماً: "يالك من ذئب يا رجل، كيف تحصل على كل هؤلاء الفتيات الفاتنات بينما أظل أنا أراقبك بأسى، هذا ليس عدلًا".

* * *

دلفت وسن لشقتها عند الخامسة، موعدها مع الطبيب بعد ساعة، لكنها قررت عدم الذهاب، سوف تتناول طعامها وتنسحب للنوم كي تُشغل نفسها عن التفكير.

اغتسلت ثم ارتدت ملابسها المنزلية الدافئة، ذهبت للمطبخ ترى ما يمكن إعداده للغداء.

رن هاتفها، نظرت إليه وعقدت حاجبيها متسائلة عن كنه المتصل، عندما تعذر عليها تذكر الرقم، وضعت الهاتف على أذنها لتجيب: "من معي؟".

صوته الرجولي اصطدم بأذنها وهو يقول بتساؤل: "ألم تسجلي رقمي بعد؟!!".

قالت وسن بعناد: "ولمَ أسجله؟ لا أحتاجه".

زفر بينما يقول بضيق: "حسنًا يا وسن، احفظيه عندك فربما احتجته فيما بعد".

ظلت صامتة، قال لها بهدوء: "وسن.. أنت تذكرين أن موعدك مع الطبيب اليوم، أليس كذلك؟".

قالت بتحد: "نعم أذكر، ولا لن أذهب".

صمت ليتحكم بغضبه، ثم قال بأقصى ما يتحمله من التظاهر بالهدوء: "هل لي أن أعرف السبب؟".

ردت بغباء: "ومن أنت كي أبرر لك قراراتي".

نفخ ساجد مستغفراً، ثم قال بمداهنة: "وسن.. أرجوك هذا ليس وقت العند الطفولي، لا تستخدمي موعدك مع الطبيب كسلاح لاستفزازي، فهي مصلحتك قبل كل شيء".

عادت لتقول بعند: "وأنا أعرف مصلحتي جيدًا ولن أذهب لأي مكان لا أريده، ثم لا يأخذنك الغرور لتتصور بأن لك أهميةً عندي فأسعى لاستفزازك".

عند هذا القول استفز ساجد، فقال بغل: "حسنًا يا وسن، لقد حاولت معك بالمنطق وعقلك الغبي هذا سيظل دائمًا عقبة أمام استيعابك كلما حاولت نصيحتك، الآن سأخبرك بأن أمامك نصف ساعة لتستعدي للذهاب وإلا أقسم لك ستجدينني عندك أطرق باب شقتك وأتسبب لك بفضيحة مدوية حيث تقطنين".

ردت برهبة: "أنت تمزح، فأنت لا تعلم أين أقطن".

قال بغضب: "جربيني يا وسن لتري إذا كنت أمزح أم لا، أمامك نصف ساعة وسأكون على مبعدة من شارعك السكني أنتظرك، دقيقة تأخير وسوف أصعد إليك، أحذرك، لا تجربي العبث معي".

ثم أغلق الهاتف بوجهها.

غضبت وسن، ظلت تسبه بصوت عال: "المتخلف، المعتوه، من يظن نفسه كي يعطيها الحق السافر للتدخل بحياتي".

ارتدت ملابسها سريعًا وصففت شعرها كيفما اتفق، فهي قد قررت أنها سوف تنزل لملاقاته كي لا يصعد لشقتها، وستخبره أن يذهب إلى الجحيم، ثم تصعد مرة أخرى ولن تذهب بقدمها كي تنبش ماض أهالت عليه التراب.

أو هكذا ظنت.

* * *

تجلس بسيارته شاعرة بالحنق الشديد؛ لأنه لم يسمح لها حتى بالصعود لإحضار حقيبتها، كانت قد نزلت تحمل مفاتيح شقتها وهاتفها فقط كي تخبره بما استقرت عليه، لكنه عنيد كالثور، أرغمها على ركوب السيارة بعد أن هددها بأنه سيفتعل معها مشكلة تلفت أنظار المارة لهما.

ظلت صامتة تنظر لخارج النافذة دون أن ترى الطريق، كان يراقبها بجانب عينه، يشعر بالغضب من نفسه لإرغامها على ما ترفضه، لكنها لم تدع له فرصة للتفاهم، فهو يشعر بمدى سوء ندوبها.

تظن أنها قد دفنت ماضيها وانتهت منه، لكنها لا تدري أن جروحها حية متقيحة نجحت في إهالة التراب عليها، ثم ظنت أنها قد تخلصت منها.

لا تعلم بأنها تحتاج إلى فتحها من جديد لتنظيف تقيحها وإغلاقها بمهارة حتى لا تترك أثرًا فيما بعد.

حاول أن يُخرجها من صمتها فسألها بهدوء: "هل تناولتِ طعامكِ؟".

ردت بغل دون أن تنظر تجاهه: "وهل تركت لي الفرصة لفعل أي مما أريد؟".

صمت برهة ثم قال: "هل أنتِ ودودة دائمًا هكذا؟".

التفت إليه ترمقه بغضب، ثم أجابته بسخرية مبطنة بالغضب: "نعم، ومرحة أيضا مع من يعاملني باستبداد".

نظر لها قائلًا بهدوء: "أعتذر إذا كنت قد فرضت عليكِ شيئًا ضد رغباتك، لكنها لمصلحتك".

عاود غضبها بالاشتعال فاندفعت هاتفة كقذيفة مدفع موجهة له دون مراعاة أنه رئيسها بالعمل: "وأنا أخبرتك من قبل، من أنت لتتدخل في حياتي وقراراتي بهذا الشكل السافر؟ اسمع يا سيد ساجد، أنا أخبرتك من قبل، لا أتقبل الأوامر ولا الصراخ عليّ بصوت عال، ولا تظن بأنك انتصرت عليّ بإحضاري رغمًا عني، هذه المرة فاجأتني فقط وستكون الأولى والأخيرة، لن أسمح لك، أتفهم أم أعيدها بصوت أعلى".

قال بصوت آسف: "أنا آسف بحق إذ ضايقتك بشدة هكذا، لكني لن أعتذر عن إرغامك للحضور في موعدك للطبيب، فسأعيدها مرارًا وتكرارًا كلما شعرت أنك تقصرين بحق نفسك، لذلك أنصحك بأن تفكري مليًا بقراراتك التي تتخذينها، وهل هي

تناسب صحتك أم لا، فستجدينني بكل مرة أرغمك على فعل ما هو الأصلح لكِ، ولا تعتبرينها معركة للفوز أو الخسارة، مصلحتك فقط من تهمني".

تطلعت له بذهول، ثم نطقت وقد تقطع كلامها من شدة الصدمة الممتزجة بالغضب: "أنت، ألا تفهم كلامي؟ ما صلتك بي كي تتقبل أو لا تتقبل ما أفعله، أنت مجنون بحق، حتى أهلي لم يجبروني على أي شيء لا أريده".

تبسم بسخرية وهو يقول: "اعتبريني مجنونًا وكفِّي عن مقاومتي، فالمقاومة تزيد المجنون جنونًا، أما بالنسبة لأهلك فلن أتحدث عنهم بسوء، يكفي ما طالك في الماضي بسببهم".

عقدت حاجبيها وقد كاد الغضب أن يفتك بأعصابها فصرخت: "لا تتحدث عن أهلي بسوء، إياك".

وضع يده على أذنه كي يقلل من اختراق صوتها لطبلة أذنه وهو يرفع صوته: "اهدئي يا وسن، ما بكِ؟ أنا لم أقصد المساس بأهلك، فقط أردت إيضاح الحقائق لكِ".

قالت وسن بغضب والدموع قد بدأت تتجمع في عينيها وتنذر بالهطول: "أنت تطالني بكل كلام مسيئ، تجرحني المرة تلو المرة ثم تعتذر بأنك لا تقصد، عذر أقبح من ذنب، أنصحك بأن تغلق فمك ولا تتحدث معي بعد الآن، هكذا أفضل لكلينا".

ثم وضعت كفها على وجهها تتمالك نفسها قبل أن تبكي.

ظل ساجد صامتًا لا يجد ما يقوله، هو حتى لا يجرؤ على الاعتذار خوفًا أن يبكيها، كان يريد لها لملمة شتات نفسها، لا يستطيع رؤية دموعها فدموعها تقهره، لذلك التزم الصمت.

ظلت هكذا تضع يدها على وجهها وتستند بكوعها على ركبتيها حتى سمعت همسه: "وسن.. لقد وصلنا".

لم تجبه، أنزلت يديها من على وجهها، فكت حزام مقعدها وترجلت من السيارة دون أي كلمة، سبقته لتدلف للعيادة وتسجل حضورها، ثم تجلس على مقعد وحيد شاغر في أحد الأركان لتمنع عنه فرصة الجلوس بجوارها، اتخذ ساجد مقعدًا مواجهًا لها وجلس، لم تنظر تجاهه، تشاغلت باللهو على هاتفها تاركة إياه يكاد يغلي.

يشعر بالخوف عليها، ويشعر بالسوء لتجريحها.

مشاعر متضاربة مجنونة تتملكه في حضورها، مشاعر رجل يعشق بجنون، ضاع حبه فدفنه داخل قلبه لسنوات، وكل فترة كان يزيح عنه التراب، يتجرع كأسًا من الاشتياق ثم يعود لمرارة الحرمان من جديد.

* * *

في غرفة الطبيب....

رجل في عقده الخامس أو ربما السادس من العمر، ملامحه لا تشي بعمره الحقيقي، على وجهه ملامح التسامح مع النفس والزمان.

التفت لوسن يتأملها، كانت تتشاغل عنه بالنظر إلى شهاداته الطبية والدراسية المعلقة على الجدران، تجلس بتحفز في مقعدها بغير استرخاء، ظل ينظر لها يتابع ما تفعله ثم تنحنح بهدوء: "مرحبًا وسن، سعدت بحضورك".

التفتت تنظر إليه مغمغمة بتوتر: "شكرًا لك".

ظل صامتًا ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة حانية ثم قال: "يبدو إنك كنتِ تنوين عدم الحضور، أليس كذلك؟".

تطلعت له وسن بدهشة وقد ألجمتها المفاجأة بتخمنيه لنواياها، ثم أسرعت بخجل لتنفي، لكنه ضحك وهو يقول: "وهذا أيضًا غير حقيقي، طريقة نفيك للموضوع تؤكد نظريتي".

فتحت فمها وقبل أن تنطق أشار لها بيده: "استرخي يا وسن، أنتِ تتخيلين إني ساحر أعلم خبايا القلوب، أليس كذلك؟".

ثم مال ضاحكًا للأمام ينظر لها من فوق عويناته: "صدقي أو لا تصدقي، إنه علم".

نظرت له باهتمام وقد بدأ الفضول يُنسيها توترها، استطرد الطبيب كلامه: "انظري إلى هذه الشهادة يا وسن وأخبريني بما كُتب بها".

قالها وهو يشير إلى إحدى شهاداته المعلقة على الجدار.

نهضت وسن لتقترب من الشهادة وتقرأ بتمتمات شفتيها الشهادة، والتي مفادها أنه حاصل على شهادة الدكتوراة في الطب النفسي عن بحث مقدم وموضوعه لغة علم الجسد وكيفية قراءتها.

قرأتها فأشار لها بيده لتعد لمقعدها، عادت وجلست ومازالت ملامح الحيرة مرتسمة على وجهها، فهي لم تفهم إلام يرمي بحواره هذا.

قال الطبيب: "هل فهمتِ شيئًا؟".

هزت رأسها نافية، فضحك قائلًا لها: "حسنًا.. سأشرح لكِ ببساطة، منذ قليل كنتِ تجلسين بتحفز على حافة الكرسي، تتحاشين النظر إليَّ وكأنكِ لا تريدين التحدث وتستعدين للهروب في أي لحظة، وهذا ما أوصلني لفكرة واحدة، وهي إنكِ ترفضين مقابلتي لأنكِ ببساطة تخشين أن أعرف ما تُخفينه، أرأيتِ؟ هذا ما يسمى بلغة الجسد، فالإنسان عندما يقوم بتصرف ما، يستطيع أي خبير بلغة الجسد أن يعرف ما خلف تصرفه، أعطيكِ مثلًا، الكاذب غير المتمرس عندما يكذب تظهر عليه علامات خفية كنظرات عينه أو حركات يده من خلالها أستطيع أن أحكم على مصداقيته في الحديث معي، الآن هل وصلتكِ الفكرة؟".

كانت وسن تنظر له مبهورة من سرده للمعلومات بكل هذه البساطة.

تطلع لها الطبيب مبتسما وهو يضحك: "والآن أنتِ أكثر استرخاء، أليس كذلك؟".

تبسمت وسن بحرج وهي تهز رأسها بنعم.

شبك كفيه أمام وجهه يسألها بتأن: "الآن نعود لسبب جلستنا، لماذا ترفضين المواجهة؟ هل تتألمين من ذكرياتك، أم تخشينها فتلجأين لدفن رأسك كالنعام؟".

ارتسم الألم على ملامحها ولم تجب، كانت تخشى الحديث، لا تدري ما السبب، لكنها ومنذ انتهى ذلك الموضوع لم تعد تتحدث مع أحد بخصوصه حتى أسرتها، استغرقها الأمر عامًا كاملًا لتتعافى أو هكذا ظنت وتقف على رجليها من جديد، كانت قد دفنت ذكرياتها في أعمق أعماق ذاكرتها، وبين الفينة والفينة كانت تطفو بعض منها على السطح فتعكر صفاء حياتها.

عندما وجدها الطبيب صامتة لا تُظهر أي استعداد للكلام تابع حديثه: "وسن.. أنتِ أخبرتني في الجلسة السابقة بأن أعراض نوبات الهلع قد بدأت منذ خمسة أعوام فقط، أليس كذلك؟".

أجابت وسن: "نعم".

هز رأسه بفهم وهو يقول: "إذن هناك سبب لظهورها في هذا التوقيت، أليس كذلك؟".

قالت بقلق مكتوم: "ربما، لست أدري".

هز رأسه مؤمنًا: "حسنًا يا وسن، سوف نلعب معًا لعبة، أنا أسال وأنت تجيبين بالنفي أو الإيجاب، بسيطة؟".

أومات بالإيجاب.

ظل الطبيب يسأل ووسن تجيبه بحذر منزلقة إلى فخ أسئلته حتى وصلت إلى الجزئية الخاصة بزواجها السابق.

حينها تلجمت ونظرت له باضطراب، ثم نهضت من مقعدها بينما تغمغم بخفوت: "معذرة أريد الخروج الآن".

ابتسم الطبيب قائلًا بلطف: "ألا تريدين إكمال الجلسة؟".

قالت بتوتر: "لا أستطيع، لا أريد".

نهض قائلًا بتفهم: "حسنًا.. يكفي هذا اليوم، لنا لقاء آخر يا وسن فقد استمتعت بمجالستك".

تمتمت وسن بقلق هامسة: "أنا كذلك، استمتعت بلقائك سيدي الطبيب".

دار حول مكتبه ليقترب منها قائلًا: "في أي وقت يا وسن، إذا أردتِ الكلام بأي وقت فأنا موجود ولن أخذلك، والآن لا تنسي تأكيدَ موعد جلستك مع السكرتيرة بالخارج بعد أسبوع، اعتني بنفسك ولا تضغطي عليها كثيراً".

فتح لها الباب فخرجت وسن باضطراب.

كان اضطرابها أقل من ذلك الذي أصابها منذ أسبوع بعد الجلسة الأولى.. أقل إلى المنتصف.

* * *

وجدت ساجد بانتظارها، لم تلتفت تجاهه، أكدت حجزها مع السكرتيرة، ثم سبقته بالنزول من العيادة، خرج خلفها وعندما استقرا في السيارة التفت إليها قائلًا: "لقد أحضرت لكِ بعض شطائر اللحم بينما كنتِ بالعيادة، هل تريدين تناولها الآن؟".

هزت رأسها بالنفي، فقال: "حسنًا، سوف أوصلكِ لمنزلك وبإمكانك تناولها هناك".

قالت بهدوء: "لست أريدها، شكرًا لك".

عقد حاجبيه يسألها بقلق: "أمازلتِ غاضبة مني؟".

لم تجبه، واكتفت بأن أدارت رأسها للنافذة تنظر للخارج بقلة اكتراث.

كانت تشعر وكأنها تطفو في مكان آخر، عقلها يرسل لها ومضات مضطربة من ذكريات باهتة تحاول وأدها كلما حاولت الظهور، وكأن جلستها مع الطبيب النفسي ترغمها على إعادة فتح الدفاتر المغلقة بأعماق عقلها والنبش بها.

سألها ساجد وهو يلمح حالة السكون التي حلت عليها: "كيف كانت جلستك، هل كانت مثمرة؟".

ردت بينما تتحاشى النظر إليه: "كانت جيدة".

قال مفكرًا: "إذن ستحضرين الجلسة المقبلة أليس كذلك؟".

اكتفت بأن قالت: "لست أدري، ربما إن سمحت الظروف".

قال مذكرًا إياها: "سوف تسمح يا وسن لأني سأستمر بإيصالك إلى جلساتك حتى أتأكد بأنك لن تهربي منها".

نظرت له بغضب تصر على فكها وتعتصر شفتيها عصرًا، لكنها التزمت الصمت، لم يمكن مزاجها يسمح لها بالمهاترة والجدال.

قال بصوت حاول أن يجعله مرحًا: "لا تنظري إليّ هكذا، أنا أعمل هذا لصالحك فأنتِ مازلتِ طفلة عنيدة".

أشاحت بوجها بغيظ قائلة: "شكرًا لك، يسعدني وجود من ينحشر داخل حياتي حشرًا دون أن يبالي برأيي".

تبسم قائلًا: "وما هو رأيك يا تُرى؟".

قالت محذرة: "أفضِّل أن أحتفظ به لنفسي؛ فقد يجرح مشاعرك".

ضحك بصوت عال ثم قال: "يا إلهي، يبدو أن رأيك بي مشرف".

ضحكته المرتفعة صفعت أذنيها فالتفتت إليه، أحست بقبضة تعتصر معدتها وقلبها يتقافز بجنون،

وجهه كان مختلفًا وعيناه تلتمعان بشكل مختلف.. مؤثر وجاذب للأنفاس.

حبست أنفاسها في صدرها، كتمت شهقة إعجاب كادت تفلت منها، استدرات سريعا تنظر من النافذة قبل أن يلحظ نظراتها الغريبة، ويلمس اضطرابها المجنون.

* * *

كانت الساعة قد جاوزت الثامنة بقليل عندما وصلت وسن إلى شارع سكناها، وقبل أن تترجل من السيارة قالت وهي تهمس بخفوت ونظراتها للأسفل: "أشكرك مهندس ساجد على اهتمامك بأمري، لكن أرجوك لا تتعب نفسك مرة أخرى، بإمكاني الذهاب لوحدي فيما بعد".

تهلل وجه ساجد قائلًا بجزل: "يُسعدني أن أهتم بكِ وسن، فهو أحد أولويات حياتي الآن، كما يسعدني قرارك بالذهاب وَحدك لموعد الطبيب، فهو دليل على سعيك الجاد للتخلص مني، أليس كذلك؟".

قالت بجدية: "صدقًا أنا لا أمزح بشأن هذا الطلبِ، أنا لا أحبذ التدخل في حياتي وتغيير مبادئي بهذا الشكل، رجاءً يا ساجد لا تضغط علي بهذه الطريقة".

كانت تتكلم بعفوية فلم تلحظ نطقها لاسم ساجد مجردًا ولأول مرة دون ألقاب، ولم تلحظ التغيرات التي طرأت عليه وهو يسمع اسمه من شفتيها هكذا.

وعندما وجدته صامتًا لا يجيب رفعت وجهها تنظر إليه لتصدمها نظرات عينيه المتألقة، وتلك الابتسامة الجذلة على شفتيه محدقًا بها بشغف.

احمر وجهها وهبطت بنظراتها مرة أخرى لتنظر ليدها المعقودة في حجرها، لكنه همس بصوت أجش من تأثير عاطفته المكبوتة: "إذا أردتني أن أنفذ ما تريدين فقط قوليها".

نظرت له بحيرة قائلة: "ماذا أقول؟".

قال وعيناه تتألقان زيادة: "قولي ساجد كما نطقتها منذ قليل".

اشتعل وجهها بالاحمرار وكأنه على وشك الاحتراق، نظرت له مبهوتة ثم استدارت لتفتح باب السيارة وتترجل على عجل، وقبل أن تُغلقه ناداها: "وسن.. انتظري".

ظلت متسمرة مكانها دون أن تجرؤ على النظر لوجهه، كانت يده تمتد من النافذة بينما يقول لها بإصرار: "خذي شطائرك لتتناوليها، لن أقبل بالرفض".

كانت تشعر وكأنها على وشك فقدان تعقلها، فمدت يدها لتتناولها منه وتستدير لتمشي بخطوات أقرب للعدو نحو البناية التي تقطنها.

ظل ساجد ينظر إليها حتى اختفت عن ناظريه، ثم مال برأسه ليضعها بيأس على المقود متمتمًا بأسى على حاله: "إلى متى ستظل متعلق بسراب؟".

أفق يا ساجد.. أفق، يكفيك ما أضعته من عمرك هدرًا منذ سنوات.

* * *

جلست وسن أمام مائدة الطعام بالمطبخ، تضع الشطائر الشهية الرائحة بجوارها دون أن تجرؤ فعليًا على تناول أي منها، فقد كانت تشعر بأن معدتها متقلصة تعاف الطعام، اكتفت بكوب من مشروب الشوكولاتة الساخن عله يبعث الدفء في أوصالها التي تجمدت، ويبث قليلًا من الاسترخاء لقلبها الذي يتقافز بجنون داخل صدرها.

هتفت لنفسها برهبة بينما تضرب بقبضتها على جبينها بحركات رتيبة: "وماذا بعد يا وسن؟ ما الذي يحدث معك الآن؟".

استمرت في تأنيب نفسها: "تعقلي يا وسن، امسكي زمام حياتك لا تفقديها، وتذكري آخر مرة سلمت قلبك لرجل ما حدث لك، كل الرجال متشابهون ابتداء من واصف أخي مرورًا بنادر وانتهاء بساجد".

كانت تردد الكلمات بصوت مسموع، وكأنها تحدث أحدهم، استمرت تقول وقد غلبها البؤس: "ياربي هأنذا أتحدث لنفسي كالمجاذيب، لماذا يحدث لي هذا؟ أنا لا أريد هذا، لا أريده أبدًا، أرجوك يا إلهي ألهمني القوة وأرشدني للصواب".

ثم مالت برأسها لتلصقها بالطاولة الباردة بحثًا عن دعم لرأسها المثقل بالأفكار والذكريات.

أفكار مضطربة، وذكريات سوداء.

❋ ❋ ❋

الفصل الخامس

ذكريات بمرارة العلقم....

-"نادر.. أرجوك دع يدي هذا لا يصح"، كانت وسن تسحب يدها من قبضة نادر المحكمة الإغلاق عليها حتى كادت تعتصرها بلا جدوى، نظرت حولها بقلق في ذلك المطعم الفخم الأنيق لتجد أن رواده كل منشغل بنفسه.

قال لها نادر بنبرة تملكية: "وسن.. لا تشغلي بالك، كل هؤلاء لن يلتفتوا إلينا، لا تشغلي بالك بهم".

ثم مال نحوها مستطردًا: "كما إني أحب أن أمسك يدك وأضمها إلى قلبي لتشعري به، ألا يكفيكِ رفضك معانقتي وإذاقتي قليلًا من حلاوتك".

احمرت وسن وهي تصر على أسنانها: "تحشم يا نادر، سبق وأخبرتك أني لست من هذا النوع".

تبسم بتكاسل عائدًا بظهره للخلف: "أخبريني يا حبيبتي من أي نوع أنتِ؟".

عقدت حاجبيها بضيق لتقول بصوت متذمر: "لا تعبث معي يا نادر، لقد أخبرتك من قبل أنا لا أحب التجاوزات بيننا، فما زلنا في فترة الخطوبة".

تنهد في حسرة قائلًا: "أنتِ من تصرين على إطالتها، ماذا سيحدث لو تزوجنا الآن، أنا أرغبُ بكِ وبشدة".

هتفت محذرة: "نادر!".

ابتسم متراجعًا بينما يقول: "لا تسيئي فهمي يا حبيبتي، أنا أرغب بالزواج منكِ كي أضمك لصدري، أعلمك معنى العشق والغرام، أذيقك من حبي واشتياقي لكِ ما لا تتحملين".

ثم نظر لها وهو يهمس: "أعشقك يا وسن، وأعشق براءتك وجمالك".

اعترضت بخجل: "لست جميلة كما تقول".

وضع يدها على فمه ليقبلها وهو يطيل النظر لعينيها: "أنتِ أجمل نساء الأرض".

خفق قلبها وأخفضت نظرها للأرض.

كانت نظراته لها تحمل شيئا وقحًا وتملكيًا، لكن وسن بقلة خبراتها وسذاجتها لم تفهمها.

اغترت بكلامه، وصدقت عشقه المسموم، عشق يحمل الدمار.

* * *

أفاقت من إبحارها في الماضي لترفع رأسها من على الطاولة.

حملت الطعام من على المائدة ووضعته بالثلاجة، ثم حملت قدحها الفارغ ووضعته بالحوض، لم تجد الرغبة حتى لتنظيفه فتركته كما هو.

خرجت من المطبخ تمشي بخطوات مثقلة لترتمي بغرفتها على سريرها وتضع غطاءها عليها كيفما اتفق لتغرق في نوم سريع، نوم بلا أحلام، أو كوابيس.

* * *

في الصباح استيقظت وسن على صوت منبهها، كانت تشعر بآلام روحها مسلطة على جسدها وكأن هناك شاحنة قد دهستها أثناء نومها.

قامت بتكاسل من فراشها لتعد فنجان قهوتها المعتاد وتتناول شطيرتها البائسة بالجبن.

جالسة على مائدتها تتناول إفطارها بصمت، مدت يدها تفتح هاتفها لتلفتها وجود رسالة لم تقرأها، طالعت الرسالة، كانت من رقم ساجد الذي حفظته عن ظهر قلب ولم تسجله بعد، وكأن عدم تسجيلها له ينفي وجوده في حياتها.

قرأت الرسالة: (وسن.. أعدك بألا أضغط عليك لأجبرك للذهاب معي للطبيب إذا وعدتني بأنك ستذهبين وحدك ولن تتهربين، آسف لكل فعل ضايقتك به، ساجد من فمك أشعرتني كم هو اسمي جميل، أنتظر سماعها منك مرة أخرى، لا أستطيع النوم).

أغمضت عينيها، تسلل لوجهها شبح ابتسامة حاولت وأدها قبل ولادتها.

نظرت لوقت الرسالة فوجدتها الواحدة بعد منتصف الليل.

- "يا إلهي إنه مجنون"، غمغمت لنفسها بينما تهم بالذهاب لارتداء ملابسها، لم تنتبه للابتسامة المرتسمة على شفتيها، ولا للحيوية التي انتابت خطواتها، كانت عيناها متألقتين، وكأن نجوم السماء قد سقطت لتلتمع فيهما.

* * *

أمام مصعد الشركة وقفت هديل تنتظر وصوله بينما تهتف في الهاتف: "وسن.. أنت عديمة الدم، كيف تسبقينني إلى المكتب بينما أنتظرك كالبلهاء في الأسفل".

كانت تعقد حاجبيها في غضب وتلوح بيدها في كل اتجاه، لم تنتبه للنظرات المحدقة فيها من خلفها، نظرات لاهية مبتسمة لطريقتها الطفولية الغاضبة في الكلام.

وصل المصعد فدلفت إليه وهي تكمل: "حسنًا.. اغلقي الهاتف يا وسن فلن أكلمك الآن، حسابك معي فيما بعد"، ثم أغلقت الهاتف وهي تمط شفتيها في سخط.

دلف خلفها شاب في منتصف عقده الثالث من العمر، متوسط القامة، نحيل البنية، ذو شعر أسود متموج مصفف للخلف، بشرة قمحية تلتمع بها عينان سوداوتان.

أغلق باب المصعد، التفت الشاب إليها قائلًا في بساطة: "صباح الخير، أي دور تريدين؟".

نظرت إليه وفجأة التمعت المعرفة في عينيهما، أطرقت رأسها بخجل بينما هتف هو بعفوية: "أنتِ فتاة المطعم؟".

رفعت رأسها وقالت باندفاع: "أي مطعم؟ لا أتذكر".

ضحك في بشاشة قائلًا: "لقد رأيتكِ ذلك اليوم حين كنت تعطين لصديقتك بعض النصائح حول....."،

ثم بتر كلامه متنحنحًا بحرج: "عن شيء ما لا أتذكره الآن".

عبست وقالت لتداري حرجها: "المعذرة ، لست أتذكر أني رأيتك من قبل".

ضحك قائلًا بعفوية: "لكن أنا أتذكر جيدًا"، ثم قال بتدارك: "يا لقلة ذوقي، لقد نسيت أن أعرفكِ بنفسي كأي سيد مهذب، أنا عبد الرحمن سيف الدين، أعمل كمحامي مستقل، وأنتِ؟".

ردت بعبوس: "لقد وصل المصعد للطابق الذي أنشده، المعذرة، سوف أخرج هنا".

ثم اتبعت قولها بالفعل مندفعة من المصعد كالقاذفة.

خرج خلفها يضحك في سره قائلًا: "يالها من فتاة مسلية، طفلة وتلقائية".

لوح لسكرتيرة مكتب ساجد بيده محييَا، ثم سألها إذا ما كان ساجد بالداخل، أجابت السكرتيرة تحيته، ثم نهضت لتطرق باب مكتب ساجد قبل أن تفتحه وتشير لعبد الرحمن بالدخول.

دلف عبد الرحمن ليصيح بسرور: "ساجد حبيب قلبي، لقد افتقدتك، ما هذا المكتب الضخم! لقد كبرت يا رجل".

قام ساجد من مقعده ليحتضنه بحبور بينما يدك كتفيه دكًا كنوع من الترحيب.

أمسك عبد الرحمن بكتفه متألمًا ثم هتف به: "حرام عليك، أتستعرض قوتك البدنية عليّ وتسميها ترحيباً، منك لله يا ظالم".

انفجر ساجد ضاحكًا ثم أشار لصديقه الأقرب بالجلوس.

كان عبد الرحمن صديق طفولة ساجد، يقطن بجوار منزل جديه الذي كان ساجد يزورهم باستمرار في عطلاته التي يأتيها من الخارج، حيث يقيم معهم طوال فترة الصيف، ثم يعود ليسافر وقت الدراسة مرة أخرى.

والد ساجد كان متزوجًا من أجنبية ويقيمان خارج البلاد، وقد ارتأى أن أفضل طريقة ليحافظ على عاداته وتقاليده وتمسكه بالأخلاقيات هو أن يرسل ساجد ليقيم مع والديه طوال فترة العطلة.

قال عبد الرحمن ضاحكًا: "انظر ماذا وجدت، أيعقل أن تكون الفتاتان اللاتي رأيناهما في ذلك المطعم

تعملان هنا؟".

استفهم ساجد بتوجس: "لم تسأل؟".

قال عبد الرحمن ببشاشة: "لقد صادفت إحداهما في المصعد، تلك ذات الشعر الأسود القصير، كانت تتشاجر في الهاتف مع إحداهن، وأعتقد أنها صديقتها الأخرى التي لا أتذكر شكلها"، ثم استكمل حديثه بمرح: "تبدو فتاة مضحكة بطريقة طفولية".

كان ساجد ينظر إليه وتتراقص على شفتيه ابتسامة مرحة ثم قال بمكر غامزًا: "وماذا؟".

نظر عبد الرحمن لابتسامة ساجد المتفكهة ثم قال بدفاع: "ماذا؟ أنا أحكي فقط، لا تكن سيئ النوايا يا رجل".

قال ساجد بفكاهة: "لمعلوماتك هي عزباء وتبحث عن فتى الأحلام، وأنت أعزب وتراها لطيفة، إذن ما المانع؟".

ثم مال نحو عبد الرحمن غامزًا: "بعض النوايا السيئة لأجل أن تسير الحياة لا تضر أبدًا".

لوح عبد الرحمن بيده قائلًا: "لا تتحامق يا ساجد، لا أعرف عنها شيئا كي أفكر هكذا، ثم إنها تبدو من النوع الحالم، وأنا أبحث عن فتاة متزنة، عاطفتها لا تسبق تفكيرها".

قال ساجد بمرح موبخًا إياه: "وأنت ما شاء الله عليك عاقل ومتزن وتبحث عن لوح من الثلج ليكمل لك جو البرودة الأسري التعيس الذي تريد تأسيسه، بعض من العاطفة كي تذيب برودتك يا صديقي، لن تكون تلك حياة إذا ما تزوجت شبيهة لك".

قلب عبد الرحمن شفتيه بامتعاض ليقول بعدها: "حين أجد من تناسب تفكيري سأتزوج، دعك من هذا الموضوع الآن، لقد جئت لك لأجل شيء آخر".

* * *

خرجت وسن من مبنى الشركة تتبعها هديل، كانتا ذاهبتان لمقابلة متعهد الزجاج في فيلا وهدان والذي أبلغهما أن تصميم الجدار الزجاجي المزخرف الخاص ببهو الفيلا قد اكتمل وسوف يذهب لتركيبه اليوم.

وقفت وسن تنظر لإطار سيارتها الهابط على الأرض في بلاهة ثم هتفت بتأفف: "وماذا بعد؟".

تقدمت هديل تنظر للإطار، ثم انفجرت ضاحكة لتقول بفكاهة: "وماذا بعد؟ بعد ذلك سوف تستبدلين الإطار بآخر ممتلئ إلا إذا كنتِ لا تملكين واحدًا".

هتفت وسن بسخط: "اصمتي يا هديل، لا تنقصني فكاهتك الآن بدلًا من تقديم المساعدة، أعرف ما عليّ فعله".

قالت هديل بتذمر: "والآن تصبين غضبك عليّ، ما ذنبي إذا كان إطارك خربًا، ثم ألا تعتبرين ذهابي معك لفيلا الشؤم بحد ذاته قمة المساعدة؟ حسنًا.. سوف أعود لعملي واذهبي لمقابلة متعهد الزجاج وحدك".

استدارت لتغادر لكن وسن هتفت: "انتظري يا هديل، كفي عن طفوليتك وهيا ساعديني لاستبداله".

عادت هديل متأففة تقول: " أتتذمرين عليّ ثم تنعتيني بالطفلة، لن أساعدك قبل أن تعتذري".

قالت وسن بتذمر: "حسنًا.. أعتذر، أيعجبك ذلك الآن؟".

أخرجت لها هديل لسانها ثم قالت مغيظة: "نعم.. أفضل".

ضحكت وسن من تصرفاتها، ثم فتحت حقيبة سيارتها بينما تطلب من هديل أن تعاونها في إخراج الإطار الجديد، كانتا قد رفعتا الإطار إلى حافة الحقيبة عندما سمعتا صوتًا رجوليًا يقول: "معذرة، هل يمكنني مساعدتكما؟".

التفتا إليه فأفلت الإطار من يد هديل ليسقط على يد وسن في الحقيبة مرة أخرى، أطلقت صرخة ألم وهي تلكز هديل في كتفها هاتفة بألم: "احترسي".

هتف الرجل بقلق: "هل أصاب يدك مكروه؟ دعيني أنظر إليها".

التفتت له وسن متألمة بينما تحاول تحريكها: "لا أدري، تؤلمني بشدة".

قالت هديل: "ستكونين بخير، دعينا نذهب للمستشفى لنطمئن".

لوحت لها وسن بكفها لتتحامل على ألمها: "لا، لقد أصبحت بخير، سوف تتحسن".

ثم نظرت للرجل مغمغمة: "أشكرك".

قال الرجل بعفوية: "على الرحب والسعة، دعيني أستبدل لكِ الإطار".

قالها وحمل الإطار الممتلئ بكل بساطة ليضعه على الأرض ويبدأ في حل القديم من مكانه.

قال ليقطع الوقت بالحديث معهما: "هل تعملان في مكتب الاستشارات الهندسية هنا؟".

نظرت له وسن فلكزتها هديل بينما تغمز بعينيها لتفهمها بأنه ذلك الشخص التي كانت تحدثها عنه أثناء استراحة الغداء.

لم تستوعب وسن غمزة هديل فنظرت لها بحيرة ملوحة بيدها علامة الاستفهام، لمحها عبد الرحمن فنظر لهديل ضاحكًا: "لا تلكزيها يا آنستي، لقد رأيتكِ".

ثم نظر لوسن قائلًا: "دعينا نبدأ من جديد، أنا عبد الرحمن سيف الدين، لقد قابلت زميلتك صباحًا في المصعد، لكنها هربت قبل أن تتم التعارف، يبدو أنها تضايقت مني".

قالها وهو يلتفت لهديل ضاحكًا فأطرقت برأسها تتحاشى نظراته وقد احمر وجهها لتغمغم بكلمات غير مفهومة بأنها لم تتضايق.

هنا ضحكت وسن بفهم وقالت لتداري حرج هديل: "مرحبًا، أنا وسن وهذه صديقتي هديل ونحن نعملان هنا في قسم الديكور".

قال عبد الرحمن بفهم: "إذن أنتما تعملان مع ساجد".

قالت وسن بوجوم: "المهندس ساجد مديرنا".

أنهى عبد الرحمن تركيب الإطار فقال وهو يلملم أدوات التركيب وينهض: "أنا سعيد بمعرفتكما".

قالت وسن ببشاشة: "نشكرك جديًا لمساعدتنا، فلم أكن أدري كيف كنت سأفعلها وحدي".

كانت هديل تتشاغل بالنظر لهاتفها، فقال عبد الرحمن وهو ينظر لها ضاحكًا: "كانت صديقتك التي أكلت القطة لسانها ستساعدك بالتأكيد".

نظرت له هديل وقد عقدت حاجبيها لتقول بنبرة هجومية: "عفوًا؟!".

قال لها بعفوية وهو مازال يبتسم: "أنتِ تتكلمين؟ لقد ظننتكِ بكماء!!".

حدقت به بغضب، ثم التفتت لوسن قائلة بعصبية: "هيا يا وسن فلقد تأخرنا بما فيه الكفاية"، ثم التفتت لتقول لعبد الرحمن بخشونة: "شاكرين لك مساعدتنا".

هز كتفه ببساطة: "العفو، أنا في الخدمة، يمكنكما أخذ رقم هاتفي إذا ما قرر الإطار أن يفعلها مرة أخرى".

أطلقت وسن ضحكة عفوية بينما قلبت هديل وجهها وهي تسرع لتركب السيارة كي لا تظهر ضحكتها التي كتمتها بالقوة.

لم تكن وسن مدركة وقوف ساجد على بعد يرمقها بنظرة غضب قادرة على إحراقها، وبشدة!

* * *

بعد عودتها من فيلا وهدان....

كانت وسن تتألم من كفها وقد تورم قليلًا واحمر جلده.

ابتلعت حبة مسكن وأخرجت من مجمدة ثلاجتها كيسًا للخضروات المجمدة فوضعته على يدها، لكنها لم تتحسن، ازداد الألم حتى تجمعت بعض قطرات العرق على جبينها وتجمعت الدموع بعينيها.

كانت لا تدري كيف تتصرف ما بين ألمها الذي يزداد ورهبتها من دخول المستشفى، لكن ألمها المتفجر تغلب على خوفها فرفعت هاتفها بيدها السليمة متأوهة تداري ألمها لتتصل برقم هديل.

-"هديل يا إلهي وضع يدي مزري، إني أتألم منها وقد تورمت، قابليني في مستشفى.. وذكرت اسمها".

رد ساجد بقلق: "ما بها يدك يا وسن، هل أنت بخير؟".

دُهشت ونظرت في هاتفها لتجد أنها لم تتصل بهديل فقد اتصلت بالخطأ برقم ساجد الموجود في سجل المكالمات.

قالت وهي تكتم تألمها: "أنا آسفة، أنا بخير لقد اتصلت بالخطأ، معذرة لإزعاجك"، ثم أغلقت الخط، كان ألم يدها الذي لا يطاق يطغي على حس اللياقة عندها.

أخرجت رقم هديل بحذر هذه المرة تتأكد من صحته قبل أن تطلبها لتمليها عنوان المشفى التي ستذهب إليها، وتطلب منها أن تقابلها هناك.

ارتدت ملابسها على عجل، ثم نزلت لتلقي نفسها في أقرب سيارة أجرة لتذهب للمستشفى.

لم تكن هديل قد وصلت بعد، احتارت أن تدخل أم تنتظرها، اتخذت قرارها لتدخل قسم الطوارئ بينما تلهث من شدة الألم.

أسرع إليها الطبيب ليفحص يدها ثم طلب منها إجراء أشعة ليقرر ما إذا كان العظم قد كسر أم شرخ.

كان خوفها من المستشفيات قد بدأ يطفو على السطح، فتعرقت وبدأت نبضات قلبها بالتقافز بجنون.

ظهرت هديل على باب حجرة الانتظار، اندفعت للداخل هاتفة: " آسفة يا وسن، كان الطريق مزدحمًا قليلًا، هل يدك بخير؟".

هزت وسن رأسها بالإيجاب بينما تحاول أن تهدئ من تلاحق أنفاسها بأخذ نفس عميق ثم إخراجه كما علمها طبيبها النفسي.

لكن هديل قالت بقلق: "هل أنتِ بخير؟ تبدين شاحبة ومتعرقة".

قالت وسن لاهثة: "فقط متألمة، لقد طلب الطبيب أشعة ليدي وأنا بانتظارها".

كانت حالة القلق التي تنتابها مازالت مستمرة، أخرجت حبة دواء كان طبيبها قد وصفها في حالة ازدياد خفقان قلبها لإعادة تنظيم نبضاته ووضعتها في فمها لتبتلعها دون ماء، ثم طلبت من هديل أن تحضر لها زجاجة مياه، جلست على المقعد تحاول أن تنظم أنفاسها بينما تغلق عينيها.

فتحت عينيها فجأة على صوت ساجد القلق هاتفًا بها: "وسن.. هل أنتِ بخير؟".

كانت أنفاسها قد هدأت وقد استعادت سيطرتها على نبضات قلبها قليلًا بعد أن تناولت حبة الدواء.

عقدت حاجبيها قائلة بضيق: "لم أتيت؟ أخبرتك إني بخير".

قال بصوت منفعل قليلا: "هل تريدين مني أن أعلم بأنك في المشفى ولا أحضر؟! لقد قلقت عليك".

رفعت حاجبا مستنكرًا قائلة بدهشة: "كان يكفي أن تطمئن بالهاتف إذا أردت، ثم بأي صفة عليّ تبرير وجودك معي في كل خطوة أخطوها؟".

قال بعفوية: "اعتبريني خطيبك".

قالت باستنكار ساخط: "وهل تمت خطبتي دون أعلم؟ لم إذن لم تخبرني حتى أقيم حفلة لتوزيع الحلوى والمشروبات؟".

أشار لها بيده لتجلس وهو يقول بقلق: "وسن أرجوك، هل يمكن أن تهدأي قليلًا؟ لا أريد مضايقتك أريد فقط الاطمئنان عليك لا أكثر".

أشاحت برأسها في غيظ لتجلس ودون أن تقصد اتكأت على المقعد بيدها المصابة فأطلقت صرخة جزعة وقد احمر وجهها ودمعت عيناها من فرط الألم.

جلس ساجد القرفصاء بجوار قدمها على الأرض قائلًا بقلق: "ما بك، هل آذيت يدك مرة أخرى؟".

أجابت متأوهة: "يدي.. يدي تؤلمني".

قال لها: "هل فحصك الطبيب؟".

أجابت من بين دموعها المترقرقة في عينيها: "إني أنتظر الدخول لعمل الأشعة".

جاءت هديل تحمل زجاجة مياه وعلبتين من العصير، وعندما شاهدت ساجد يجلس القرفصاء على الارض بجوار وسن قالت بدهشة: "مهندس ساجد!".

نهض ساجد من مكانه يتظاهر بنفض بنطاله قائلًا: "أهلا آنسة هديل".

ثم أشار برأسه مبررًا: "كنت أزور أخي الذي يعمل طبيبًا هنا حين لمحت وسن، أقصد الآنسة وسن تجلس وحدها فأتيت لأطمئن عليها فقط".

قالت هديل وهي تنقل نظراتها بينهما بشك وترفع حاجبًا مشاكسًا: "وسن، أقصد الآنسة وسن بخير، لقد آذيت يدها هذا الصباح، أتمنى أن يكون شيئًا بسيطًا وإلا لن أسامح نفسي".

قال ساجد بضيق: "وكيف حدث هذا؟ هل عندما قام عبد الرحمن بتبديل الإطار لها؟".

تطلعت نحوه هديل باهتمام مترقب بينما اكتفت وسن بإجابته باقتضاب: "كان السبب لتبديله الإطار لنا هو إصابة يدي قبلها، هل أخبرك بنفسه؟".

ظهرت الغيرة على ملامحه بشدة بينما يجيبها بضيق: "لقد رأيتك تمازحينه".

ارتفع حاجب هديل حتى وصل لمنابت شعر رأسها، أما وسن فقالت بغضب: "لم أمازح أحدًا، لقد شكرته وانصرفت، هل تراقبني؟".

نظر نحو هديل المراقبة للموقف وعلى شفتيها ابتسامة بالكاد تظهر لمن يراها، ثم عاد ينظر لوسن الغاضبة ليقول لها بتمالك نفس رهيب: "لقد رأيتك بالمصادفة أثناء مغادرتي".

عاد يقول باهتمام ليغير سير الحوار: "متى ستدخلين لعمل الأشعة؟ هل أتصل بأخي ليساعدنا بالدخول سريعًا؟".

قالت وسن سريعًا: "لا، بإمكاننا الانتظار لحين موعدها فلن نتأخر بالدخول"، ثم نظرت نحوه لتقول بهدوء: "أشكرك على الاهتمام، بإمكانك الانصراف فهديل معي".

قال لها برفض حازم: "سوف أنتظر لربما احتجتما لشيء ما".

نظرت له هديل بنظرة تتصنع الجدية، ثم مالت نحو وسن قائلة بنبرة مزاح لم تفهمها إلا وسن: "نعم دعيه ينتظر فقد نحتاج لشيء ما"، ثم همست خفية في أذن وسن: "لست أدري ما هو هذا الشيء، لكن يبدو أن الموضوع أعمق مما يبدو، حسابك معي بعد ذلك".

لكزتها وسن لتصمت لكنها في غمرة إحراجها نسيت وضع يدها المصابة لتستخدمها مرة أخرى، فعلا تأوهها مرة أخرى بينما تهتف بها هديل مؤنبة: "يدك يا حمقاء".

عقد ساجد حاجبيه بغضب ليقول لها: "ما بالك؟ تستخدمين يدك المصابة كل مرة ثم تصرخين وتسببين الهلع لنا، أفقدتني أعصابي، اهدئي ولا تتحركي من مقعدك حتى موعد الأشعة".

نظرت له وسن بحنق، بينما انفجرت هديل بالضحك.

* * *

خرجت وسن من المشفى وقد وضعت جبيرة على إبهام يدها اليمنى وتم تثبيته إلى كفها، فقد أشارت الأشعة بوجود شرخ به.

كانت هديل تسير جوارها بينما يسير ساجد خلفهما، مالت هديل على أذن وسن مشاكسة: "هل أذهب للمنزل وأدعكما بمفردكما؟ أشعر إنني عزول بينكما، انظري إليه يكاد يخنقني بأصابعه خنقًا".

همست وسن: "اصمتي يا هديل، لست بمزاج للمزاح، هل ستقلينني للمنزل أم أوقف سيارة أجرة".

ضحكت هديل غامزة لها: "ولم لست بمزاج للمزاح؟ أنتِ محظوظة، أسبوع من الراحة من العمل، ومديرك يجلس معكِ بالمشفى يواسيكِ ويتلهف عليكِ، أخبريني ماذا تبقى لكي تكوني في قمة السعادة؟ ثم لا داعي للتحجج بإيقاف سيارة أجرة فساجد بإمكانه إيصالك إن كنتِ ترغبين بذلك".

غمغمت وسن بضيق: "يالك من رائقة البال، أسبوع من الراحة أنا أعتبره سجنًا إلزاميًا، ماذا سأفعل طوال الأسبوع؟ سأجن من الوحدة، ثم من أخبرك بأنني أريد منه إيصالي للمنزل؟ اخرسي يا هديل لست بمزاج رائق للمزاح مثلكِ".

كانتا قد وصلتا لسيارة هديل، التفتت وسن لتقول لساجد: " شاكرة لك وقوفك بجانبنا مهندس ساجد، سوف أحضر غدًا لإتمام إجراءات الإجازة".

قال ساجد بصوت حاول أن يجعله حياديًا: "من دواعي سروري، لا داعي لحضورك، بإمكان الآنسة هديل أن تُنهي الإجراءات نيابة عنك".

أشارت له وسن برأسها، ثم ركبت السيارة لتنطلق هديل بها وهي تنفجر بالضحك.

نظرت لها وسن بضيق قائلة: "والآن ماذا يدعوك للضحك؟ ألا يكفي العاهة المستديمة التي طالتني من تحت رأسك؟".

قالت هديل من بين ضحكاتها الصاخبة: "يا إلهي، أقطع ذراعي إنه مدله في الغرام".

قالت وسن بتأفف: "من تقصدين؟".

أجابت هديل غامزة: "ومن سيكون يا سيدة الذكاء؟ مديرنا الهمام بالطبع".

صمتت وكأنها تذكرت شيئًا ثم أردفت: "أعتذر يا وسن عما فعلته معك، صدقيني لقد أجفلني ذلك الرجل".

جاء دور وسن وهي تتندر على هديل قائلة: "هذا الرجل له اسم، ويبدو أنه سجل عدة نقاط في مرماك يا حالمة".

أسرعت هديل بالنفي: "لا أبدًا لم يحدث، حتى إنه يبدو أحمق، يتحدث دون أن يراعي طريقة حديثه".

غمزتها وسن قائلة: "فعلًا معك حق، والدليل هو إصبعي المكسور من تحت رأسك بسبب إجفالك من الأحمق كما تدعين"،

قالتها بينما تضع إصبعها المكسور في مجال رؤية هديل كإثبات على صحة كلامها.

* * *

كان قد مر يومان على وسن في عطلتها الإجبارية، كاد الملل أن يفتك بها خلالهما، ناهيك عن اتصالات السيدة ليلى المستمرة لمعرفة متى ستستأنف وسن العمل بدلًا من هديل التي تولت العمل تحت إشراف وتوجيه وسن، ورغم ذلك كانت السيدة ليلى تصر على إثارة إزعاجها.

في الصباح وصلتها باقة ورد حمراء كبيرة.

كان الباب يطرق وعندما فتحت وجدت عامل توصيل يعطيها باقة ورد حمراء رائعة تبدو ثمينة من طريقة تغليفها.

نظرت له بدهشة، فقال بأدب: "باقة لكِ سيدتي ومعها بطاقة".

ثم استدار ونزل، أخذت الباقة ودخلت شقتها تنظر لها بحيرة، ثم فتحت البطاقة لتجد مكتوب بها: "الورد لأجمل وردة رأتها عيناي، أتمنى أن تعجبكِ كما أعجبتني، بالشفاء العاجل، أتلهف لرؤيتك قريبا"، ثم إمضاء بالحروف"ك. و.".

عقدت حاجبيها غير مصدقة، لربما أساءت الفهم أم إنه يتغزل بها الوقح.

نظرت للباقة بغل، كانت تريد تمزيقها ورميها من النافذة لكن منظر الزهور المشرقة أجبرها على السقوط في هواها، مزقت الغلاف بعنف تشفي غليلها، ثم احتضنت الورود وهي تهمس لها: "لا ذنب

لكم إن كان من أرسلكم وغد لئيم، أعدكم إني سأحتفظ بكم وأوليكم رعايتي لأنكم أجمل ما خلق الله".

أخذتهم وصفتهم بعناية في كأس معد خصيصًا لهذا الغرض.

* * *

عندما حان موعد جلستها مع طبيبها النفسي تذكرت رسالة ساجد لها، أخرجتها لتقرأها مرة أخرى وتبتسم، ارتدت ملابسها، لا تدري ما الدافع للذهاب لكنها كانت كمن يسير بقوة خفية، انطلقت بسيارتها في طريقها للعيادة، عندما وصلت وصفت سيارتها لم تنتبه لتلك السيارة المتوقفة عن بعد بينما كان راكبها يبتسم وهو يراقبها خفية ليهتف من بين أسنانه: "نعم.. هذه هي وسن التي أعرفها، وسن الشجاعة المحاربة".

ظل ينتظرها حتى رآها تخرج من العيادة مرة أخرى بعد مرور فترة من الوقت لتركب سيارتها وتنطلق في طريقها، حينها تنهد ساجد الصعداء وأدار سيارته ليعود إلى منزله.

* * *

في مساء ذلك اليوم عندما ذهبت لفراشها كانت مستلقية على فراشها باسترخاء تحتضن الغطاء، بجانبها كوب من الحليب الساخن تر تشف منه كل حين بينما تمسك كتابًا من أدب الروايات العالمية تقرأ به، سمعت صوت خطوات بصالة الشقة، ألقت كتابها على المنضدة القريبة من فراشها لتصغي السمع،

اختفى الصوت فهدأت ضربات قلبها، لكن فجأة سمعت صوت تحطم زجاجي، قفزت من مكانها إلى

الأرض، أطفأت الإضاءة الجانبية التي كانت تقرأ على نورها ثم اندفعت مسرعة لتختبئ بدولاب ملابسها.

كانت على وشك أن تصاب بالإغماء، أنفاسها متسارعة ونبضات قلبها تتخبط بجنون داخلها، حبوبها الطبية بدرج المنضدة الجانبية، لكنها لن تخرج من مخبأها فقد توقفت الخطوات أمام غرفتها، فُتح الباب وصوت رجولي يطرق أذنها: "وسن.. هل أنتِ هنا؟".

خفق قلبها عدة خفقات مجنونة متتالية، ثم سقطت في إغماءة بينما رأسها يضرب باب الدولاب فيفتحه لتسقط أمام قدم الرجل الذي اقتحم غرفتها منذ قليل.

* * *

- "ضحى سيف الدين"، قالتها فتاة خمرية البشرة ذات عيون واسعة بنية اللون وملامح صغيرة وأنف حاد بعض الشيء، ترتدي فستانا زهريا ذا ورود صغيرة كحلية اللون يمتد لأسفل كاحليها، وترتدي على شعرها حجاباً طويلًا يغطي منطقة صدرها من اللون الكحلي الأفتح درجة من لون الحزام، كانت أنيقة راقية ومحتشمة.

نظر لها موظف المحكمة يسألها: "أنتِ تبحثين عن المحامي عبد الرحمن سيف الدين، أليس كذلك؟".

قالت الفتاة بقلق: "نعم، أخبرتك إنه أخي، هل تريد البطاقة لتتأكد من الاسم؟ بالله عليك أخبرني هل هو موجود؟ موعده معي

قد مضى عليه ساعة ونصف وهاتفه مغلق لا أعرف كيف أصل له؟".

هز الرجل رأسه في بلادة وهو يعود ليتابع عمله: "ربما تأخر في مناظرة قضية، ابحثي عنه في قاعة المرافعة".

اندفعت ضحى لتغادر من أمامه لتذهب إلى المكان الذي أخبرها به الرجل، وقفت أمام القاعة لكن الحاجب منعها من الدخول وهو يسألها عن هويتها.

قالت بعصبية: "لا، ليس مرة أخرى، هل تريد تحقيقًا معي أنت الآخر، أنا فقط أبحث عن أخي واسمه عبد الرحمن سيف الدين".

أشرق وجه الرجل البسيط وهو يهتف: "السيد المحامي، نعم إنه بتلك القاعة، لقد حدثت ظروف وتأخرت المرافعة قليلًا لكنها على وشك الانتهاء، بإمكانك الانتظار هنا".

وأشار إلى كرسي بجواره لتجلس عليه.

تنفست ضحى الصعداء، كان عبد الرحمن أخيها الأكبر، يكبرها بعامين فقط، فنشئا كتوأمين يشاكسان بعضهما أحيانًا، لكنهما مرتبطان ببعضهما ارتباطًا وثيقًا وخاصة أن كليهما أعزب ومازالا يقيمان في منزل واحد مع والدهما العجوز.

قالت بضيق لنفسها: "مائة من المرات أذكره أن يشحن هاتفه لكنه ضعيف الذاكرة، هذا قدري أن يميتني من القلق عليه كل مرة".

ظلت تنتظر لما يقرب من الثلث ساعة، ثم فُتحت القاعة وخرج منها الناس.

ظهر عبد الرحمن وقد تجمهر حوله جمع من البشر يهللون ويصافحونه ببشر وكل يحتضنه ويقبله حتى أتت سيدة عجوز قبلت يده ودموعها تهطل وتزغرد في نفس الوقت.

كانت ضحى تراقب الموقف وعلى وجهها ابتسامة متسلية، لمحها أخوها فأشار لها بيده وهو يضحك، ثم حاول أن يفض الجمع من حوله ولكن هيهات.

أخيراً استطاع أن يعتذر منهم، ثم تقدم نحو ضحى ليقبل وجنتها ويقول بإشراق: "لقد نجحت في كسب القضية، وجهك حلو عليّ يا ذات العيون البنية".

قالت ضحى ضاحكة: "سأغفر لك إقلاقي بإغلاق هاتفك كي لا أفسد فرحتك، لكن حذار أن تكررها مرة أخرى وإلا...".

ضحك من تهديدها قائلًا: "لن أعيدها مرة أخرى، لقد أخفتني".

ثم تأبط ذراعها وهما يخرجان من مبنى المحكمة يتسامران ويتضاحكان.

❋ ❋ ❋

الفصل السادس

اليوم هو يوم العطلة الأسبوعية.

كان ساجد يدور كالأسد الحبيس داخل غرفته، فمنذ يوم المستشفى لم ير وسن سوى من بعيد عندما ظل ينتظر وصولها لعيادة الطبيب النفسي داخل سيارته ليتأكد من حضورها موعد جلستها العلاجية.

كان يحارب نفسه بكل ما أوتي من قوة حتى لا يهاتفها، وها قد مرت أربعة أيام، وصل تحمله منتهاه، أمسك هاتفه واتصل برقمها، رنين حتى انتهى ثم تلاه صمت، احتار أيجري الاتصال مرة أخرى أم يؤجله فربما تكون نائمة.

لكن حيرته لم تستمر، حسم أمره وأجرى الاتصال مرة أخرى، لكن الصوت الذي رد عليه أصابه بالهلع، كان صوتًا رجوليًا متحفزًا يرد بغضب: "نعم.. من معي؟".

قال ساجد بتوتر: "من أنت؟ أليس هذا رقم المهندسة وسن الأنصاري؟".

قال الصوت الغاضب: "هل أتشرف بمعرفة من يحدثني؟ هذا إذا كنت رجلًا بحق ولا تستغل الفتيات الوحيدات وتهاديهن الورد لغرض حقير مثلك".

استشاط ساجد غضبًا ليقول بتحفز: "من أنت؟ أين وسن؟".

ضحك الصوت الآخر قائلًا بسخرية مبطنة: "وسن دون ألقاب؟ يبدو أن شكي كان في محله"، قالها ثم أغلق الاتصال في وجه ساجد.

انتفض ساجد في وقفته، كانت عيناه تدوران في محجريهما ويكاد يهلك من عدم قدرته على التقاط أنفاسه.

من هذا الذي يحدثه بوقاحة من هاتف وسن؟ أيعقل أن يكون نادر قد وصل إليها وآذاها؟ لا غير معقول، فنادر مازال بالخارج، عمته كانت تبكيه منذ يومين لأنه يرفض العودة، هل كانت مسرحية لتخفي حضور ابنها إلى البلاد أم أن الموقف أسوأ من ذلك فيكون ذلك الحقير من فيلا وهدان والتي كانت تتحدث عنه مع صديقتها قد وصل إليها.

كانت كل الأفكار التي تقفز إلى ذهنه أسوأ من بعضهم؛ لذلك حسم أمره ليقفز ويرتدي ملابسه على عجالة، ثم خرج من غرفته ليصيح بالسيدة زهيرة بأنه ذاهب للخارج ولن يتأخر، ويؤكد عليها بعدم الذهاب قبل عودته.

أنهى كلامه وصفق الباب خلفه.

ضربت السيدة الكبيرة بالسن يدًا بيد وهي تستعيذ بالله، فقد كانت تعرف ساجد منذ أن كان فتى صغيراً يأتي ليقيم بفيلا جديه في العطلات.

كانت المسئولة منذ عهد جديه عن الفيلا الصغيرة وتقيم بها معهما، لكن منذ أن توفى الجدان وآلت الفيلا الصغيرة لساجد،

أصبحت تأتيها يومياً بالنهار تنهي الأعمال بصحبة ابنتها ثم تغادرها عند عودة ساجد من عمله آخر اليوم.

خرج ساجد كالمجنون لا يدري كيف يتصرف، هل يذهب إلى شقة وسن ليراها ويعرف ما حل بها، أم يتصل بها مرة أخرى ليهدد ذلك الحقير الذي تحدث إليه منذ قليل.

وبينما هو في خضم تلاطم مشاعره وأفكاره رن هاتفه، كان قد اقترب من شقة وسن السكنية، رفع هاتفه لينظر إلى رقم المتصل ولشدة دهشته كان رقم هاتفها.

أجاب وقلبه يخفق: "وسن؟".

رد صوتها الغاضب باعتذار: "مهندس ساجد.. كيف حالك؟ هل كل الأمور بخير؟".

قال بغضب يكاد يحرق أعصابه: "من هو يا وسن؟ هل أنتِ بخير؟".

قالت باعتذار: "آسفة عما حدث منذ قليل، فقد كنت بالحمام عندما أجاب واصف على اتصالك".

قال بصوت لاهث: "واصف أخيكِ؟ هل أنتِ أكيدة بأنه هو؟ ثم من هذا الذي يهاديكِ بالورد؟".

قالت بغضب: "والآن ماذا؟ أنت الآخر تشكك بنزاهتي؟ لا أحد له الحق بالتدخل بحياتي أبدًا، أفهمت؟".

قال بسرعة ليعتذر منها: "لا أقصد بك سوءً يا وسن، أنا قصدت أن يكون هناك من يهددك لذلك تخبريني بأنه واصف".

قالت بغضب متصاعد: "لا ليس هناك من يهددني سوى جنس الرجال الأحمق المحيط بي".

كان يستشعر ذبذبات الغضب المشتعلة بداخلها تسافر إليه عبر الأثير فتوتره من القلق عليها.

قالت بحنق: "لا تأخذ كلامي بمحمل الجد، فأنا غاضبة الآن، أعتذر منك".

أخذت شهيقًا كي تهدئ من غضبها قليلًا، ثم أردفت باندفاع: "والآن، لم كنت تتصل؟".

أجابها بتساؤل: "هل أنتِ بالمنزل؟".

ردت بحيرة: "نعم".

أجابها بحسم: "إذن أريد أن أراكِ".

قالت بتوتر: "لم، هل هناك سبب؟".

قال ساجد بغموض: "هناك موضوع ضروري طارئ بخصوص العمل أريد رأيك به".

قالت وسن بحيرة: "لكن أنا في عطلة بسبب يدي".

كانت قد نسيت في خضم انفعالها بأن اليوم هو عطلة نهاية الأسبوع، قال ساجد بتعجل: "وسن الموضوع لا يحتمل التأجيل بحق، سوف أحملكِ الخسائر".

عقدت حاجبيها تسأل بقلق: "هل آتي إلى الشركة؟".

قال ساجد وصوته تتلاعب به ضحكة مكتومة: "نعم.. قابليني في الشركة، أراكِ بعد قليل".

ثم أنهى المكالمة بينما يبتسم بخبث.

* * *

جلس واصف على كرسيه في أحد المقاهي يقلب الشاي بقلة اكتراث دون أن يشرب منه شيئًا، يشعر بالصداع الشديد يفتك برأسه، فمنذ عاد بالأمس وهو لم يذق طعم النوم، كان قد قرر أن يرجع الوطن دون سابق إنذار، يشعر إنه قد اكتفى من الغربة وحياة الضياع التي كان يحياها، قرر الهروب كعادته كلما وقع بمأزق، ومأزقه هذه المرة كان نابعًا من نفسه.

حادث موت صديقه أمام عينه أصابه بالاهتزاز، صدمه وأعاده لواقع الحياة التي هرب منها من قبل.

عاد بالأمس إلى الشقة، ليجدها خالية ومظلمة، اصطدم بإناء الورد الذي كانت وسن قد وضعته على طاولة جانبيه فكسره.

انتابته الحيرة عندما لم يجد وسن في غرفتها، لكن صوت اصطدام تبعه سقوط وسن من دولابها إلى أرض الغرفة أمام قدمه حين دخل غرفتها صدمه.

لم يتوقع أبدًا بأنه سيسبب لها كل هذا الرعب حتى تفقد الوعي.

حملها ووضعها فى فراشها، ظل بجوارها يدلك يديها ورجليها المتجمدتان يحاول أن يجعلها تفيق وعندما استفاقت أخيرا وفتحت

عينيها المرعوبتين، تكفل بتهدئتها حتى استعادت اتزانها وجرى الدم في عروقها.

تحدثا قليلًا ثم خرجا من الغرفة إلى المطبخ لتُحضر له بعض الطعام، في طريقهما للمطبخ رأت وسن إناء الورد محطمًا فأسرعت إلى الورود قائلة بلهفة: "يا إلهي.. سيموت".

حملتهم بعناية إلى المطبخ لتضعهم في إناء آخر، لا يدري واصف ما حدث له إزاء فعلتها هذه، انتابه الغباء ليهتف بلا تفكير: "هل الورد من شخص عزيز؟".

نظرت له وسن بدهشة لترد باندفاع: "لا، إنه مجرد ورد".

هز رأسه ليقول بضيق: "شعرت بأن أمره يهمك".

قال وسن وقد بدأت تتأفف: "لا تكن سخيفًا، لست من ذلك النوع".

رفع واصف حاجبه ليسأل بتهكم: "أي نوع؟ وهل النساء أنواع؟".

انفجرت وسن به تهتف: "واصف ما بك؟ أنت تحدث أختك يا أحمق ولست واحدة من اللاتي تمرح معهن".

تطلع لها بحنق ثم غمغم باعتذار: "معك حق، أعتذر".

زفرت بضيق بينما تحضر له صحنًا من الطعام مغمغمة: "يبدو أن غربتك أنستك حسن تربية والدينا لنا، لا تعود للحديث معي مرة أخرى بهذا الشكل، والآن هيا لتتناول شيئًا من الطعام، ثم ترتاح قليلًا قبل أن تزداد حالة الخبال التي أصابتك".

قالتها واستدارت لتضع صحن الطعام أمامه على المائدة ثم تغادر المطبخ إلى غرفتها.

* * *

استمر واصف ينظر في بلادة إلى صحن طعامه بعد أن غادرته وسن ثم بدأ يأكل في صمت، كانت أفكاره في كل ما يمس النساء ملوثة.

مازال بداخله ذلك الرجل الشرقي، يستبيح لنفسه ما يحرمه على غيره، يرى أن من حقه أن يعبث هنا وهناك ثم عند الزواج يبحث عن فتاة عذراء المشاعر ليكن أول رجل بحياتها.

سنين غربته لم تنجح سوى أن ترسخ بداخله أن كل الفتيات سواء، لا توجد تلك العذراء التي يبحث عنها ليتزوجها.

شعر بالبؤس يكتنفه فجأة، وضع يده على وجهه يخفي عينيه وكأنه يحجب أفكاره، يعرف كم أن حياته فارغة ورخيصة، كل ما حققه من نجاح بالعمل يقابله فشل في حياته الشخصية، شعر بالحنين لماضيه، الحنين لدفء الأسرة هو ما أعاده، الحنين لوالده ورجولته جعله ينبذ النجاح الذي حققه لنفسه بالخارج ويدفعه ليعود للبحث عن ذاته مرة أخرى حيث فقدها.

كان يعلم بأنه لن يجدها بسهولة، فهو كمن يبحث عن إبرة داخل كومة من القش.

* * *

أنهى طعامه، تناول الصحن ليفرغ ما به في سلة المهملات، حينها وجد ورق تغليف الورد والبطاقة الممزقة، لكنه استطاع أن يقرأ ما بها، استشاط غضبًا، زين له شيطانه الأمر فظن بوسن الظنون.

ظل يتقلب على فراشه طوال الليل لا يعرف طعمًا للنوم.

نسي في نوبة جنونه ذاك أن وسن تستحق أن يفكر بها بطريقة أفضل من هذا، وسن أخته والذي كان شاهدًا على ما حدث لها لن تستبيح فعل المنكر.

حين أتى الصباح كانت حالته مزرية وصداع هائل يتملك رأسه فلا يقوى على الحراك.

أطلت وسن برأسها تخبره بأن الإفطار جاهز فرد بإنهاك: "لا أريد تناوله الآن، سأستيقظ فيما بعد، تناوليه بمفردك".

قالت وسن بضيق: "كما تريد، سأنتظرك بالخارج حتى تستيقظ".

قالتها وأغلقت باب غرفته خلفها وخرجت، ظل يتقلب على فراشه لا يستطيع النوم، وحين خرج أخيراً من الغرفة وجد وسن بالحمام وهاتفها على المائدة.

أتتها مكالمة من رقم غير مسجل بالهاتف، أمسك الهاتف وأجاب، كان قد أنهى المكالمة عندما خرجت من الحمام لتجد هاتفها بيده وقد استشاط غضبًا وأخذ يصرخ بها: "من هذا الذي يتصل بك؟ هل تصاحبين أحدهم؟".

تقدمت وسن وشياطين الغضب تتقافز من عينيها لتصفعه على وجهه على حين غفلة لتصرخ بغضب أهوج: "اخرس يا عديم الحياء، تأتي إليّ بعد كل هذه السنين التي تركتني بها وحدي لتبحث عن ذاتك وتشبع رغباتك ثم تقذفني بالباطل، أين نخوتك ورجولتك؟ أرقتها مع حيائك في بلاد الغربة! من أنت لتحاسبني على حياتي؟ أخبرني من أنت؟ أنت لست حتى واصف الذي كنت أعرفه والذي كان بكل عيوبه آنذاك أكثر احترامًا وشرفًا منك، أنا أعرف عنك أكثر مما ينبغي، لذلك لا تعش دور الشريف عليّ، أفق لنفسك، وقبل أن تحاسبني على سوء ظنك حاسب نفسك على ما تفعله".

ختمت كلامها بأن انهارت على مقعد المائدة وأجهشت بالبكاء.

ظل واصف صامتًا يضع يده على خده مكان صفعة وسن، ينظر لها في بلادة وقد تدلى كتفاه علامة انهزامه ثم استدار وخرج من الشقة صافقًا الباب خلفه.

ظلت على حالها حتى تمالكت نفسها وهدأت ثم أجرت اتصالًا بساجد لتعتذر منه عما تسبب به أخاها منذ قليل.

* * *

وصلت وسن الشركة، تحيرت من الهدوء المغلف للمكان، لكنها ترجلت من سيارتها وعندما همت بالذهاب للمدخل توقفت بجوارها سيارة كبيرة تعرفها حق المعرفة.

أنزل ساجد زجاج النافذة ليقول: "مرحبًا وسن، هل تأخرت عليكِ؟".

عقدت حاجبيها لتقول: "لقد وصلت لتوي، لكن المكان يبدو هادئًا على غير المعتاد".

قال ساجد في بساطة: "نعم؛ لأن اليوم هو يوم العطلة الرسمية".

قالت بدهشة: "يا إلهي، لقد نسيت".

ثم عقدت حاجبيها لتسأل بتعجب: "لكنك أخبرتني بأنك تريدني في موضوع يخص العمل، ما هو الموضوع الذي لا يحتمل التأجيل ودعاك لإحضاري يوم العطلة لمناقشته؟".

تبسم ساجد يخيرها بالقول: "إما أن نصعد لمكتبي بالشركة لأطرح عليك الموضوع، وإما أن نعقد اجتماع عمل بأحد المقاهي".

قالت بتأفف: "كيف سأصعد معك للمكتب ونحن وحدنا؟ ألا تعقل الكلام قبل أن تتفوه به؟".

قال في بساطة: "أحببت أن أضع لك الخيارات، فلست أميل لإجبارك على شيء".

قالت بضيق: "بل أنت تتلذذ بتوجيهي حيث تريد بوضع اختيارات غير منطقية، لذلك سوف أختار أنا المقهى الذي يروقني وبإمكانك السير خلفي بسيارتك".

قال بتحفز: "وما الدافع لاستخدام سيارتك، بإمكاننا الذهاب بسيارتي ثم أقلك لهنا كي تعودي بسيارتك لمنزلك".

قالت بسخط: "لا ركوب لسيارتك مرة أخرى، سبق وأخبرتك برأيي في هذا الموضوع، والآن هل نتحرك أم أعود لمنزلي؟".

استسلم ساجد وقال: "حسنًا.. أخبريني على الأقل اسم المقهى الذي تحبين كي ننهي هذا الحوار".

أملته اسم المقهى لتستدير وتدخل سيارتها وتنطلق بها، ومن خلفها ساجد يراقبها بشغف، ويدعو أن يستجيب الله لدعائه ويلطف فيما سيأتي بعد قليل، فحياته على المحك!

* * *

عندما عاد واصف كانت الشقة هادئة، بحث عن وسن بالردهة وعندما لم يجدها لم يجرؤ على فتح باب غرفتها، لذلك دلف غرفته وأغلق بابها ثم ارتمى على فراشه بملابسه دون أن يخلعها.

يا الله على تأنيب الضمير.

قلبه يؤلمه على ماتسبب لها به من آلام بالصباح بينما يعلم علم اليقين بأنها بريئة مما نسبه إليها.

كانت وسن فيما مضى مدللته، ثم تصاعد بينِهما حاجز من الجمود بعد وفاة والدهما وانتهت العلاقة تقريبا بينهما بعدما حدث لها مع نادر.

قفز نادر إلى ذاكرته، تذكر كيف آلمها وعذبها دون أن تجرؤ على البوح بما يفعله معها لأي منهما والدته وهو، كانت في شدة آلامها ومحنتها تفكر بهما قبل نفسها.

يالها من مسؤولية تحملتها بعد وفاة والدهما بدلًا منه وهو الرجل من كان مفترضًا به حمايتهما، لكنه تقاعس وتخبط في بؤسه

دون أن يدرك بأن وسن تطوعت لتحمل حمله بالرغم من صغر سنها.

حتى بعد زواجها من نادر لم تجرؤ عن البوح بكل ما كان يفعله معها خشية على والدتها التي كانت سعيدة وفرحة تظن أنها رفعت من قدر ابنتها بهذا الزواج الذي سينقلها لصفوة المجتمع.

كانت تخشى عليه أن يتم طرده من العمل بعد أن هددها نادر بحدوث هذا إذا ما جرؤت وأخبرت أسرتها، تكاتمت في سرها عذابها واجترعت مرارة الآلام وحدها.

واصف كان يراها تعيسة ذابلة وشاحبة ولكنه تغاضى عن سؤالها، فقد تمت ترقيته لمنصب أعلى بالشركة.

كان أنانياَ، عديم الرحمة، وهو يرى أخته تذبل وتموت بينما يحصد هو الجوائز دون أدنى شفقة، بصق على نفسه وهو يتذكر كم مرة رآها تنظر له بهلع والدموع مترقرقة بعينيها وكأنها تريد إخباره أو تريد منه سؤالها، لكنه أشاح بنظره وتظاهر بعدم الملاحظة.

تذكر كم مرة تعللت بعدم الحضور لزيارتهم حتى لا يروا كدماتها وسحجاتها، وتظل حبيسة فيلتها المنعزلة إلى أن تلتئم جروحها الخارجية، لتحفر مكانها ندبة داخل روحها لا تلتئم.

وفي هذه الفترات لم يكن يذهب إليها، كان يكتفي بسؤالها عن أحوالها عبر اتصال هاتفي ثم يغلق الهاتف ليعود لحياته العابثة وانتصاراته البائسة.

حتى جاء ذلك اليوم لتتصل به تبكي وتستنجد بصوت خافت أن ينقذها.

حينها تحرك قلبه، استيقظ ضميره وكأنه كان يريد تنبيها مسموعًا لا مقروءا، فأحيانًا نتغاضى عن الحقيقة المفهومة لأنها لا تعجبنا، ثم عند سماعها بصوت عال نضطر للإنصات، لأنه لا مفر منها بالتجاهل.

هكذا ركب سيارته منطلقًا إلى حيث تسكن، كان باب الفيلا موصدًا، أخذ يضرب الجرس مرارًا ومرارًا دون مجيب.

اضطر أن يتسلق السور وقد بدأ القلق ينهشه، وحينما قفز بالداخل وجد البواب نائمًا بعمق داخل غرفة الحراسة.

صرخ به واصف بغل: "أيها الأحمق، أنت نائم ها هنا بينما أكاد أن أجن من القلق".

انتفض الرجل البسيط معتذرًا: "آسف سيدي، لقد كنت متعبًا فلم أسمعك".

صرخ واصف: "أين السيدة وسن؟ هل هي بالداخل؟".

أشار الرجل بإشارة مبهمة: "نعم، لم أرها تغادر".

جرى واصف تجاه الدرجات القليلة ليصعدها في قفزتين ثم دفع الباب ليجده مواربًا، دخل يصرخ: "وسن أين أنت؟".

ما من مجيب، قفز درجات السلم للأعلى كل درجتين معًا حتى وصل لغرفة نومها، كان الباب مغلقًا، طرقه عدة مرات وحينما لم يجد الرد فتحه ليصطدم بمرأى أخته على الأرض، ترتدي قميص نوم

ممزق، جسدها تعلوه الكدمات والسحجات، وقد تورم وجهها وانتفخت شفتاها بينما هناك جرح قطعي بها وقد تجمدت الدماء عليه.

ركع جانبها على ركبتيه ليجس نبضها، كانت أنفاسها ضعيفة ونبضها يكاد لا يحس.

صرخ بها: "وسن استيقظي، ماذا حدث؟".

لم تجبه، أمسك هاتفه واتصل بالطوارئ ليطلب سيارة إسعاف، لكن تنفسها الضعيف أرغمه على إعادة التفكير بعدم انتظار الإسعاف، حملها ونزل بها بسرعة، كان يشعر بأنه يفقدها، وقد أرعبته الفكرة.

عندما رآه البواب يحمل أخته وقد وضع حولها أحد مفارش السرير هتف بحيرة: "ما بها السيدة؟".

صرخ واصف به: "افتح الباب أيها الغبي، السيدة تحتاج للمستشفى بسرعة".

أسرع الرجل يفتح الباب دون تفكير، وعندما رأت والدتها التي أصرت على القدوم مع واصف منظرها صرخت وهبطت من السيارة مولولة: "وسن حبيبتي، ماذا حدث لها؟".

وضعها واصف بحذر في المقعد الخلفي للسيارة وأسرعت والدتها لتجلس بجوارها تحتضن رأسها بين يديها وتنتحب.

انطلق واصف بالسيارة بجنون حتى وصل المستشفى، اندفع الطبيب ليعاين حالتها، وحينها هتف بتوتر: السيدة تحتاج للدخول للعمليات الآن، حالتها حرجة، هناك دماء متجمعة داخل صدرها".

لطمت أمها على وجهها وتمايلت في وقفتها فأمسكها واصف قبل أن تنهار أرضًا.

كانت وسن تتأوه بين يقظتها وغيبوبتها ثم عادت إلي غيبوبتها من جديد، بملء إرادتها.

* * *

خرج الطبيب من غرفة العمليات يفرك كفيه وينظر لهم بتحير: "ماذا حدث لها؟ عليَّ أن أبلغ الشرطة بحالتها، فقد تعرضت لإعتداء وحشي عليها بالضرب".

هز واصف رأسه هاتفًا بلهفة: "هل تحسنت؟ أخبرني ما حالها؟".

قال الطبيب مطمئنًا: "إنها بخير، تعاني من كسر بضلعين سببا لها نزيفًا داخليًا بالرئة، لكننا استطعنا إيقافه وتجبير كسرها، لكن حالتها العامة سيئة بحق، كدمات بكل مكان، ومحاولة اغتصاب، لا بد من إبلاغ الشرطة عما حدث لإبراء مسئوليتنا".

هتف واصف بذهول: "ماذا؟! محاولة اغتصاب!".

بينما لطمت والدته وجهها وهي تنوح: "اغتصاب؟ ابنتي متزوجة أيها الطبيب، كيف تُغتصب وقد كانت بمنزل زوجها؟".

قال الطبيب بحيرة: "متزوجة؟! هل هي عروس جديدة؟".

هزت الأم رأسها نافية: "لا، بل منذ ما يقرب الستة أشهر".

ازداد انعقاد حاجبا الطبيب ليقول بِحيرة: "هذا غير صحيح، ابنتك عذراء يا سيدتي، لقد تهتكت خارجيًا فقط لكن غشاءها سليم كما هو، كما أن هناك كدمات متفرقة أسفل بطنها وأعلى فخذيها مما يرجح عنف محاولة الاغتصاب".

ثم كرر سؤاله المتعجب: "هل أنتِ متأكدة بأنها متزوجة؟ هل تكررت زيارتها للمشفى من قبل؟".

نظر واصف للطبيب بصدمة قائلًا: "لا نعرف شيئًا عن هذا الموضوع للأسف، لقد كانت تُخفي طوال الوقت ما يحدث وتتظاهر بأن لا شيء يحدث معها، لذلك لن أستطيع إفادتك بالرد"، صمت قليلًا ثم أضاف بغل: "افعل ما تراه لصالحها سيدي الطبيب، نريد تقريرًا طبيًا بما حدث لها، فلن أرحم من تسبب لها بكل هذا الأذى".

قالها دون أن يدري بأن نفسه ستطال جزءًا من وعوده تلك.. وعود بعدم الغفران.

* * *

جلست ضحى أمام منضدة زينتها بغرفتها تتشاغل بتمشيط شعرها البني ذو الخصلات الذهبية الملتوية على نفسها، كان شعرها كثيفًا وطويلًا يصل لأسفل ظهرها.

شعرها كان يأخذ منها مجهودًا مضاعفًا لتحتفظ به متألقًا ومنظمًا بكل خصلاته المتموجة والملتوية.

شردت نظراتها تتأمل وجهها، كانت تعرف أنها غير جميلة بمقاييس من حولها، لكن براءة روحها كانت تشع على وجهها فتعطيه تألقًا خاصًا بها.

طرقات على باب غرفتها أيقظتها من شرودها، نادت والدها ليدخل: "تفضل أبي، أنا مستيقظة".

دخل والدها، رجل كبير السن على مشارف السبعين يتوكأ على عصى بسبب آلام مفاصله، تبسم لها ابتسامة حانية وهو يمازحها: "ابنتي حبيبة قلبي تجلس هنا تتأمل جمالها الساحر بينما والدها العجوز يجلس بالخارج وحيدًا ينتظر منها عطفًا وتكرمًا بأن تجالسه ولو قليلًا".

ضحكت ضحى وهي تنهض من مقعدها لتحتضنه وتقبل رأسه هاتفة: "أبي الحبيب، شعري يجهدني للاعتناء به، أفكر في قصه وإراحة نفسي".

هتف محذرًا: " إياكِ وقصه يا ضحى، الشعر تاج المرأة الجميلة".

ضحكت ضحى قائلة بغمز: "هل تقصد أن من تقص شعرها لا تكون امرأة ، أم لا تكون جميلة؟".

ضحك والدها عاليًا ثم قال: "أنت تدفعينني لمدحك يا فتاة، أليس كذلك؟".

دفعت ضحى الكرسي تجاه والدها ليجلس عليه وهي تضحك منه قائلة: "وما عيب ذلك إذا كنت أنت الوحيد الذي أسمح له بالتغزل بي؟".

هنا اكفهر وجه والدها وهو يقول: "ألن تتنازلي قليلًا عن تعنتك في اختيار مواصفات رجل المستقبل؟".

هزت ضحى كتفيها قائلة: "أنا لا أتعنت يا والدي، أنا أبحث عن رجل بحق، وليس كائنًا يحمل صفة المذكر".

قال والدها بحسرة: " يا ابنتي، أحيانًا نضطر للتنازل قليلًا لتدور عجلة الحياة، فليس كل ما نبتغيه نحصل عليه".

عقدت ضحى حاجبيها ملوحةً بيدها: "إلا في هذا الشأن يا والدي الحبيب، أنا أريد رجلًا مثلك ومثل عبد الرحمن، ما ذنبي إذا لم أجد من يساويكما إلى الآن، حلمي يصبح أصعب في تحقيقه كلما مر الوقت ولست أدري ما السبب؟ هل لأننا كلما نضجنا نضجت أفكارنا معنا وأصبح سقف طموحنا أعلى؟!".

ضحك والدها هاتفًا بها: "هل أصبحتِ فيلسوفة بالإضافة للتدريس بالجامعة؟".

ضحكت ضحى من مزاح والدها لتقول معقبة: "لا تشغل بالك يا والدي بزواجي، فأنا لست مستعدة للتنازل عن وجودي معك وخاصة بعد أن وصلت لهذا العمر إلا لمن أراه يستحق، حين يريد الله سيفعل ما يريد".

غمغم والدها: "أنا يا حبيبتي قد كبرت وصرت أخشى عليكما من البقاء وحيدين أنت وأخيك، لربما آن الأوان لتحطيم شرنقة عزلتكما ومحاولة الاندماج مع الآخرين، أشعر أني المسئول عما وصلتما إليه بسبب تربيتكما المثالية".

اتجهت نحو والدها لتُنهضه من على المقعد وتتأبط ذراعه قائلة: "أرأيت.. أنت تراني مثالية بينما من حولي يرونني معقدة، لذا أخبرك، لن أتنازل عن مثاليتي إلا لمن يراني أستحق أن أكون في حياته بكل عقدي، دعنا ننهي ذلك الحوار العقيم ونخرج لنجلس معًا أمام التلفاز مع كوبين من الشاي".

قال والدها وهو يسير بجانبها: "لقد نسيت، عمتك منال ستأتينا اليوم بعد المغرب لتسهر معنا".

امتعض وجه ضحى ولم تقل شيئًا، لكن والدها التقط امتعاضها فقال محذرًا: "ضحى.. عمتك ليس لها غيري، لذلك أكون شاكرًا لك إن أخفيتِ امتعاضك بعض الشيء، ولا تنسي فضلها في موالتكما أنتِ وأخيكِ بعد وفاة أمكما".

قالت ضحى معتذرة: "أعتذر والدي، أنت تعرف فقط أسلوب عمتي وطريقتها في مضايقتي، أنا لا أحب طريقتها في رمي الكلام الجارح هنا وهناك دون مراعاة لمن أمامها، لأجل خاطرك أنا أتحملها"، قالتها وصمتت تدعو في سرها أن تمر تلك الفترة على خير دون أن تضطر للهروب للخارج بحجة زيارة متجر كتبها الأنيق كما تفعل كل مرة.

* * *

كانت وسن ترشف من قدح قهوتها باستمتاع بينما ساجد يراقبها بتكاسل وعلى ثغره ابتسامة شاردة، وضعت وسن قدح قهوتها لتقول بتلذذ: "يا الله ، كم كنت أحتاج لدفئها".

قال ساجد بتباطؤ: "أتحبين القهوة؟".

قالت وسن باستمتاع: "أشعر بأنها تربت على روحي، تتغلغل داخلي فتنسيني كل ما يضايقني، وكأنها اليد الحانية التي أحتاج".

رفع ساجد حاجبيه قائلًا بمزاح: "كل هذا في عشق القهوة، ليتني أستطيع استبدالها".

سألته وسن بحيرة: "استبدالها بماذا؟".

ضحك بتخابث وهو يصحح لها: "بل قولي بمن؟".

عبست قائلة بضيق: "حسنًا.. لا مزيد من الأحاديث الجانبية، ماذا تريد مني بخصوص العمل؟".

وضع فنجان قهوته وأنزل يده تحت المائدة، كان يبدو محتارًا وكأنه يحاول تبسيط الطريقة التي يريد بدء الحوار بها، ظل صامتًا فنظرت له وسن تحثه على الكلام.

استجمع شجاعته ونظر لها قائلًا: "وسن.. أريد أن أعرض عليكِ موضوعًا مهمًا لي".

قالت باهتمام: "تفضل، أسمعك".

ظل صامتًا لحظات، ثم رفع رأسه لينظر إليها وعينيه كلها أمل ورجاء وهو يقول: "أنا أحتاجك يا وسن".

نظرت له بعدم فهم لتقول بتركيز كمن يستعصي عليه حل أحجية: "تحتاجني في ماذا؟".

كان تفكيرها منحصرًا في العمل ولم تكن تتخيل أن الحوار يمسه شخصيًا.

تنهد قائلًا ومازالت نظراته محدقة بها: "أحتاجك جانبي، أحتاج أن اقترب أكثر منك، دائمًا تضعين الحواجز بيننا، كلما حاولت التقرب منكِ، وضعت مئات الأميال كحاجز يفصل بيننا".

كانت تنظر له مبهوتة دون أن تتفوه بكلمة، مال نحوها وقد عقد حاجبيه برجاء قائلًا: "وسن من فضلك، دعيني أقترب، دعيني أكن لك سندًا ومتكئًا، أريد أن أكون داعمًا لكِ في كل خطوة تخطوها قدماكِ، فقط اسمحي لي بالتقرب، اليوم حين سمعت صوت أخيكِ يجيب على هاتفك شعرت أني سأجن، لا يا وسن لن أتحمل أن تكَوني لرجل آخر، لن أقوى على تخطي ألمي هذه المرة".

فتحت وسن فمها تريد أن تنطق، لكن كل ما خرج منها كان مجرد همهمات متحشرجة معترضة وكأنها طير ذبيح، نظر لها ساجد برجاء دون أن يهتم لحشرجتها المعترضة ليقول بصوت حازم: " دعيني أكن لك كما تحبين وبالطريقة التي تحبين حتى تقرري أن تتخطي ما يؤلمكِ وترضخين للأمر الواقع، وهو إنك لي ولن تكوني لغيري أبدًا مادام بصدري قلب ينبض".

وسن تنظر إليه ذاهلة، عيناها جاحظتان وقد فتحت فمها قليلًا لا تقوى على أخذ أنفاسها، كانت تلوح بيديها وكأنها على وشك أن تسقط من مقعدها وتلتمس المساعدة.

نظر لها وهو يبتسم قائلًا ليبسط لها كلامه: "هذا عرض زواج يا وسن، لا تنظري إليّ هكذا، لقد طلبت خطبتك للتو وأنت تفتحين فمك دون إجابة، ما ردك؟".

نفضت وسن رأسها وهي تفيق من صدمتها لتقول بصوت متحشرج: "لا.. لا أستطيع".

قال ساجد بتوتر: "لِمَ يا وسن؟ هل تجدينني منفراً؟".

هزت رأسها بالنفي سريعًا وهي تقول بصوت مبحوح: "لا أبدًا أقسم لك، فقط أنا لا أستطيع، لا أريد ارتباطًا أو زواجًا"، ثم طأطأت برأسها أرضًا لتقول بخفوت: "لن أستطيع يا ساجد، لا أقوى على هذه الخطوة في حياتي، لدي ماضٍ لا أستطيع تخطيه".

مد يده أمامه على الطاولة ليفردها أمام عينيها وهو يهمس بصوت مبحوحٍ من العاطفة: "وسن.. أدخليني قلبك وأعدك سنتخطاه سوياً، أستطيع يا وسن أن أساعدك أن تخطي للأمام، دعيني أكن بجانبك في هذا الوقت، أنا أحتاجكِ كما تحتاجينني، صدقيني أحتاجك أكثر مما تحتاجينني".

ظلت تنظر له مبهوتة لا تجد ردًا تخبره به ثم حسمت رأيها لتخفض رأسها وتهمس: "لقد مررت بتجربة أسوأ مما تتخيل من قبل، لذلك بكل بساطة لا أستطيع إدخالك حياتي، بداخلي ندوب وجروح لا تقدر على محوها، لم يعد لدي ما أمنحه لأي مخلوق، سوف أظلمك معي، أنت تستحق حياة أفضل من ذلك، صدقني.. أنا معطوبة لا أصلح للارتباط".

نظر لها قائلًا بقوة: "لا تحكمي على مقدرتي يا وسن، أستطيع إقناعك بما لديك من قدرات وتجهلينها، فقط امنحيني الفرصة وسأثبت لكِ ذلك، لا أقبل بالرفض يا وسن، سأظل أحشر نفسي

بحياتك حتى لا تجدي مفرًا وترضخي للأمر الواقع، أنا واقعك الأبدي يا وسن والذي لا مفر لكِ منه".

تبلدت ملامحها وعلتها الحيرة ثم نهضت وهي ترتجف من شدة التوتر: "لا أستطيع يا ساجد، لا أستطيع أخذ قرار كهذا الآن، دعني، أرجوك لا تضغط عليّ، أرجوك"، ثم تهدج صوتها أكثر وهي تردد بتوتر متصاعد: "أرجوك أرجوك".

قالتها واستدارت على عقبيها تهرول بخطوات سريعة نحو الخارج لترمي نفسها داخل سيارتها، كانت تحاول وضع المفتاح في مكان التشغيل لكنها كانت ترتجف وترتجف، وضعت رأسها على مقود السيارة وأغمضت عينيها تحاول أن تهدئ ضربات قلبها وتسيطر على ارتجافها.

كان بداخلها صراع رهيب بين مشاعر فرحة وقلب مبتهج، وبين مشاعر من الخذلان والألم تطفو من أعماق عقلها فتنغص فرحتها، ذلك الخوف من الماضي يعود بقوة ليتملك مشاعرها ويحتل قلبها فيضرب فرحتها في مقتل.. فرحة وليدة أُقتلعت من جذورها، وبقوة.

* * *

طرقات على نافذتها أخرجتها من شرودها، كانت الدموع تطفر من عينيها كحبات ماسية تتكون ثم حين تثقل تنزلق على خدودها.

نظرت من بين غلالة دموعها لتجد نظرات وجه محفورة بقلبها تنظر لها بقلق وارتياع وهو يشير لها لفتح الباب أو النافذة،

أشاحت بوجهها ثم أنزلت زجاج النافذة لتهمس من بين دموعها وتختض: "أنا بخير، فقط لم أقو على القيادة الآن".

مال برأسه ليمد يده فيفتحِ زر إغلاق الباب المجاور، ثم يدور ليفتح الباب ويحشر نفسه حشرًا داخل سيارتها الصغيرة.

نظرت له من بين دموعها، كانت حالتها مأساوية بأنفها الذي سال وعينيها المحمرتان، أعطاها علبة المحارم الورقية لتجفف وجهها وأنفها بينما وجهه قد اربد بالألم.

همست: "شكرًا".

أجابها دون أن ينظر لها: "هل أستطيع أن أعلم الآن لم كل هذه الدموع؟".

نظرت لوجهه، كان ينظر للأمام، وجهه يعبره سحابة غضب عنيفة، ملامح وجهه قاسية وكأنه يتذكر ما يضايقه.

ثم نظر لها وقد التفت بكل جزئه العلوي قائلًا بغضب مكبوت: "وسن.. لا أريد إيلامك، فقط أخبريني هل فعلت ما يستدعي كل هذه الدموع؟ أنا لا أتحمل رؤية دموعك يا وسن، دموعك تحمل لي ذكريات مريرة وماض كئيب".

هزت رأسها بالنفي لتقول من بين دموعها التي سالت مجددًا وهي تشهق بقوة: "أخبرتك منذ قليل بأن لديّ ما يكفيني من العطب، فلا تلومني".

قال وصوته يحنو: "أنا لا ألومك يا وسن، أنا أعلم ما مررت به، فقط أريدك أن تتخطيه، تخطيه يا وسن، تخطي ماضيك بكل آلامه

وجراحه، دعيني أمسك يدك لأعبر بك من هذا الجانب المظلم"، ثم مال نحوها هامسًا بصوت أبح: "وسن.. أنتِ لا تعرفين كيف تخطيت بعدك كل هذه السنوات، كنت كالميت الذي يمشي على قدميه لا يجد أي متعة بحياته سوى أن يأمل بنسيانك ذات يوم، وعندما رأيتك مرة أخرى علمت بأني لن أقوى على خوض تجربة فقدانك من جديد، فبُعدك ذات يوم علمني التشبث بك، أنتِ لي كما الحياة يا وسن، أنت تعويذتي السحرية يا وسن لأحيا بعدَ أن فقدت حياتي في فراقك، أنتِ وسن لقلبي الساهد بحبك، أنتِ سبب سهادي يا وسن كل تلك الليالي السابقة".

كان يكرر اسمها وكأنه إكسير الحياة، وكأنه يتلذذ بسماع اسمها من بين شفتيه ليؤكد لنفسه وجودها أمامه حقيقة وليست خيال كما كان يحيا منذ سنوات، كان كلامه يضرب قلبها بقوة فينعشه، وكأنه يجري لها عملية إنعاش قلبي ليعود قلبها إلى النبض مرة أخرى بعد أن توقف لسنوات.

تنظر له مبهورة الأنفاس، متوهجة الملامح، لا تقوى على إشاحة عينيها عن عينيه، عيناه التي تبدو كبحر هائج متلاطم الأمواج يكاد أن يُغرقها بأمواجه العنيفة المتلاطمة.

ظل ينظر لها، نظرات عينيه صارخة تبعث لها آلاف الرسائل غير المنطوقة، تجول على وجهها وكأنه يلتمس منها إشارة تهدئ قلبه المتقافز بصدره، أنها تبادله ولو قليل من الاهتمام.

توقفت عيناه عند عينيها وحينها توقف الزمن بينهما، كانت كمن تعيش في دوامة تبتلعها فلا تقوى على إشاحة عينيها عن

عينيه، وكأنها تتشبث بما قاله لها لتُقنع نفسها بأنها لا تحلم، بأن كل ما قاله لها حقيقي وليس من وحي الخيال.

ساجد يحبها هي، هي دونًا عن كل النساء بكل عقدها وماضيها المقزز، يحبها هي ويطلب منها الزواج، يا إلهي إنه يحبها منذ.. منذ..، عقدت حاجبيها وقد قفزت في رأسها فكرة لم تأخذ وقتًا لتترجمها إلى سؤال هامس متردد بينما تشيح بوجهها لتقطع سيل التواصل البصري بينهما: "هلا تخبرني كيف تعرفني؟ أنت لا تنفك تحدثني بأنك تعرف من أنا وأنك فقدتني بعد أن..". ثم خفضت صوتها والتوتر يزداد به: "بأنك تحبني".

قال بصوت أجش هامس كصوتها: "لا تخفضي بها صوتك يا وسن، ارفعي صوتك لتسمعي العالم كله، نعم أنا أحبك يا وسن، أحبك في كل وقت، في ماضي، في حاضري، وسأظل أحبك حتى تخرج أنفاسي، لذلك قوليها بفخر يا وسن قلبي، قوليها بأعلى صوتك ولا تهمسي".

همست بخجل: "مازلت أريد إجابة لسؤالي".

وضع يده على ظهر كرسيها وهو يميل نحوها قائلًا: "ربما يوم ما حين أيقن بأنك ستستوعبين سأخبرك الحقيقة التي تضنيني، لكن لا يهم في الوقت الحالي يا وسن معرفة إجابة سؤالك، فلديك كل الحقيقة بحبي لك، حب تملك قلبي ومشاعري منذ سنوات، حاولت الهروب منه والتغاضي عن ألمي آنذاك، لكن عند رؤيتك يا وسن عاد حبك للنهوض بكل قوة، كطائر العنقاء الذي يحيا من الرماد، أيقنت حينها أني لم أنس أو أتغلب على ألم الفراق، هذا ما يهمك يا

وسن، هذا ما أريدك أن تهمسي به لنفسك كل صباح وعند المساء وحين تستلقين على فراشك تنشدين النوم، حبي لكِ يا وسن كافٍ لتخطي كل ماض عشناه، لبداية حاضر نتمناه، هل تستوعبين يا وسن أم أخرج رأسي من النافذة لأصرخ بها حتى تفهمين؟"، قالها وهو يقرن قوله بفتح النافذة فامتدت يدها لا شعورياً بسرعة لتقبض على ذراعه وتهتف برجاء: "لا، أرجوك لا تفعل".

انتفض ساجد من لمسة يدها، كان يشعر بحرارة الاحتراق، وكأن دمه تحول لسريان من اللهيب يجري بعروقه، حدق بها بصدمة، نظراته مثبتة عليها وكأنه يطفو في عالم غير عالمهما الآن.

عندما نظرت له لتجده يحدق بها بكل هذا الشغف سحبت يدها بخجل من على ذراعه، لكنه همس قائلًا بإصرار: "أسبوع يا وسن، أسبوع فقط سأمنحه لكِ لتقرري إذا ما كنتِ تريدين وجودي في حياتك برغبتك أم أفرضه عليكِ، حتى لو اختطفتكِ يا وسن لأقنعكِ بصدق كلامي"، قالها وترجل من السيارة وعيناه تلمعان بشدة، بينما قلبه يتقافز بجنون.

* * *

ارتفع صوت الأذان، انتفض واصف على فراشه، كان يبدو كالمحموم، يتصبب العرق من كل جسده ويغمر الفراش من حوله، كانت وسن جالسة بجانبه تمسك يده وتنظر له، قد علا الهم ملامحها وكأنها تستنجد به.

هتفت به بقلق: "واصف.. أأنت بخير؟ لقد كنت تصرخ في نومك وتهذي، ماذا حدث لك؟ أخبرني بالله عليك".

ابتلع ريقه ليرطب فمه الجاف مشيحًا برأسه: "لا شيء، أنا بخير".

قالت بقلق متزايد: "إذن من هو ويليام؟ لقد كنت تصرخ وتحذره، هل هو صديقك؟".

خفض بصره للأسفل وهو يفرك شعره الذي استطال لأسفل عنقه قائلًا: "قد كان".

سألت بإلحاح: "هل مازلتما صديقين؟".

نظر لها وهو يجيب بصوت لا حياة به: "لا يا وسن، لم نعد".

همست بأسف: "آسفة، يبدو إنك تفتقده، لقد كنت تنتحب، يمكنك إصلاح صداقتكما يا واصف".

غمغم بأسى: "أحيانًا هناك أشياء لا تقبل الإصلاح".

صمت ليستجمع شتات نفسه، فقد اختنق صوته قليلا.

نظرت له وسن تحثه على المتابعة لكنه كان يبدو شاردًا بعالم آخر.

مسدت وسن على كفه لتخرجه من شروده، فتابع وهو ينظر نحو الأسفل: " لقد قُتل، مات دون أن أجرؤ على منع الموت من اختطافه، مات دون أن يدع لي فرصة لتوديعه، أتدرين يا وسن؟ أشعر بأني لعنة تحل على كل من أحبهم".

قالت وسن: " استعذ بالله يا واصف، لا تقل هذا الكلام أبدًا، أنت تعترض على قضاء الله يا أخي، لا يوجد ما يسمى لعنة بل يوجد ابتلاء وصبر ورضاء بالابتلاء".

غمغم واصف بهمّ يحتل نبرات صوته: "ونعم بالله"، ثم صمت قليلًا ليقول وهو يمد ذراعيه ليحتضن وسن وقد اختنق صوته: "آسف يا أختي على ما فعلته معك، آسف بحق، لا أدري ما انتابني في عقلي كي أتهمك هكذا".

قالت وسن وقد انهمرت الدموع من عينيها: "لا يهم يا واصف، لا يهم، لقد ضايقني اتهامك لي دون وجه حق، لكن أنا أعذرك الآن، أنا من يجب أن تعتذر عن صفعتي لك، لم يجدر بي فعلها".

عقد واصف حاجبيه وهو يتحسس مكان صفعتها ليقول وقد علا صوته نبرة السخط: "نعم لم يكن يجدر بك صفعي، لولا صدمتي من كلامي القبيح الذي نعتك به لما كنت قد مررتها بخير".

ضحكت من بين دموعها لتقول: "إذن أنت من تتحمل وزر صفعي لك، إياك وأن تكررها مرة أخرى".

دفعها لتنهض بينما يقول بسخط: "اذهبي يا وسن، اذهبي عني الآن، فلست بمزاج رائق لمزاحك قد ينتابك مني ما يضايقك أكثر".

نهضت لتقول وقد عاود صوتها الهم: "حسنًا يا واصف، سأدعك لهمك وأحمل همي، كل منا يحمل هم نفسه وكأننا أغراب تقابلنا في محطة القطار، لكن رجاءً كن غريبًا لطيف المعشر، فحملي ليس بالهين لأتحمل نزواتك ومزاجك المتقلب".

ثم استدارت لتخرج وقبل أن تغادر التفتت لتقول له بسكون: "الغداء معد، سأصلي أولًا ثم نتناوله".

رفع رأسه وكأنه سمع مالم يفهمه وهو يردد: "تصلي؟".

قالت وسن بحيرة: "نعم يا واصف أصلي، أجد الراحة بالقرب من الخالق، إنها الصلاة التي علمنا إياها والدنا، أتتذكره يا واصف، أتتذكر تعاليمه وسماحته وحبه لنا؟ ياليت يومًا من أيامه يعود، لم يكن هذا حالنا"، صمتت لتبتلع ريقها الذي غصت به وتسيطر على دموعها التي تخنقها ثم أضافت بصوت بئيس: "هيا قم لتصلي وتعال لتتناول معي الغداء".

قالتها وخرجت سريعا قبل أن تفلت دموعها فيراها.

لم يتحرك من مكانه، يجلس كالمسحور يردد لنفسه: "أصلي!!".

ظل يرددها لنفسه مرارًا وتكرارًا حتى يستوعبها عقله كالطفل الذي يخشى نسيان كلمة جديدة سمعها

وعليه أن يرددها مرارًا كي يحفظها.

❋ ❋ ❋

الفصل السابع

تصاعد رنين الهاتف بمتجر الكتب الأنيق في تلك المنطقة التي تحتفظ برقيها بالرغم من قدمها.

التقطت شهد الفتاة العاملة بالمتجر الهاتف لتقول بآلية: "متجر كتب نون يرحب بكم".

سأل الرجل: "هل يمكنني التحدث للدكتورة ضحى؟".

قالت الفتاة: "انتظر لحظة".

ثم التفتت لضحى التي كانت منهمكة في قراءة أحد المراجع الخاصة بتدريسها بالجامعة لتقول لها: "دكتورة ضحى، مكالمة لك".

وضعت ضحى كتابها ثم التقطت الهاتف لتسأل: "من معي؟".

قال الصوت الذي تعرفه حق المعرفة منذ سنوات طفولتهم: "مرحبًا ضحى، هل أنتِ بخير؟".

تهلل وجهها ببشر هاتفة بفرحة: "ساجد.. كيف حالك؟ مضى زمن لم أسمع صوتك به".

قال ساجد باعتذار: "أنتِ تعرفين الدنيا ومشاغلها يا ضحى، أمازلتِ تتلهين بمتجرك الأنيق ذاك؟".

ضحكت ضحى بمرح وتقول بينما تتأمل متجرها بحب: "وأين سأذهب؟! أنت تعرف هوسي بالفكرة منذ طفولتي، كما إني أمتلك

فراغًا رائعًا كي أملأه بما أحب ولا أروع من فكرة إمضائه في متجري الأنيق".

كانت ضحى تحلم بامتلاك متجر للكتب منذ طفولتها، وعندما كبرت وعملت بالجامعة كانت الفكرة ما تزال تلح عليها.

حصلت لنفسها على إجازة لمدة عام من العمل لتتفرغ لتحقيق حلمها، افتتحت المتجر في نفس الحي السكني الذي تقطن به حتى يسهل عليها موالاته بنفسها، عانت كثيراً حتى حققت لنفسها اسمًا مسموعًا بما أضافته على المتجر، فقد أضافت جزءا للهدايا وجزءا للتصفح الإلكتروني، وركنًا للقراءة المجانية، كما إنها أقامت عدة من حفلات التوقيع للكتَّاب الجدد حتى يعرف الناس مكان متجرها، وعددًا من جلسات مناقشة كتاب من الكتب، وها قد حققت حلمها.

قال ساجد: "ضحى أريد منكِ خدمة".

أسرعت ضحى لتجيب بمرح: "نعم ها قد ظهرت على حقيقتك، دائمًا الخدمات ما تريد، تفضل وقل ما تريده يا سيد ساجد".

ضحك ساجد ثم بتر ضحكته يتنحنح بحرج: "حسنًا.. دعي خدمتك لي طي الكتمان، فلا أريد لمخلوق أن يعلم عنها شيئًا ولا حتى عبد الرحمن".

قالت ضحى بمزاح: "يا إلهي، اعترف.. من قتلت؟".

رد ساجد بتردد: "لم أقتل بعد، أخبريني أنت، لو أردت أن أقتل امرأة هل يكفي أن أرسل لها شعراً؟".

بُهتت ضحى وصمتت ثم غمغمت بحرج: "أنت تريد أن تهادي امرأة؟ هل ستعتزل عزوبيتك قريبًا؟".

رد بإحراج: "لا تفاصيل يا ضحى، أنا لجأت إليكِ لأنك مثلها أنثى، أريد شيئًا يتسلل لقلبها بعفويته".

قالت ضحى مفكرة: "يمكنك إهداؤها الشعر، من منا لا تحبه؟! عندي مطبوعة بشكل جديد لذلك الشاعر الرائع والذي تغنى بشعره عدد من المطربين".

قال ساجد بجزل: " حسنًا يا ضحى، سوف أمر عليك لأختار عدة كتب من عندك ثم ستسدين لي شطرًا آخر من الخدمة".

سألت بفضول: "أي خدمة تريد؟".

قال بغموض: "دعيها لوقتها يا ضحى"، قالها بينما بسره يكمل بغموض أشد: "مرسال العاشقين".

دون أن يدري بأن تلك الخدمة ستكون بداية لحكاية، حكاية تحمل بين طياتها ما يستحق الإبحار، ومرفأ لقلبين آخرين.

* * *

اليوم الأول من الهدنة....

رن جرس باب الشقة، هتفت وسن من المطبخ حيث تعد طعام الغداء بواصف: "واصف.. قم واذهب للباب فأنا منشغلة".

كان واصف قد خرج من الحمام يرتدي بنطالًا فضفاضًا وقميصًا قطنيا خفيفًا دون أكمام لا يتناسب مع برودة الجو، شعره المبتل متناثر على جبينه وجانبي وجهه.

فتح باب الشقة فجأة دون أن يسأل عن الطارق، أجفلت الفتاة المحجبة الأنيقة الواقفة خلف الباب بقوة، نظر لها بفضول وتساؤل وهو يمشط شعره للخلف بيده.

تعلقت عينا الفتاة به بصدمة دون أن تجد لسانها ليسعفها بالكلام، كان يبدو شخصًا غريبًا بتلك القلادة الجلدية المتدلية من عنقه وتماثلها ربطة جلدية حول معصمه، وشعره المستطال بطريقة لم تعتدها، لون عينيه العسلي المخضر يتناقض مع بشرته السمراء بشدة.

كان يتابع نظراتها المتنقلة بين شعره ورقبته ومعصمه بتفكه، ثم سألها بفظاظة: "نعم؟"

ابتلعت ريقها لتجاوب بخفوت مرتبك: "هل هذه شقة وسن الأنصاري؟".

مال نحوها بتسلية: "نعم، وأنا أخو وسن، بم نخدمك؟".

لا يدري لما استفزته تلك الفتاة بملابسها المحتشمة وبراءة نظراتها، ورغم ذلك لا ينكر أناقتها وعصريتها.

قالت الفتاة بتلعثم لا تدري سببه: "أنا أحمل لها شيئًا من متجر الكتب".

قال بسخرية وهو يتفرس في ملامح وجهها بوقاحة: "إذن أنتِ فتاة التوصيل؟".

قالت محاولة أن تتظاهر بالهدوء وقد تمالكت نفسها بعض الشيء: "نعم، يمكنك قول هذا، والآن هل لي أن أقابلها؟".

فتح الباب قليلًا وهو يشير لها بحركة مسرحية: "تفضلي آنستي العزيزة، يمكنك الدخول وانتظارها بغرفة الضيوف"، وعندما وجدها لا تخطو أي خطوة نظر لها بدهشة قائلًا: "هل ستظلين بالخارج؟".

احمرت الفتاة لتجيبه بحزم يناقض احمرارها: "فقط ناد لي الآنسة وسن حتى أنصرف".

ظل ينظر لها بحيرة ثم استدار ليدخل الشقة تاركًا إياها على الباب تنتظر.

خرجت وسن من المطبخ، نظرت للفتاة بترحاب وتحير قائلة: "تفضلي".

خطت الفتاة خطوات مترددة نحو صالة الشقة الأنيقة بالرغم من صغر مساحتها لتجلس على أقرب مقعد يقابلها، جلست وسن قبالتها سائلة بتحير: "بم أخدمك؟".

لم تنتبه وسن لحقيبة الهدايا التي تحملها الفتاة والتي وضعتها أمام وسن قائلة: "أنا ضحى سيف الدين، معي طلبية لتوصيلها إليكِ من متجري".

عقدت وسن حاجبيها بتساؤل وهي تغمغم: "طلبية؟ وما نوع الطلبية؟ لا أذكر إني قد طلبت شيئًا في الآونة الأخيرة".

قالت ضحى بحرج: " أنا أمتلك متجراً لبيع الكتب، أحيانًا تأتينا طلبيات لتوصيل بعض الكتب لعناوين طالبيها، لديّ فتى للتوصيل، لكن تلك الطلبية جاءت بطلب شخصي لاسمي وهو ما لم أستطع رفضه".

قالت وسن بتساؤل: "إذن لست أنا من طلبتها، من هو المرسل؟".

تنهدت ضحى بحرج: "غير مسموح لي بذكر الاسم، بإمكانك الاطلاع على الطلبية بعد أن أرحل فربما أرسل لك المرسل ما يُعرفك به"، قالتها ثم نهضت لتذهب لكن دخول واصف من المطبخ يحملَ صينية عليها كوب من العصير قائلًا بمرح ساخر: "من دواعي اللياقة أن نُكرم الضيف".

ثم غمز لوسن قائلًا بخبث: "أليس كذلك يا أختي العزيزة؟".

نظرت له وسن محذرة بعينيها ثم أجابت: "طبعًا، لا يصح يا آنسة ضحى أن تذهبي قبل أن تأخذي واجب الضيافة".

ردت ضحى بحرج تتلاشى النظر تجاهه: "ربما مرة أخرى فأنا متعجلة للذهاب".

قال واصف متصنعًا الأسى: "وتعبي في تحضير العصير سيذهب هباءَ؟".

تبسمت وسن من أخيها وهي تقول لضحى: "لقد تعب في صبه من الزجاجة، لذلك لا تجعليه يتذمر كمن أدى مجهودًا لا يُستهان به وتفضلي اشربي العصير".

غمغمت ضحى وقد تزايد ارتباكها من نظرات واصف المحدقة بها: "صدقيني فيما بعد، الآن عذرًا عليّ الذهاب".

ثم استدارت تجاه باب الشقة، فتحت وسن باب الشقة قائلة بكياسة: "شرفتني زيارتك آنسة ضحى".

قالت ضحى مصححة بتلقائية محببة: "ناديني ضحى، لا داعي للألقاب".

ثم فتحت حقيبتها لتُخرج منه بطاقة وردية داكنة اللون مكتوب عليها بالأسود المفضض اسم متجر كتبها وعنوانه.

تناولتها منها وسن لتنظر لها بإعجاب قائلة: "تبدو جميلة".

ثم نظرت لضحى قائلة: "حسنًا، شرفتني زيارتك يا ضحى أتمنى تكرارها".

هزت ضحى رأسها بعفوية وقالت: "وأنا أتمنى أن تكون معرفتنا بداية خير، أستأذن منك".

استدارت لتنزل السلم دون أن تلمح نظرات واصف المتفحصة والتي يرمقها بها من خلف ظهر وسن، نظرات تحمل الغموض والفضول في آن واحد، وكأنه وجد فيها ضالته، وحركت الجمود بداخله.

* * *

أمسكت وسن حقيبة الهدايا ووضعتها بغرفتها، كانت تؤجل المحتوم، فقد طرأ على تفكيرها أن المرسل شخص تعرفه لذلك لا تستطيع أن تفتح الحقيبة أمام واصف.

انتظرت بعد تناول الغداء لتختلي بنفسها في غرفتها، أمسكت الحقيبة الورقية الحمراء تتفحصها، كانت أنيقة بداخلها صندوقًا فخمًا أسود من الورق المقوى.

فتحت الصندوق لتجد به ثلاثة كتب، أمسكت الأول كان ديوانًا للشعر لذلك الشاعر التي تعشق أشعاره، فتحت الغلاف لتجد مكتوبًا عليه إهداء بسيط.. (ذات يوم تمنيتِ أن تُهدين شعرًا، لن تكفي كل أشعار الدنيا لتحقيق حلمك، اقرأيهَا وحلقي معها فأنا لا أجيد سوى الإهداء).

ظلت تحملق به وقد بدأت ابتسامة صغيرة ترتسم على ثغرها، وضعته جاذبًا بحرص وتناولت الثاني، كان رواية قد وضعت اسمها على أحد المواقع ذات يوم في إحدى خانات ما يتمنى قراءته المتابعون.

تعجبت، هل يتابع حساباتها الإلكترونية؟ فتحت غلافها لتقرأ الإهداء.. (أعجبتني، تمنيت أن تكونين أنتِ من تشاركينني مناقشتها ذات يوم، تحقيق أحلامك جزء من عالمي).

صُدمت من الإهداء، أيُعقل أن يكون تشابههما في الأذواق صدفة، أم هو وبكل بساطة اخترق حساباتها وخصوصيتها ليسهل الوصول إليها.

تملكتها الحيرة لكنها أمسكت الكتاب الثالث، كان كتابًا مشوقًا قد قرأت تحليلًا له من قبل يتحدث عن بعض الجوانب النفسية والتجارب التي مر بها بعض الأشخاص في اختيارهم لقرارات حاسمة في حياتهم.

فتحت الغلاف لتقرأ الإهداء.. (لا أدري سبب اختيار هذا الكتاب بالذات، ربما بعض القرارات المصيرية بحياتنا نأخذها بتخوف ولا نتوقع نتيجة الاختيار، خُلقنا لنجرب بحدود المنطق ولتحديه في بعض الأحيان، ربما بعض الخرق لقوانيننا الشخصية يكون أفضل ما حدث في حياتنا، أتمنى أن تخرقي قوانينك لأجلي ومن أجلي، جربي ولن تندمي).

وضعت الكتب جانبًا ساهمة، ظلت تنظر لهم بحيرة، كان ساجد قد بدأ معركته لاحتلال قلبها وهذه الكتب خير دليل على ذلك.

أمسكت كتاب الشعر واستلقت على بطنها تتصفحه، فتحت القصيدة الأولى لتجده قد كتب فوقها بخط أنيق.. (أنتِ تقرأين ما لم أستطع قوله لكِ بتلك الطريقة، قد أكون لم أكتبها ولكني أعنيها بكل جوارحي).

خفق قلبها وانطلقت تقرأ في صمت.

أحبك جدًا وأعرف أني أعيش بمنفى..

وأنتِ بمنفى..

وبيني وبينك..

ريح..

وغيم..

وبرق..

ورعد..

وثلج ونار.

وأعرف أن الوصول لعينيكِ وهم..

وأعرف أن الوصول إليكِ انتحار..

ويُسعدني..

أن أمزق نفسي لأجلك أيتها الغالية..

ولو خيروني..

لكررت حبك للمرة الثانية.

* * *

مساء اليوم الأول....

كانت وسن معتكفة طوال اليومِ بغرفتها تقرأ وتقرأ.

كا نت كل قصيدة تحمل إهداءَ خاصًا بكلمات معبرة تتغلل ثنايا قلبها المتصحر.

تهتز بداخلها وتنتفض وقد كانت تظن بأنها وأدت حلم مراهقتها بمِن يهديها شعرًا وأن حلمها قد مات.

لكن ها هو يعود لينهض من سباته من جديد، ساجد وآه من ساجد، كيف يعرف مواطن ضعفها فيخترق حصونها ليدكها واحدًا تلو الآخر.

استلقت على ظهرها محملقة في سقف الغرفة تشعر بالضياع، مشاعر لا تستطيع ترجمتها أبدًا، فهي لم تجرب يومًا كل هذا

التناقض بمشاعرها، تريده وتريد الهرب منه، تعجبها مطاردته لها وتنعش روحها بينما جزء من داخلها يحثها على المقاومة.

تفرح بكلمات العشق الصادرة منه وبنفس الوقت يتملكها خوف غريزي من تكرار التجربة.

كانت تتقلب من جانب لآخر لا تدري ما السبيل للهروب منه، لا تقوى على أخذ قرار بشأنه، صدمها بكل هذا الحب الذي يحمله لها، أتصدقه وتثق بكلامه دون أن يعطيها دليلًا واحدًا بأنه يعشقها منذ سنوات، وأين كانت هي كل هذه المدة؟

ولِمَ لم يظهر في حياتها من قبل؟

لِمَ يرفض البوح لها بكل ما يقض مضجعها؟

لِمَ يرفض إراحتها بذكر الحقيقة المتعلقة بزمان ومكان معرفته بها؟

ربما لأن الحقيقة قد تكون موجعة كما أخبرها.

كانت تشعر بأنها تريد الكلام، ستجن من كل هذه الحيرة.

أمسكت هاتفها وأجرت اتصالًا بهديل، كانت تعلم بأن هديل ما إن تعلم بأمر ساجد فستدفعها للقبول به دون حتى معرفة التفاصيل.

هديل تلك المجنونة والتي تعيش في حكايا السندباد وعلاء الدين.

ردت هديل بصوت ناعس: "مرحبًا يا مزعجة، ألا تملكين ساعة لمعرفة الوقت؟".

قالت وسن بهمس: "لا أستطيع النوم".

قالت هديل متثائبة: "وما ذنبي إذا كنتِ أنت تنامين بالصباح كما يحلو لك بينما أن أكد وأعمل بدلًا عنكِ ومديرنا الهمام يضيق عليّ الخناق ليتأكد من تنفيذي لتعليماتك بالحرف، أشعر وكأنه يعاقبني على كسري لإصبعك".

ضحكت وسن بخفوت ثم سألت: "كيف تبلين معه في العمل؟".

قالت هديل: "إفف، لا يطاق، قضيت أسوأ أربعة أيام بدونك، يتصل بي كي يتابع ما أفعله ويسألني إذا ما كانت ربة الصون والعفاف وأقصدك أنتِ تتابعين ما أفعله أم أتصرف من تلقاء نفسي، لم يهدأ حتى أريته الصور التي أرسلتها لي كي أنفذ ما بها على أرض الواقع".

تبسمت وسن دون أن تجيب، لكن هديل صاحت بها: "هل تتصلين بي لتسمعيني صمتك؟ ليس هذا بوقت مناسب للشرود".

قالت وسن بسرعة وقد استفاقت: "إذن تصبحين على خير".

هتفت بها هديل: "انتظري يا وسن، هيا هاتي ما بجعبتك، أعرف إنكِ تريدين إخباري بشيء ما، لست حمقاء".

صمتت وسن لا تدري كيف تبدأ الحوار لكن هديل ألحت: "انطلقي، أخبريني بما يحيرك وكلي آذان صاغية".

قالت وسن بحرج: "لقد تقدم أحدهم لخطبتي".

قالت هديل بامتعاض: "وما الجديد؟ كل صباح تدوسين قلبًا جديدًا وكأنك تتلذين بالإفطار بهم".

قالت وسن وحرجها يتصاعد: "الجديد هو إنه شخص لا أستطيع الإفطار به ببساطة، إنه ساجد".

هتفت هديل بذهول وهي تصرخ: "المدير، كنت أعلم، يا إلهي كنت أعلم"، ثم أطلقت زغرودة صغيرة. احمرت وسن ووضعت يدها على وجهها تخفيه وكأن هديل تشاهد إحراجها.

عندما انتهت هديل من نوبة الهلوسة الفرحة التي أصابتها قالت بفضول: "أريد التفاصيل بسرعة يا فتاة وإلا ستجدينني عندك الآن".

أطلقت وسن ضحكة قصيرة مبتورة لتقول باهتزاز: "أريدك غدًا في منزلي، سأنتظرك، لا أستطيع الحديث في ذلك الموضوع الآن، أراكِ غدًا".

قالتها وأغلقت الاتصال بوجه هديل التي عقدت حاجبيها صائحة: "انتظري يا سخيفة، لن أستطيع النوم دون التفاصيل"، ثم وضعت يدها على وجهها تفرك عينيها وتقول: "قلبي كان يعلم، لا أتصور بإني شعرت بذلك قبل حدوثه، الآن فقط عرفت سر غضبه مني ومحاولته إصابتي بالجنون، إنه ينتقم"، قالتها بينما تضحك كالمجانين.

* * *

خرج واصف يدور بسيارته بلا هدف حتى وجد نفسه في ذلك الحي الراقي والذي رأى عنوانه على البطاقة التي أعطتها ضحى لوسن.

أوقف سيارته على جانب أحد الأرصفة واستغرق في تفكير عميق يحاول تحليل سبب تواجده في هذا المكان بالذات.

لا يدري لما قادته قدماه ليأتي هنا خصيصًا، ربما هو يريد أن يرى تلك الفتاة المحتشمة مرة أخرى.

كانت تبدو له عجيبة بتوليفة لبسها وحجابها، قد لا تبدو جميلة لكن بخبرته في النساء استشف بها البراءة وقلة الخبرة.

بها شيء جذب روحه، أراد أن يقترب منها، أن يعبر بداخلها فيرى مصدر ذلك النقاء الذي يطفو على ملامحها.

ظل ساكنًا في مكانه بالسيارة يحاول أن يتذكر أين كان عنوانها بالضبط لكنه عجز عن التذكر.

أدار محرك سيارته وقرر أن ينطلق بها يغمره إحساس بالخيبة، لا يريد أن يتصل بوسن ليطلب منها العنوان، فهو لا يدري كيف سيبرر لها طلبه خاصة وهي قد لمحت له أنها تعرف عنه الكثير فيما يخص علاقاته النسائية.

ارتفع صوت أذان العصر من مسجد قريب، كان صوت الأذان يسبب له رجفة في أعماقه، تذكر والده وشيخ المسجد الضرير الذي كان يحضر له ندواته في صغره، انتفض، شعر بالحنين لتلك الأجواء، يشعر بالخواء الروحي يتملكه أكثر من ذي قبل.

أطفأ محرك سيارته في سكون، ظل يتسمع للأذان بوجل وكأنه يستمع له بأذن لم تعه من قبل، وفي قرار مفاجئ ترجل من سيارته يتعثر الخطى تجاه المسجد، خجل فظيع انتابه وهو واقف على باب المسجد، أراد الاستدارة والعودة لسيارته مرة أخرى، إلا إنه ظل

واقفًا متسمراً مكانه لا يقوى على الدخول أو الخروج، تتخبط به أجساد الداخلين دون أن ينتبهوا لوقفته المشلولة، وعندما قرر الاستدارة والعودة من حيث أتى، ارتفعت يد مليئة بالتجاعيد لتحط على كتفه، أجفل ينظر لصاحبها، كان عجوزًا أشيب الشعر واللحية، وجهه متغضن بألف تجعيدة وتجعيدة وبالرغم من ذلك تشعر وكأن الضياء يشع منه.

أمسكه العجوز من ذراعه قائلًا بلطف: "دعني أتكئ عليك يا بني، فلست أقوى على الحراك وحدي".

غمغم واصف مبهوتًا: "تفضل يا عماه".

دخل يؤخر قدمًا ويقدم أخرى، مازال يختض وجسده ينتفض، يشعر بالرهبة تغلف روحه وتقبض على أحشائه.

قال العجوز ببشاشة: "هل تقودني إلى المغسلة؟ أريد تجديد وضوئي".

نظر واصف حوله بتيه يحاول استكشاف المكان، لكن العجوز بشوش الوجه أشار له نحو مكانها وهو يجره خلفه، كان من يراهم يجد أن واصف هو من يتكئ على العجوز والعجوز يسحبه خلفه بلطف بينما يسير واصف كطفل مشوش تائه.

دخل واصف مكان الوضوء، كان قد نسي كيفية إتمام وضوئه بالترتيب، فمنذ وفاة والده انقطع عن الصلاة وكأنه بذلك يقطع كل ما يذكره بوالده.

جلس العجوز وهو يرى نظرات واصف التائهة فقال ببساطة: "يبدو إنك لست من سكان المنطقة، هل هي أول مرة تأتي هنا؟".

انتفض واصف يحدق بالعجوز كمن لسعه السؤال، لكن العجوز أكمل كلامه دون أن يظهر انتباهًا لرد فعله: "اجلس وتوضأ معي، فيبدو أن عجوزًا ثرثارًا مثلي قد وجد الأنس بك حتى شاغلتك عن الوضوء".

جلس واصف بخجل يختلس النظرات للرجل العجوز أثناء وضوئه كي يتذكر ترتيب الخطوات، كان العجوز يلاحظ نظرات واصف الخفية لذلك أخذ يطيل كل خطوة يفعلها حتى يتيح لواصف أن يفعل مثله.

انتهى الوضوء فالتفت العجوز قائلًا لواصف: "هيا لنلحق الصلاة فالإمام على وشك البدء".

قام من مكانه وانتظر أن يقوم واصف ليتكئ عليه كما فعل منذ قليل.

اصطف الناس خلف الإمام، شعر واصف وكأنه في غير وعيه، سكينة تلبست روحه، هدوء وإحساس بالأمان لم يألفه منذ زمن.

انتهت الصلاة، لكن واصف ظل جالسًا في مكانه يشعر بالضياع، لا يعرف ما يحدث معه، لم يفكر، شعر وكأنه ينعي سنين عمره التي ضاعت هباء، ينعي تيهه وفساد روحه التي أظلمت بما اقترفته يداه كل تلك السنون.

ربت العجوز على كفه قائلًا في حنو: "ما بك يا ولدي؟ هل أنت بخير؟".

قال واصف مهمهمًا بكلام غير مترابط: "لقد تهت بعيدًا يا عماه، تهت وضللت الطريق لسنوات، كيف سأعود وأنا أشعر بأن طريق العودة صعب وطويل، لا أعرف من أين أبدأ؟ من أين أطلب الغفران، بل كيف أطلبه وأنا في مثل عمري الآن؟".

قال الرجل بتسامح: "لا يهم كم ضللت يا بني، ما يهم هو الرجوع والتمسك بالعودة مهما قابلتك العقبات، لا نبلغ أهدافنا ببساطة كما نشتهي، ومهما كبرنا يا فتى مازلنا بحاجة للغفران، من يسعى إليه يجده ولو بعد حين".

ظل واصف على وضعه حتى هدأ وتمالك نفسه، رفع وجهه ينظر للعجوز، كانت أول مرة يرى ملامح وجهه المتغضنة، فقال بخجل لم يكن يعرفه من قبل: "آسف عماه إذ أثقلت عليك بكلام غير مترابط".

كان الرجل مبتسمًا ينظر إليه، قال بمحبة: "لا بني لم تثقل عليّ، لقد سررت برؤيتك، أنا أدعى سيف الدين وأنت، بماذا أدعوك؟".

قال واصف بخفوت: "اسمي واصف".

قال العجوز ببشاشة: "هل لديك وقت لتوصيلي لمكان ما؟".

رد واصف بحرج: "لديّ كل الوقت".

نهض الرجل وهو يمد يده لواصف ليساعده على النهوض: "إذن هيا بنا، فلقد تأخرت".

سار واصف يتأبط ذراع الرجل ويمشي بتمهل في خطواته كي يواكب خطوات العجوز، وصلا خارج المسجد فقال واصف مشيرا لسيارته: "معي سيارتي هنا".

نظر لها الرجل ثم قال ببشاشة: "لا داعي لها، المكان قريب، كما إني أحاول تحريك قدمي بين الحين والآخر".

في قرارة نفسه أراد أن يعطي لواصف الوقت حتى يتآلف معه، انتابه إحساس بأن ذلك الفتى يحتاج المعونة بحياته المتخبطة، وكأن الله أرسله إليه اليوم ليأخذ على عاتقه مهمة إرشاده لطريق ضل عنه طويلًا، ليس ثقة بنفسه ولكن سعيًا بالخير، فواصف هذا يشبهه عندما كان صغيراً يتيه في طريقه حتى وجد من يأخذ بيده.

سارا عدة خطوات ثم سأله واصف: "أين نذهب؟".

قال العجوز بغموض: "لدي حفل صغير أود حضوره، لا أستطيع التغيب عنه".

قال واصف: "حفل؟! هل تحضر حفلات؟"، كان يريد أن يكمل(في مثل هذا العمر)، لكنه بتر جملته لإحساسه بأنها غير لائقة.

ضحك العجوز بمرح وغمز: "نعم أحضر كل الحفلات من هذا النوع ولا أستطيع التغيب عنها، فمن جهة أستمتع بمنظر الشباب

وهم يتذوقون طعم النجاح لأول مرة، ومن جهة أخرى إذا لم أحضر فسوف أتعرض للتوبيخ".

نظر له واصف بحيرة يهم بسؤاله عندما أشار العجوز فجأة لمتجر يحمل لافتة من اللون الوردي الداكن تحمل بخطوط سوداء عملاقة اسمًا جفف الدماء بعروقه، اسم متجر للكتب كان يبحث عنه منذ قليل، وكيف لم يعثر عليه وقد سار بهذا الشارع من قبل.

تجمدت خطوات واصف، نظر له العجوز بحيرة متسائلًا: "لم توقفت؟".

رأى نظراته المهزوزة المحدقة بالمتجر فعقد حاجبيه قائلًا: "هيا يا بني فالحفل على وشك البدء".

كان يشعر بوجود خطب ما لكنه آثر الصمت ولم يتحدث، نظر له واصف بعدم فهم ليسأل: "حفل ماذا؟".

قال الرجل في حبور: "حفل توقيع إحدى روايات كاتب شاب نجح في لفت أنظار القراء بأسلوبه المتميز وهذا أول حفل يقام له".

سار واصف يجر قدميه لا يعلم لم تملكته الحيرة إزاء الموقف بأكمله، فهو قد ضل الطريق ولم يستطع وصول المتجر، والآن يصل له بصحبة هذا العجوز البشوش، كان يشعر بالتشوش جراء كل هذه المشاعر التي يتخبط بها منذ دخل المسجد وحتى وجد ضالته.

شعر بأنها رسالة موجهة إليه.. رسالة لروحه التائهة في تخبطها لعلها تستقر وتهدأ أخيرًا.

* * *

تعالت الطرقات على باب شقة وسن، كانت هديل قد حدثتها منذ قليل لتخبرها بأنها في الطريق إليها، لذا أسرعت وسن لتفتح باب الشقة دون أن تسأل من الطارق، بُهتت، كان الواقف على الباب آخر شخص تتوقع وصوله.

نظرت له محملقة بتعجب تقول بحذر: "مرحبًا سيد كامل، كيف أخدمك؟".

نظراته اللزجة تحملق بها وهو يبتسم قائلًا: "جئت أطمئن عليكِ وأرى كيف هي أحوالك".

ردت تجيبه بحذر: "أنا بخير، شكرًا لسؤالك".

ناولها علبة أنيقة مغلفة وهو يغمز متصنعًا المرح: "إذن هل سنكمل كلامنا على الدرج أم ستسمحين لي بالدخول هذه المرة؟".

نظرت له وسن محتارة، كانت تشعر بالحرج من سماجته في فرض نفسه وتريد طرده شر طرده.

استشعر حيرتها فأسرع بالقول: "أريد أن أحدثك بخصوص موضوع مُلح".

نظرت له في تفكير بينما تدير الوضع في رأسها، استقرت على السماح له بالدخول وترك باب الشقة مفتوحًا، فقد كانت هديل على وشك الوصول بأي لحظة.

فتحت له الباب وتنحت جانبًا مشيرة له بالدخول، انتظرت إلى أن استقر على مقعده ثم جلست في المقعد المقابل تنظر له بفضول متسائل بانتظار أن يبدأ الحديث.

ظل ينظر لها وعلى وجه ابتسامة مقيتة ثم قال دون مقدمات: "أريد الزواج منكِ".

حملقت به مبهوتة تردد بغباء: "الزواج مني؟!".

قال وقد ارتسمت الجدية على وجهه: "نعم يا وسن، أنتِ فتاة جميلة ومتميزة وقد أعجبتني، لذلك أنا أريد الزواج بكِ، فما يعجبني أحصل عليه".

قالت وسن وقد بان على وجهها الرفض قبل أن تنطق به: "شاكرة لك عرضك، لكن أنا لا أريد الزواج".

قال وقد ارتسمت ملامح الكبر على وجهه: "ولِمَ؟".

هزت رأسها تقول له بهدوء: "لا يوجد سبب، فقط أنا لا أريد".

اعتلى وجهه الغضب وقد أحس بالإهانة من ردها فهتف: "أنت ترفضينني أنا؟ من تظنين نفسك؟ أنتِ امرأة مطلقة ليس لديها أي فرصة في الزواج من رجل مثلي، ورغم ذلك اخترتك لأتزوج بكَ، لأعوضك عن حياة البؤس والازدراء التي تحيينها، أتظنين إني لا أعلم عن ماضيك شيئًا، لقد كنتِ تُعاملين معاملة الجواري".

قالت له وسن بسخرية تقطر غلًا: "وأنت كيف ستعاملني لو ارتضيت الزواج منك؟ أريد أن أعرف وضعي إذا ما قبلت الزواج منك، هل ستجعلني زوجتك في العلن؟".

عقد حاجبيه يقول بوقاحة: "سأعاملك معاملة أفضل مما كنتَ تُعاملين، على الأقل سأثبت لكِ إني رجل بحق ولست رجلًا بالاسم،

أما عن وضع الزواج فسيكون بالسر، لكن لك كل الضمانات التي تطلبين".

هبت وسن وقد احمر وجهها من الغضب والوقاحة التي يتحدث بها لتقول: "أرأيت كيف تتحدث أيها السيد المحترم؟ تريد زواجًا بالسر كي لا تنكشف نزواتك للمجتمع فتقل أسهمك، بينما أنا الجارية التي تأتي إليها خلسة لترفه عن نفسك ثم تتركها خلفك كالوضيعة لتذهب لزوجتك المغفلة تنام بجوارها قرير العين، لا.. أنا أرفض عرضك الذهبي، احمله وابحث عمن ترتضي لنفسها هذا الوضع ودعني لحياة البؤس والازدراء التي أحياها، فأنا أحبها كما هي"، قالتها وهي تشير بيدها للخارج لتكمل: "والآن من فضلك لقد انتهت الزيارة".

نهض من مقعده ينظر لها بكل ما يستطيعه من غل وحقد يقول من بين أسنانه: "أتطردينني من هذه الحثالة التي تعتبرينها مسكنًا، حسنًا ستعرفين من هو كامل وهدان".

قالها واستدار على عقبيه ليغادر لكنها نادت عليه ببرود قائلة: "انتظر"، ثم دفعت إليه العلبة المغلفة لتقول ببرود أشد: "تفضل هديتك، لست بحاجه إليها".

أخذ منها العلبة بعنف وهو يرمقها بنظرات قاتلة، ثم استدار ليهبط الدرج متعجلًا، اصطدم بفتاة سوداء الشعر تصعد الدرج مسرعة فصرخ بها: "انتبهي أيتها الحمقاء، هل أنت عمياء؟"، ثم نزل الدرج دون أن يلتفت إليها تاركًا إياها تحملق به بدهشة ثم

ترفع رأسها تجاه الدور الأعلى لتغمغم مبتسمة: "يبدو أن وسن قد رشت بعضًا من بهارها الحارق عليه فأتلفت أعصابه"، ثم استكملت صعود الدرج وابتسامتها تتسع شيئًا فشيئًا حتى غلفت محياها.

* * *

كانت وسن تقف بجوار باب الشقة واجمة دون أن تغلقه، وصلت لها هديل وهي تضحك قائلة: "ما به السيد سماجة؟ هل أغضبته؟".

وضعت وسن كفيها على خديها تمسدهما وهي تقول بقرف: "عليه اللعنة، لقد أفقدني أعصابي".

قالت هديل بدهشة: "أفقدك أعصابك؟ وماذا فعلت له بالمقابل؟ لقد كاد يدهسني على الدرج وهو ينزل كالثور الجريح".

غمغمت وسن بأسى: "ليتني أوفيته حقه وأشبعت غليلي منه، لو استطعت لكنت مزقت وجهه وقطعت له لسانه، الحقير".

أغلقت باب الشقة ثم اتجهت لأحد المقاعد القريبة لتكمل: "تعالى يا هديل واجلسي، أشعر بأني كتلة من الغضب على وشك الانفجار في أحدهم".

كانت تشعر بأن أذنيها تطن وأن الموجودات حولها تدور بها، وضعت كفها على جبهتها تسندها على ركبتيها ثم أخذت شهيقًا عميقًا كي تسيطر على حالة الغضب التي انتابتها فهزت أعصابها.

جلست هديل بجوارها تربت على كتفها قائلة بجدية: "يبدو أنه ضايقك فعلياً، فلم أرَكِ أبدا بكل هذا الضيق من قبل، ماذا فعل لكي يثير حنقك هكذا؟".

ردت وسن من بين شفتيها المزمومتين: "عرض شراء".

قالت هديل بتعجب: "عرض ماذا؟!".

رفعت وسن رأسها قائلة بحنق: "عرض شراء أو كما يسميه ذلك الحقير عرض زواج".

تعجبت هديل أكثر قائلة بحيرة: "عرض زواج؟! ماذا طلب بالضبط كي يجعلك تغضبين هكذا؟".

قالت وسن وهي تنهض من مقعدها وتشير لهديل أن تتبعها: " عرض عليّ زواج بالسر كي ينتشلني من البؤس الذي أحيا به".

ثم أردفت: "دعينا ننهي هذا الحوار القبيح قبل أن يصيبني الغثيان وأتقيأ".

تبعتها هديل قائلة بغضب: "لو كنت مكانك لكنت اقتلعت لسانه من فمه".

التفتت إليها وسن وهي تدلف للمطبخ: "أرأيتِ؟! كنت على حق بقولي إني كنت أريد قتله".

ثم زفرت بصوت عال لتخرج من حالة الغضب التي انتابتها لتكمل: "هيا ساعديني لأكمل طبق الحلوى الذي كنت أعده من أجلك قبل أن يأتي ذلك الوغد ويعكر مزاجي".

نظرت هديل على الطاولة هاتفة بمرح: "طبق حلوى لي أنا؟! يالي من محظوظة، لكن أنا أتضور جوعًا، فلم أتناول الغداء".

قالت وسن بينما تبدأ في إكمال طبق حلواها: "لقد طلبت لنا بعضًا من الطعام الجاهز بانتظار وصوله، فيدي لم تساعدني لإعداد الطعام بالمنزل".

قالت هديل: "كلما نظرت ليدك شعرت بالذنب، آسفة على ما سببته لك، كان من المفترض أن أتعهد لك بإرسال الطعام حتى تبرأ يدك".

ضحكت وسن بخفة قائلة: "حسنًا سأنتظر كرمك بداية من الغد".

أطلقت هديل ضحكة من إحدى ضحكاتها الصاخبة، ثم مالت نحو وسن تغمز قائلة: "الآن.. أريد التفاصيل، أدق التفاصيل يا وسن وإلا لن أرحمك".

غمغمت وسن: "تفاصيل ماذا؟".

رفعت حاجبيها متصنعة الدهشة: "تفاصيل حبيب القلب يا وسن، أيُعقل أن تكوني نسيتي سبب زيارتي؟".

فركت وجهها بظاهر كفها وهي تقول بقلق: "لا تنعتيه بحبيب القلب، تأدبي يا فتاة".

قالت هديل بتعجل: "لا يهم إن كان حبيب القلب أم القلب بدون حبيب، أنا أريد التفاصيل وبسرعة".

تظاهرت وسن بالتفكير مغمغمة: "التفاصيل.. حسنًا لا يوجد تفاصيل، فقط عرض زواج".

هتفت هديل تمط الكلمة: "نعم!"، ثم أكملت: "قطعًا هناك تفاصيل وأنت تخفينها، لن أرضى بأقل من التفاصيل يا وسن".

احمرت وسن مشيحة بوجهها: "إنها غير مهمة".

قهقهت هديل بينما تحدق بوجه وسن لتكمل: "غير مهمة ويصاحبك كل هذا الاحمرار، أراهنك أن الأمر به كثير من الرومانسية".

لكزتها وسن بكتفها قائلة: "لا تهمني التفاصيل، لذا لا داعي لذكرها".

هتفت هديل باحتجاج: "ولِمَ هاتفتني بالأمس إذا كنتِ لا تنتوين إخباري بالتفاصيل يا غليظة القلب والعقل، لن أسامحك، هل أخبرك بأنه يحبك؟".

صمتت وسن قليلًا ثم راوغت قائلة: "لقد أعطاني مهلة أسبوع لأرد عليه، ولم يضع الرفض ضمن خياراتي".

شهقت هديل بإعجاب ثم سألت بلهفة: "إذن ما هو ردك الذي تنتوين إخباره إياه؟".

قالت وسن بحيرة: "لا أعرف، أريد الرفض لكن أخشى قولها له".

صرخت هديل معترضة: "الرفض يا جاحدة!! أترفضين شابًا مثل ساجد يا عديمة التفكير؟ هل أنتِ بلهاء؟".

عقدت وسن حاجبيها بضيق قائلة: "احترمي نفسك يا هديل، لا تصرخي بي كالمجاذيب، ثم ما المشكلة إذا رفضته هو أو غيره".

قرصتها هديل من كتفها وهي تكمل صياحها: "أنا كالمجاذيب يا مجنونة يا قصيرة النظر، الرفض يكون لأسباب مقنعة وليس بالأهواء يا وسن، أخبريني ما هو سبب الرفض؟".

قالت وسن بنفاد صبر: "حسنًا.. أنا لا أستحقه يا هديل، يبدو أن الكل يراني اليوم عديمة القيمة بداية من ذلك الحثالة وانتهاءً بكِ".

قالت هديل معترضة: "لا يا وسن، لا أقلل من قيمتك، لكن لا بد أن تعقلي أسباب رفضك خاصة لشاب بمثل مواصفات ساجد وسيم ناجح ويبدو أنه يعشقك يا وسن، وحين ترفضين شابًا بهذه المواصفات فلا بد من وجود سبب مقنع".

قالت وسن وهي تتظاهر بالانشغال بما في يديها: "ربما لديّ أسبابي".

قاطعتها هديل: "اعرضيها عليّ ولنر إن كانت تستحق أخذها بعين الاعتبار".

قالت وسن بحنق: "لا.. لن أعرض أسبابي، يكفي أن لديّ أسباب مقتنعة بها وعليها فقد أخذت قرارًا يا هديل لا رجعة فيه".

حملقت بها هديل غير مصدقة وهي تهتف: "يا الله ألهمني الصبر على تلك المجنونة عديمة البصر والبصيرة، حسنًا أخبريني يا

سيدة الذكاء، كيف سترفضينه دون أن يكون الرفض من ضمن خياراتك؟".

اكتفت وسن بالصمت ولم تجب، كانت حائرة في كيفية إيصاله رفضها لأسباب ماتزال تفندها داخل عقلها علها تقنع نفسها أولًا بها كسبب للرفض.. لرفض ساجد.

❋ ❋ ❋

الفصل الثامن

دخل واصف لمتجر الكتب، لمح ضحى تمر بين الموائد المعدة لاستقبال رواد حفل التوقيع تتحرك بخفة وحيوية، تعدل من وضع مائدة أو تحرك كرسيًا من مكانه، ترص نسخ الرواية المعدة للقراء ليوقعها الكاتب.

ظلت نظراته تتنقل خلفها هنا وهناك بلا إرادة منه ودون أن يفطن لنظرات العجوز المتابعة له في صمت وتأمل.

كان يشعر بخبرته أن واصف ليس بريئًا، لكن نظراته المحدقة بابنته تحمل شيئًا أبعد من كونها نظرات وقحة، كانت نظرات حيرة ولمحة من الشغف وكأنها حفزت بداخله المستكشف ليعرف كنه هذه الفتاة.

شعر الشيخ سيف الدين بالحيرة من ردة فعل واصف عندما وصلا لمتجر كتب ابنته، تساءل إن كان بينهما سابق معرفة، هو يثق بابنته حق الثقة، يعلم أنها تضع الحدود والحواجز دائمًا في معاملاتها مع الرجال دون أن تمنح لأي منهم فرصة التقرب إليها.

لكنه أحس بالقلق قليلًا من فكرة أن تكون بينها وبين واصف سابق معرفة ولا يدري سببًا لقلقه ذاك، ربما لأنه تعوّد منها أن تحكي له تفاصيل ما يحدث لها أثناء ساعات فراغهما، قرر أن يختبر حدسه فاتخذ قراره بالخطوة التالية.

أجفل واصف المنهمك في مراقبة ضحى من بعيد بعد أن وضع الشيخ يده على ذراعه قائلًا: "تعال، دعني أعرفك بشخص عزيز على قلبي".

ثم استدار شاقًا طريقه بين الموائد والتي قد بدأت تمتلئ بالرواد، تبعه واصف في صمت، كان وجهه يعلوه الوجوم وهو يرى خطواتهما تقربه لتلك الفتاة المتحفظة التي رآها من قبل.

عندما وجد الشيخ يضع ذراعه على كتفها ليمسك به، ثم يميل ليقبل وجنتها بكل حنو متحدثًا معها بمرح لا يصل إلى أسماعه تسمر مكانه.

كانت تضحك وعيناها تتألقان ثم تميل لتطبع قبلة على خد والدها فبدا وجهها مشعًا بالفرح وعيناها متألقتان.

فتاة مليئة بالسعادة والسرور، تبدو ككتاب مفتوح يستطيع أيّ كان أن يقرأه، وكأنها لا توجد لديها هموم تغلف روحها ولم تعرف للتعاسة معنى، هكذا فكر واصف بينما ينظر نحوها بألق غريب في عينيه، وأفكار متذبذبة تجاهها.

كانت ترفع وجهها من على خد والدها حين لمحته يقف على مقربة يخترق لحظات خصوصيتها بنظراته المحدقة كالصقر.

أجفلت وعقدت حاجبيها ثم أبعدت وجهها خلف وجه والدها كأنها تختبئ به، لمح والدها ردة فعلها وتأكد له سابق معرفتهما، وبالرغم من ذلك أمسكها من ذراعها وهو يشير لواصف قائلًا: "تعال يا سيد واصف وتعرف على ابنتي ضحى"، ثم نظر لها بفخر وهو يُكمل: "الدكتورة ضحى".

اقترب واصف بخطوات متباطئة ليمد يده متكلمًا بهدوء حذر: "مرحبًا دكتورة ضحى".

نظرت ليده الممدودة بدهشة ثم رفعت عينيها تنظر إليه بسخط، وقبل أن تهم بالكلام سارع والدها ليمد يده لواصف ضاحكًا: "سأصافحك بالنيابة عنها، فلا نريدها أن تطردنا الآن قبل بداية الحفل".

بهت واصف ناظرًا لها بدهشة قائلًا: "عفوًا لم أقصد إحراجك".

كانت صامتة تشعر بخليط عجيب من مشاعر عديدة، هذا الرجل يؤثر بمشاعرها المضطربة، وجوده يربكها ويُشعرها بالاضطراب، به شيء غير معتادة عليه، نظراته، طريقة حديثه، ملامح وجهه الغامضة، وذلك الشعر الطويل، كلها أمور كانت تشوشها وبشدة.

قال والدها ليحفزها على الكلام: "ضحى.. السيد واصف ساعدني على الوصول لهنا، فدعوته لحضور الحفل، أرجو ألا يضايقكِ ذلك؟".

ابتلعت ريقها لتتغلب على تخبطها، ثم قالت لوالدها بعفوية: "لا يا والدي، ضيوفك مرحب بهم دائمًا فهم ضيوفي".

مالت بنظراتها جانبًا تجاه واصف دون أن تنظر له مباشرة لتقول بنبرة مجاملة: "أشكرك سيد واصف على اعتنائك بوالدي، يمكنك اختيار أي مكان يحلو لك لتجلس به، فالحفل على وشك البدء".

ثم استدارت لوالدها قائلة بعجل وكأنها تتهرب: "معذرة يا والدي الحبيب، الكاتب على وشك الوصول الآن سأذهب لأنهي إعداد المكان قبل أن نبدأ".

لوح لها والدها قائلًا بمحبة: "اذهبي يا جميلة والدك، أنا أعرف المكان، أستطيع تدبر أمري لا تقلقي".

استدارت ضحى التي تتحاشى النظر نحو واصف لتقول له بأدب: "أستأذنك"، ثم أكملت طريقها لمتابعة اللمسات الأخيرة قبل بداية الحفل.

* * *

أجفلت ضحى في مكانها خلف مكتبها عندما سمعت أحدهم يقول لها باستفهام: "إذن أنتِ طبيبة؟".

التفتت لتجد واصف يقف خلفها يستند على الجدار المجاور للمكتب باسترخاء.

ابتلعت ريقها لتجيب بخشونة تداري إحراجها: "من أوحى لك بذلك؟".

قال مبتسمًا بتهكم خفيف: "قال والدك إنك دكتورة، والشكل العام يوحي بذلك"، قالها وهو يمشطها بنظره من أعلى رأسها لأخمص قدميها بتفكه.

عقدت حاجبيها بتوتر، قالت وهي تمسد تنورتها الطويلة لأسفل كاحليها: "ما به شكلي العام حتى يوحي لك بالفكاهة؟ هل تثير رؤيتي سخريتك؟".

اعتدل ليقول بجدية هذه المرة: "أنا لا أقصد انتقادك أبدًا، أنا فقط أبديت تعجبي من ملابسك التي لم أعتدها، لم تعطين الموضوع أكبر من حجمه؟".

لم تجبه، كانت تشعر بالحنق منه، والحنق أكثر من نفسها لأنها سمحت له بالسخرية منها واستدراجها في الحديث.

نظرت ضحى لملابسها متجهمة، كانت ترتدي ملابس رسمية بسيطة ومحتشمة لا تدعو إلى كل هذا التعجب.

ظلت صامتة لحظات، ثم رفعت رأسها لتقول بجفاء: "أرجو المعذرة فلديّ ما أفعله".

قالتها لتستدير وتذهب من أمامه، لكنه بادرها مبتسمًا من تجهمها: "بالمناسبة اسمي واصف، كنت أعمل كمهندس برمجيات وأنا الآن عاطل عن العمل"، ثم مال إليها رافعًا إحدى حاجبيه: "إذا كنتِ تريدين توظيف مبرمج لديك فأنا في الخدمة".

نظرت له عاقدة حاجبيها دون أن تفهم دعابته لتقول بجدية وتحفز: "وما الذي سأفعله بمهندس برمجة لدي في متجر الكتب؟".

قهقه ضاحكا من جديتها: "الكثير، يمكنك استفادة الكثير صدقيني".

نظرت له مفكرة تقول بتعجب: "مثل ماذا؟".

هز رأسه متصنعًا الغموض قائلًا: "لا لن أخبرك، جربي توظيفي أولًا ومن ثم ستعرفين".

لوحت له بتلقائية قائلة: "لا، أشكرك، لا أريد موظفين الآن، ربما فيما بعد".

اكتفى بأن هز كتفه متصنعًا الأهمية: "لن أظل متاحًا فيما بعد، صدقيني أنتِ الخاسرة"، ثم قال مفكرًا وكأنه يحاول تعطيلها عن الذهاب وتركه: " وبما إنكِ لست طبيبة فما هي مهنتك يا دكتورة؟".

قالت بتململ: "لا شيء مهم، فقط أدِّرس بالجامعة".

نظر لها بتعجب: "تعملين بالتدريس وتملكين متجرًا للكتب، ومن أين تحصلين على الوقت لهذا وذاك؟".

اكتفت بأن قالت ببساطة: "لديّ كل الوقت، فليس لدي التزامات كثيرة".

قال بلؤم: "إذن أنتِ غير متزوجة؟".

لم تنتبه لاستدراجه لها بالكلام فتابعت: "لا، لست متزوجة".

سأل باهتمام: "لمَ؟ فتاة مثلك ما الذي يؤخرها في الزواج إلى الآن؟".

أجابت بهدوء وكأنها تقر حقيقة: "أنا لم أتأخر بالزواج يا سيد واصف، أنا فقط لم أجد من يستحق أن أتنازل عن راحة بالي لأجل خاطره، وحين يريد الله سأرضى بما يختاره لي".

ظل واصف ينظر لها صامتًا ومندهشًا، تلك الفتاة لديها قناعات غريبة داخل عقلها، تبدو أفكارها ثورية فيما يخص الرجال وبالرغم من هذا تتمتع برحابة صدر للتكلم مع رجل غريب عن قناعتها بأريحية ورضاء نفس.

قال باعتذار: "آسف، لم أقصد مضايقتك، فقط كنت أريد إدارة حوار معك".

قالت بهدوء حانق: "إدارة حوار مع البشر لا يتطرق لأسئلة شخصية مثل هذا"، ثم عقدت حاجبيها تقول بتأفف: "لا سيما إذا كان سؤالًا لا ينفك جميع الكائنات الحية وربما غير الحية عن سؤالك إياه".

ضحك من كلامها بشدة ثم قال بلهجة من يعتذر: "حسنًا، أخبريني كيف أدير حوارًا مع فتاة؟ فليست لدي الخبرة الكافية بنوعية الحوارات التي تليق بك".

نظرت له بعبوس تتكتف أمامه قائلة بتحفز: "وما هي نوعية الحوارات التي اعتدتها مع الفتيات؟ فلا أظن أنك عديم الخبرة بهذا الشأن".

ماتت الابتسامة على شفتيه وهو ينظر إليها ثم قال ببرود: "أظنك لا تفضلين معرفتها".

ابتلعت ريقها وعيناها تنزلان تلقائيًا إلى عنقه لتحدق بقلادته دون أن تجد لديها ردًا مناسبًا فاكتفت بأن أمنت على كلامه بخفوت: "لا يهمني المعرفة".

تتبع نظرات عينيها إلى قلادته فنظر إليها وهو يرفع قلادته أمام عينيها قائلًا: "هل تعجبك القلادة؟".

خفضت نظراتها تقول بتجهم وطريقة متحفزة: "لا، لا تعجبني، ولست أدري لمَ رجل مثلك يرتدي إحداها؟".

سأل بفضول متهكم: "وما عيبها؟ وماذا تقصدين برجل مثلي، كيف ترينني؟".

غصت بريقها ترمقه بنظرة قاتلة ثم تستدير لتبتعد عنه دون أن تجيب، كانت تشعر بالحرج، كان يدفعها لجانب حرج بأسئلته الجريئة تلك، هي لم تعتد على الوقوف مع أحدهم لإجراء حوار جانبي أبدًا بأي مرحلة من عمرها، تشعر أنها اليوم قد تجاوزت كل أعرافها بالوقوف معه للخوض بكل هذه الحوارات التافهة ليسألها بالآخر كيف تراه؟

انسحبت قبل أن تضطر للإجابة، فإجابتها لن تعجبه بأي حال.

والدها سيف الدين كان يراقب ما يحدث من بعد، يرى وقفتها المتصلبة ونظراتها المتجهمة، كاد أن يذهب ليقف معهما حتى ينهي ذلك الحوار الجانبي لكنه آثر الانتظار قليلًا فلا يريد إظهار ابنته بمظهر الطفلة التي يهرع والدها لإنقاذها إذا ما ضايقها أحدهم.

رأى انسحاب ضحى المتجهم بينما تتبعها نظرات واصف المتألقة، أيقن حينها أن ابنته تُلقى صدى بداخله.

كان لا يعلم ما دار بينهما، لكن من تجهم وجه ابنته أيقن بأنها تحسن التصرف بانسحابها، وعندما انسحبت من أمامه أيقن بأن واصف لن يدعها لحالها، فمن متابعته لها ونظراته الملاحقة لها عرف بأنها لن تكون تلك الزيارة الأخيرة لابنته، هذا إذا كانت تلك هي الزيارة الأولى.

نهض من مقعده يتوكأ على عصاه باتجاه واصف الذي مازال يقف

مسمراً بمكانه يتابع ضحى التي تتشاغل بمحاولة الانهماك في عمل لا يدري كنهه.

عندما اقترب منه لمحه واصف فاعتدل في وقفته ليقول بجدية وقد اختفت النظرة المتسلية من عينيه ليحل محلها ملامح الجدية: "مرحبا سيد سيف، أود أن أشكرك من كل قلبي على هذه الحفلة الرائعة، أشعر وكأن حالي قد تحسن الآن، أود أن أعبر لك عن شكري بالطريقة التي تحبها أنت".

تبسم سيف الدين وهو يقول بذكاء: "إذا أردت شكري يمكنك المرور عليّ بالمسجد لتجلس معي، أحيانًا أحتاج للرفقة".

قال واصف بأدب: "وأنا يشرفني صحبتك سيد سيف، سأمر عليك كلما سنحت لي الفرصة".

أخرج سيف الدين هاتفه ليسجل عليه رقم واصف، وعندما حفظ رقم واصف بهاتفه قال له: "لقد سجلت رقمك يا واصف، سوف أنتظر منك أن تمر عليّ بالمسجد".

ثم مال نحوه مؤكدًا على كلامه وعلى فمه ابتسامة ماكرة: "في المسجد يا واصف وليس في مكان آخر".

شعر واصف من تلميحات سيف الدين أنه يحذره بطريقة غير مباشرة من المجئ لمتجر الكتب مرة أخرى.

أصابه الحرج لأن ذلك العجوز الأريب قد لمح اهتمامه بضحى فقال على عجل ليداري إحراجه: "حسنًا سيد سيف، سأمر عليك

بالمسجد إذا ما أردت رؤيتك، والآن اسمح لي أن أذهب فلدي موعد".

قال الرجل بحبور: "تفضل يا بني، رافقتك السلامة".

ثم مد يده لمصافحة واصف الذي تناولها بأدب ولم يدر بأن تلك المعرفة بينهم ستكون البداية.. بداية جديدة.. لقلب جديد.

* * *

مستلقي على الفراش واضع إحدى ذراعيه خلف رأسه ويده الأخرى على صدره، صامت محملق في سقف الغرفة وكأنه قد تحول لتمثال من الرخام.

يشعر بشعور لا مثيل له، أهو قلق، توتر أم رجاء.

مشاعر مختلطة تعصف به فتعتصره، تخترق روحه وكأنها الريح تنخر به فلا تترك مكان بمشاعره إلا وقد بعثرته.

لكنها أبدًا لم تكن مثل مشاعره آنذاك، يوم رآها بحفلة خطبتها.

كان قد عاد من الخارج ليستقر مع جديه حين دعته عمته نادية لخطبة ابنها نادر بعد أن طلق زوجته الأولى بفترة قليلة.

لم تكن تربطه علاقة بابنِ عمته، كان شابًا مدللًا أفسدته عمته بدلالها، بينما كان والده شخصًا قاسيًا حد الغباء.

في المرات القليلة التي احتك به فيها لم يتآلف معه، كان يراه مهزومًا ضعيف الشخصية لا رأي له، يكتفي بالصمت بينما يرسم ابتسامة مهتزة على وجهه.

تحير ساجد من سرعة خطبته مرة أخرى بعد طلاقه المتكتم من زوجته الأولى، لكنه حضر حفل الخطبة برفقة جديه آنذاك إرضاء لهما ولعمته.

حينها رآها....

لا يدري ما حدث له، سحرته عيناها، كانت تبدو جميلة بطريقتها الخاصة، فتاة بريئة تعتلي وجهها ضحكة خجلة وبريق عينيها يشي بانبهارها كالأطفال.

كانت كالطفلة التي حصلت على لعبة جديدة يوم العيد.

رأى كيف يتمسك نادر بكفها وكأنه يخشى أن تحلق بعيدة عنه.

رأى خجلها ومحاولتها الإفلات من قبضته دون جدوى.

كان يشعر بشعور غير عادي يتحرك بداخله، يشعر وكأنه ينجذب بروحه إليها كما تنجذب الفراشات إلى الضوء فيكون مصيرها الاحتراق.

سيطر على ذلك الفيض الغريب من مشاعره تجاهها وهو يتجه إليهما ليبارك لهما على الخطبة.

صافحه نادر دون أن يبدي اكتراثًا حقيقيًا به، بينما صافحته وسن بخجل دون النظر إليه، حينها قرر لفت أنظارها فمال إليها يهتف بمرح قرب أذنها ليعلو صوته فوق صوت الموسيقي المرتفع: "مبارك لك آنستي، ستشرفين بوجودك عائلتنا".

اكتفت بأن هزت رأسها بينما تنظر له دون أن تعي شيئًا من ملامحه المحدقة بوجهها تبتسم مجاملة له.

استدار على عقبيه يشعر بأنه يريد أن يغادر المكان على عجل، لا يريد البقاء ورؤية عينيها الزمرديتين تشع كنار مسلطة على روحه.

* * *

بعد حفل الخطبة بأسبوع كانت عمته تزور جدته، عاد ساجد من الخارج ليجدها تثرثر بفرح كم أن نادر سعيد الحظ بتلك الفتاة وأهلها البسطاء، تشيد بأن الفتاة خجولة ورقيقة، وتتباهى بما قدمه نادر إليها هي وأسرتها من هدايا مبهرة زاغت لها أعينهم.

شعر ساجد بالغضب من كلام عمته فقال بخشونة: "مرحبًا عمتي".

نظرت له بحبور قائلة ببشاشة: "مرحبًا ساجد حبيب قلبي، هل رأيت عروس ابني؟".

اكتفى بهز رأسه متصنعًا اللامبالاة بينما كان يحترق بالغضب بداخله دون أن يعرف سببًا لذلك الغضب المتوهج.

تابعت عمته لاهية بثرثرتها: "أتمنى أن تجد فتاة مثلها يا ساجد"، ثم أردفت بخيلاء: "فتاة مثلها لا تستحق إلا رجلًا مثل نادر ابني".

قال ساجد بتجهم: "مبارك له عمتي"، ثم أضاف بخبث متعمد وكأنه يمازحها: "وأخبريه أن ينجح هذه المرة بالاحتفاظ بها زوجة له".

ضحكت عمته دون أن تفطن لسخريته من ابنها ثم قالت بفرح: "ستكون هي الخاسرة إذا لم تنجح في البقاء معه، نادر بسيط في متطلباته للغاية".

نهضت وتناولت حقيبتها لتغادر قائلة لوالدتها بمحبة: "أراكِ فيما بعد يا أمي، فقد تأخرت".

خرجت تشيعها ابتسامة لطيفة من والدتها وهي تغمغم دون أن تسمعها ابنتها: "جعل الله حظ ابنك نادر هذه المرة أفضل من سابقتها، فالوضع لا يحتمل الفضائح".

سمعها ساجد فاقترب منها قائلًا بحذر: "فضائح؟! أي فضائح يا جدتي؟".

أطرقت جدته برأسها أرضًا تقول بهمس: "لم يحدث شيء يا ساجد أو هكذا أرجو".

جلس جانبها يربت على يديها باهتمام قائلًا: "يبدو أن هناك ما يضايقك وتخشين التصريح به، هيا حبيبة ساجد تكلمي وكلي آذان صاغية".

ظلت جدته عاقدة حاجبيها مفكرة ثم نظرت تجاهه قائلة بحذر: "لا أدري، سمعت كلامًا من عمتك ثم نفته فيما بعد، لكن عدني أولًا أن تكتم ما سمعته داخلك".

كان ساجد يشعر بالتوتر يسري بجسده لكنه تمالك نفسه قائلًا بهدوء: "لكِ وعدي جدتي، أنتِ تعرفين ساجد حبيبك وبئر أسرارك".

طبعت قبلة حانية على وجهه قائلة: "يباركك ربي يا درة قلبي أنت يا ساجد، ليت عمتك ربت ابنها مثلك بدلًا من شخصيته التملكية الضعيفة تلك".

ثم أردفت بحزن: "أنا أحبه يا ساجد، لكن يحزنني أن يكون ذلك تصرفه مع بنات الناس"، صمتت لتستجمع أنفاسها ثم أكملت: " عمتك أخبرتني أنه كان يعامل زوجته الأولى بعنف ملقياَ الذنب عليها بأنها تستفزه حتى إنه ضربها ذات مرة فسقطت مغشياَ عليها، لكنها استنجدت بأهلها، أتوا وأخذوها بعد أن تعهد لهم والد نادر بتعويض إذا لم يتقدموا بشكوى ضده بالمحكمة، ولذلك حدث الطلاق بسرية كبيرة دون فضائح تُذكر لأن أهل الفتاة أخذوا تعويضًا كبيراَ عما حدث لابنتهم".

كان ساجد ينظر بدهشة وذهول ثم صاح: "جدتي، هل أنتِ متأكدة مما تقولين؟".

هزت الجدة رأسها في أسى: "هذا ما أخبرتني به عمتك أثناء حدوث الطلاق نتيجة صدمتها آنذاك، لكنها الآن تحكي ما حدث بطريقة مغايرة، أنا لم أهرم بعد يا ساجد حتى أنسى ما قيل لي".

قال ساجد وهو يربت على ذراعيها: "لا حبيبتي، أنتِ رائعة وتملكين ذاكرة أفضل منا جميعا، لكن جدتي ألا ترين أن مَن حق الفتاة التي خطبها نادر أن تعرف ما حدث في الماضي؟".

أشاحت الجدة برأسها قائلة باعتراض واهن: "لا أستطيع إخبار أي أحد بما سمعته يا ساجد، لا أستطيع إغضاب عمتك كما إن نادر حفيدي أيضا يا ساجد لا أستطيع الكلام بما يسوءه"، ثم التفتت إليه

محذرة بقلق: "أنت أيضًا يا ساجد لا يمكنك الحديث بما أخبرتك به الآن، ولا تتصنع البطولة لتحذر الفتاة فما كُتب لها كُتب لها وانتهى الأمر".

غص ساجد وهو ينظر لها مفكرًا، لكنها تابعت بجدية: "ساجد.. لقد وعدت".

هز رأسه بصمت دون أن يجرؤ على الاعتراض، فقد وعد جدته ولا يستطيع الإخلال بوعده لها.

صمت مفكرًا بينه وبين نفسه، هو لا يعرف الفتاة، لا تشكل له أمرًا مهما حتى يُغضب جدته من أجلها، لكنه يعترف أن ما كان بداخله اضطرابًا وخوفًا من أجلها.

يريد تحذيرها، يريد إخبارها لتهرب بجلدها من هذه الزيجة المأساوية، استقر رأيه على تحذيرها دون أن يظهر لها نفسه، فربما كانت من الغباء لأن تشي به عند عمته، لذلك ظل يراقبها من بعيد حتى انتهز فرصة وجودها ذات مرة بمفردها في أحد المراكز التجارية ليقترب منها متظاهرًا بمساعدتها وليحذرها سريعًا من إتمام زيجتها تلك.

لم تستمع له المعتوهة لتكمل الزيجة ويحدث ما حدث بعدها.

* * *

شعر بالغضب يتجدد في عروقه وكأن ما حدث لها منذ أعوام لم يمر عليه سوى ساعات، هب من فراشه ينفخ بغضب وضيق.

ضرب بقبضته على خشب سريره وقال بغضب: "اللعنة عليّ، أنا من جلبت الألم لنفسي بتتبعها كالغبي، لا أدري لمَ لم أقف عند ذلك الحد وأنفذ بروحي بعد أن حذرتها؟".

كان قد استقر آنذاك على متابعتها من بعيد علّه يتحين الفرصة لإنقاذها من ابن عمته إذا ما تغابى عليها، هكذا برر لنفسه آنذاك وكأنه كان تحت تأثير تعاطي حسنها وبراءتها فكلف نفسه بحمايتها.

علم بموعد خروجها الأسبوعي مع نادر، كان يسبقهم إلى ذلك المطعم المفضل لابن عمته والذي يصطحب إليه وسن لتناول العشاء كل أسبوع، يجلس على طاولة مقابلة لمقعدها دون أن يراه نادر.

ما يقرب من العشرة أشهر وهو يراقبها، حفظ ملامحها وسكناتها وخلجات وجهها، عرفها عندما تضحك فتلتمع عيناها كفصوص الزمرد، عرف خجلها وكيف تطاطئ برأسها وقد احمر وجهها، عرفها عندما تشرد فتلف إحدى خصلات شعرها على إصبعها.

عرفها عندما تغضب فتتحول نظراتها إلى اللون الداكن وتعقد حاجبيها حتى تظهر ثلاثة خطوط من التجاعيد بينهما بوضوح.

عرفها كما لم يعرف أي أنثى مرت بحياته، أصبح يتنفس بها، ينتظر يوم لقائها بنادر ليلقاها، وكأنه يتعمد إيلام نفسه برؤيتها مع غيره، تشرب كل تفاصيلها حتى أصبح مدمنًا لرؤياها، لم يستطع اقتلاع تلك المغامرة غير المحسوبة العواقب من جدوله حتى انقلبت

ضده، أصبحت لعنة كالمدمن الذي يعلم خطورة إدمانه ولا يستطيع الإقلاع عنه.

يراقبها بشغف يرجو لو يستطيع اقتلاعها من روحه، يرجو لو تكتشف ما فعله نادر مع زوجته الأولى فتلغي مخطط الزواج، لكن الزواج كان يسير على قدم وساق بسرعة تسابق الزمن.

كان حينها يكتم آهاته بصدره ويأمل أن يكون نادر قد أحبها بما يكفي ليعاملها جيدًا.

جاء موعد الزفاف، حينها كانت القشة التي قصمت ظهره، حجز تذكرته وولى فرارًا إلى بلده الآخر بحجة والدته واحتياجها له.

سافر بلا رجعة، ترك عمله وترك بلده هروبًا بقلبه المبعثر ليبدأ في بلده الآخر تفصل بينهما البحار يرجو بداية جديدة تسكن روحه المعذبة ويلملم بها أجزاء قلبه المحطمة.

كان يحدِّث جديه كل حين يطمئن على أخبارهما دون أن يجرؤ على زيارتهما كما كان يفعل من قبل، لكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن.

جدته مريضة تلزم الفراش وتلح في طلب رؤيته، قلبه لم يتحمل الجفاء، عاد يحمل هم رؤية وسن مرة أخرى وهو لم يبرأ بعد من ذلك العشق الغريب الذي تلبث روحه وكأنه مارد خبيث.

كانت عمته تتردد على رؤية جدته كثيرًا بينما هو لم يجرؤ على سؤالها ولو من باب الفضول ليعرف أخبار نادر وزوجته.

ذات مرة سمع عمته تشكو لجدته بأن الفتاة غبية لا تعرف كيف تحتوي ابنها وأنها قد نغصت عليه حياته وكأنها ساحرة سوداء تملكت ابنها فحولته لشخص آخر.

ثم مصمصت شفتيها قائلة بحسرة: "لا أدري كيف تحولت لتلك الشخصية، كانت تتصنع اللطف والمرح أول الزواج حتى تتمكن من قلب ابني، والآن ظهرت على حقيقتها".

كانت الجدة تربت على يد ابنتها بإعياء وهي صامتة تنظر لها بشفقة لا تدري ما يجب أن تقول، بينما كان ساجد يقف متسمراً على باب الغرفة يسمع ما يقال وكأن روحه تطفو فوق المكان فلا يدري أهو يتخيل أم يسمع حقيقة.

أسرع لغرفته دون أن يصدر صوتًا، أغلق بابه دون أن يتحدث مع أحد، يريد أن يذهب ليراها ليطمئن أنها بخير وكيف السبيل لذلك دون أن تحوم حوله الأسئلة؟

يا الله على الوجع الذي كان يعصف بصدره آنذاك، يكاد يقتلع قلبه ويحرق رئتيه فتخرج أنفاسه مشبعة بغاز الاحتراق الأسود كسواد غضبه.

* * *

تنهد ساجد لينتزع نفسه من كل تلك الذكريات السوداء، في ماذا تهمه الآن وهي قد عادت حرة تنتظر منه أن يحملها على جواده ليهرب بها إلى مخابئ قلبه.

لن يسمح لها أن تقصيه، قرر أن يفرض وجوده بحياتها دون إرادة منها، تناول هاتفه نظر لرقمها وقد عقد حاجبيه يفكر ثم طلب رقمها بتصميم، لن يستطيع الصبر لآخر الأسبوع فلتذهب الهدنة إلى الجحيم.

رنين الهاتف لم يطل، سمع صوتها الهادئ المحايد: "مساء الخير".

تنفسه اللاهث يخترق أذنيها دون أن ينطق، غمغمت بقلق: "مهندس ساجد، أأنت بخير؟".

خرج صوته أجشًا صادمًا لأذنها وهو يقول بخفوت: "بلا ألقاب، ساجد فقط".

لم ترد فتابع بعزم: "قوليها يا وسن، قوليها".

قالت بتردد هامس مضطرب: "ماذا أقول؟".

صمت وكأنه يستجمع أنفاسه ليقول بعدها: "لا تجعليني أنتظر يا وسن، لن أستطيع".

جاء دورها لتصمت فهتف: "وسن، هذا ليس وقتًا مناسبًا للصمت، بربك لا تحرقي أعصابي الآن أريد أن أسمع رأيك والآن".

قالت بتلعثم: "لكن أنت.. لديّ إلى آخر الأسبوع.. أنت أعطيتني مهلة".

هدر قائلًا: "لقد أخذت كفايتك يا وسن، أنا لن أتقبل الرفض، إذن ما فائدة الانتظار؟ بكل الأحوال ستوافقين".

قالت وقد بدأ الغضب يتخلل نبرات صوتها الهادئة: "وكيف ستجبرني على القبول؟ هل ستجرني من شعري لأوافق؟".

قال بصوت حاول أن يبثه الهدوء فجاء مشروخًا: "لا لن أجرك من شعرك يا وسن، ولا تسأليني كيف سأجبرك، فلا أنصحك بالتجربة".

علا صوتها لتقول بغضب: "وماذا لو أخبرتك بالرفض، هل ستأتي لتضربني؟".

سألها بصوت هادر: "وهل ستستسلمين إذا ما ضربتك؟ هل ستكتفين بالنحيب والكتمان بقلبك لأنك تخشين الفضيحة، ربما إذا وجدتك خانعة هكذا فسأحب أن أجرب".

بُهتت واستكانت دون حراك أو رد، صوت أنفاسها اللاهثة تخترق أذنه فتحرق قلبه أكثر وأكثر، قال بقلق عاصف: "وسن.. هل أنتِ بخير؟".

قالت بصوت مرتجف: "رجاءً، المرة القادمة بعد أن تقذفني بحجارة كلامك الجارح لا تسأل هذا السؤال الذي لا معنى له سوى استفزازي أو الاستهزاء بي".

قال بأسف: "أعتذر يا وسن، يتملكني غضب أعمى عندما أغوص بالماضي".

قال بصوت مهزوز: "أي ماضٍ؟ لا أذكر أن بيننا أي ماض".

قال وقد عاد لصوته الغضب فهمس كالفحيح: "لا يا وسن، ليس لديكِ ماضٍ معي، بينما أنا أملك كل ماضيك، وصدقيني أنا أتألم بسببه كما تتألمين، لذلك رجاءً يا وسن قدِّري تضارب مشاعري".

قاطعته بهمس مبحوح: "تتألم بسبب ماضي أنا؟ لم؟ هل وقع عليك الظلم مثلي؟ هل جربت التعرض للضرب والركل كلما حاولت الاعتراض على شيء لا ترضاه؟ هل كنت تتهم كل ليلة بأنك حقير ووضيع ووجدت من يتكرم عليك وينتشلك من وضاعتك؟"، ثم علا صوتها وقد بدأ الغضب يعصف به: "أخبرني.. أعلمني كيف كنت تتألم وأنت تنام على فراشك في دارك آمنًا بينما أنا أنتظر كل ليلة بما سيجود به علي الظلام عندما يحل من سباب أو إهانة تصل حد الضرب أغلب الأوقات، وتأتي الآن لتخبرني بأن أقدِّر تضارب مشاعرك لأنك تشعر بالغضب؟ حسنا يا ساجد، سأخبرك بأني أقدر مشاعرك النبيلة تجاه ماضي المشرف ولن أتمنى لك الألم بأكثر من ذلك، سأعفيك من عرض الزواج ذاك وأتمنى لك حياة سعيدة تمحو ماضيك المؤلم".

قالت الكلمات وكأنها تبصقها بصقا في وجهه: "تشرفت بعرضك مهندس ساجد، لكن احتفظ به لنفسك فلم أرده ولا كنت أريده".

أغلقت الهاتف دون أن يملك حتى الوقت ليراجعها في رفضها.

لقد طردته وكأنها لا تهتم، تهتم له أو بمشاعره، ناكرة الجميل.

* * *

كاد ساجد أن يصرخ من القهر، كان يطحن أسنانه من الغيظ وهو يتحدث بصوت هادر: "الغبية، لم تفهم شيئًا من حديثي السابق معها، لم تفهم أن الرفض ليس من ضمن قراراتها".

ينظر بغل إلى هاتفه الذي أغلقته وسن بوجهه منذ قليل ثم أمسكه وهو يلمس بعنف زر الاتصال بها مرة أخرى حتى كاد أن يكسر شاشة هاتفه، لكن الصوت المسجل الذي يخبره أن الهاتف مغلق أو غير متاح صفع أذنه ليصرخ أكثر قائلًا بغل: "وأغلقت هاتفها أيضًا، حسنًا يا وسن، لقد جنيتي على نفسك، سأعرف كيف أجعلك توافقين وحينها لنر كيف سترفضينني"، قالها وهو يرمي الهاتف من يده بحنق وجنون.. جنون رجل فقد أغلى ما يملكه، فقد نبض قلبه.. وللأبد.

* * *

اليوم الثالث من الهدنة المهدورة....

دخلت هديل مندفعة إلى غرفة مكتبها لتقول لوسن بحيرة: "هل عدتِ اليوم للعمل؟ لمَ لم تخبريني وقد كنت معكِ بالأمس؟".

قالت وسن بهدوء: "لقد مللت من جلسة المنزل، لم أقرر سوى اليوم صباحًا بأنني أرغب بالعمل، ثم إن إجازتي لم يتبق بها غير يوم واحد لذلك اعتبريها انتهت".

قالت هديل مازحة: "حسنًا أيتها المتفانية، مرحبًا بعودتك".

هزت وسن رأسها وهي تميل نحوها قائلة باهتمام: "والآن أخبريني، أين وصلت بالعمل في فيلا كامل وهدان؟".

قالت هديل بتأفف: "فيلا كامل السمج وزوجته اللزجة، سبحان من وفقهما بالزواج".

قالت وسن وعلى شفتيها شبه ابتسامة: "لو سمعك السيد عدنان ربما تقضين بقية العام جالسة بلا عمل في منزلكم".

قالت هديل هاتفة: "آه، يا إلهي لقد نسيت أنهم أقرباؤه، لست أدري كيف يتحملهما أي من أقربائهما؟".

ضحكت وسن محذرة: "هديل، قصري لسانك قبل أن تأخذينا لمصيبة بسببه، والآن أخبريني ماذا فعلا بك؟".

قالت هديل بحنق: "أبدًا لم يفعلا سوى تنغيص حياتي، فبعد أن أريتها مجموعة غرف النوم التي عرضتها أنتِ عليَّ لأريها إياها، اختارت منهم غرفة وبعدها بيوم وجدتها تلغي اختيارها وتطلب مني صورًا أخرى من المعرض لأن الذوق لا يناسبها".

اضطررت إلى البقاء طوال اليوم بالمعرض للتفاوض معهما بتغيير الغرفة حتى يختار العميل بديلًا لها،

أما المتعوس زوجها فكان لا يكف عن الدوران حولي وهو يتربص بي أي خطأ ليشكوني للسيد عدنان لأن المدعوة وسن تعجبه أكثر مني في عملها.

ضحكت وسن قائلة: "وذلك المتعوس لم يعلم بأن وسن هي من تختار لكِ طريقة الديكور".

مطت شفتيها قائلة: "لا لم يعلم من قبل، وعندما أعلمته سألني متى ستعودين للعمل مرة أخرى، فأجبته أن إجازتك على وشك الانتهاء كي أرتاح من إلحاحه".

ضحكت وسن بخفوت ثم نظرت أمامها لتتناول ملفًا ورقيًا تناوله لهديل التي عقدت حاجبيها متسائلة فقالت وسن بهدوء لا ينم عما يشتعل بداخلها: "هذه أوراق تعاملات بخصوص شركة الأثاث وبعض الفواتير، نريد توقيع السيد المدير عليها".

قالت هديل بغباء: "وما دوري أنا؟".

قالت وسن بهدوء حذر: "دورك أن تأخذيها لمكتبه لتوقعيها ثم تعودي إليّ بها".

قالت هديل ومازال الغباء ملازمًا لها: "ولم لا تأخذينها أنتِ لمكتبه؟".

عقدت وسن حاجبيها: "لا أريد الاحتكاك به اليوم".

قالت هديل بفهم مفاجئ: "أنت تتهربين منه وتقدمينني كبش فداء لك".

هزت وسن رأسها قائلة بإقرار: "شيء من هذا القبيل".

زفرت هديل قائلة: "حسنًا أيتها الوصولية، سأؤديها خدمة لكِ لكن بالمقابل ستكون لي خدمة عندك".

هزت وسن رأسها قائلة بتفهم: "أي وقت تريدين".

خرجت هديل من الغرفة حاملة ملف الأوراق بينما تتنفس وسن خلفها الصعداء وتتساءل بداخلها: "يا تُرى كيف حاله اليوم؟ هل يشعر بالغضب أم الاستسلام لرفضها إياه؟".

تنهدت تدعو الله في سرها أن يمرر الوضع بخير ولا يكون تأثره بالرفض عميقًا وألا يأخذه بمحمل شخصي، فهي بالرغم من رفضها إياه لا تريد جرحه، وتشعر بالقلق لأجله.

❋ ❋ ❋

الفصل التاسع

كان ساجد يجلس خلف مكتبه شاردًا واجمًا بينما يجلس عبد الرحمن أمامه على المقعد المواجه له يقلب في ملف من الأوراق أمامه غافلًا عن حالة رفيقه العقلية والنفسية.

أخرج من الملف ورقة ورفعها ظافرًا أمام وجه ساجد ضاحكًا بحبور: " وها هي الورقة المهمة لقد حصلنا عليها أخيراً"، ثم مال نحو ساجد غامزًا: "عمتك يا ساجد فظيعة، لم ترض بالتنازل عن نصيبها في منزل جديك إلا بعد أن أخذت ذلك المبلغ المهول وبحجة أن المنزل جزء من ذكرياتها وبه رائحة المرحومين".

انتبه أن ساجد لا يستمع له فعليًا، فطرق على المكتب فجأة هاتفًا: "ساجد.. هل أتحدث لنفسي يا فتى؟".

انتفض ساجد على طرقته الفجائية ليهتف بحنق: "ما بك يا عبد الرحمن؟ لقد أفزعتني".

قال عبد الرحمن بتساؤل: "ما بك؟ أشعر أنك متضايق من شيء وتخفيه".

نفض ساجد رأسه بقوة قائلًا: "أمور تخص العمل تشغل بالي".

قال عبد الرحمن بينما يلملم أوراقه: "إذن أحضر بوقت آخر حين لا تكون مشغولًا، فالحمدلله قد تبقى فقط تسجيل عقد الملكية ليصبح المنزل بكامله ملكًا لك".

قال ساجد وفي صوته مسحة حزينة: "نعم البيت بأكمله بوحدته وفراغه أصبح لي".

قال عبد الرحمن وقد استشعر بأن صديقه يخفي فعليًا أمر ما: "لا تصبح متشائمًا هكذا، في القريب ستتزوج وتمتلئ بالأطفال حينها لا تهرب وتذّكر كلامك هذا".

رفع له ساجد رأسه وقد ارتسمت القوة فجأة على ملامحه البائسة منذ قليل ليقول: "فقط تمنى لي الخير وحينها سأنفذ ما تقول برحابة صدر".

طرق الباب ثم أطلت السكرتيرة هند برأسها لتقول بهدوء: "سيد ساجد، المهندسة هديل ترغب بالدخول لك".

التمعت عينا عبد الرحمن بفكاهة والتزم الصمت بينما أشار ساجد لسكرتيرته قائلًا: "دعيها تدخل".

دلفت هديل إلى المكتب، أشار لها ساجد قائلًا بهدوء: "ماذا تريدين يا آنسة هديل؟".

نظرت هديل بطرف عينيها لعبد الرحمن ثم ابتلعت ريقها لتتقدم بخطوات متعثرة نحو مكتب ساجد مقدمة له الملف قائلة بأدب: "هذه الأوراق تحتاج لتوقيعك سيدي".

أمسك الأوراق من يدها متطلعًا بتساؤل، فقالت لتستدرك قبل أن يسأل: "إنها أوراق خاصة بشركة الأثاث لأجل فيلا كامل وهدان".

سألها بحذر وكأنه يريد التأكد من شيء ما: "من فيلا كامل وهدان؟ أهي تلك التي تعمل عليها المهندسة وسن؟"، ثم نظر إلى الفواتير الموجودة بيده ليرى اسم وسن موقعًا عليها، رفع نظره لهديل التي توترت قائلة: "نعم سيد ساجد، إنها هي".

تألقت عيناه بلمحة خاطفة متسائلًا بلا مبالاة ظاهرية بينما يحترق داخله: "هل عادت المهندسة وسن من إجازتها؟".

لم تجبه فرفع وجهه من الأوراق التي يقرأها سريعًا ثم يخط عليها بإمضائه الأنيق لينظر لها وكأنه يستنطقها.

نظرت له ثم أطرقت سريعًا برأسها لتجيب بحذر: "نعم، لقد عادت اليوم للعمل".

سألها وقد بدأ الغضب يطغو على لامبالاته المتصنعة: "ولِمَ لم تأت بنفسها لتوقيع الأوراق؟ هل تعاني من خطب ما؟".

التقت عيناها بعين عبد الرحمن الذي يتابع الحديث بعدم فهم فابتسم لها مشجعًا وكأنه شعر بمدى ارتباكها من ذلك التحقيق الساري.

ابتلعت ريقها بصوت كاد أن يسمع من ارتفاعه ثم قالت بتوتر: "لا، هي منشغلة فقط في متابعة العمل والتعديل على بعض الديكورات لذلك أتيت أنا بنفسي".

مال نحوها والغضب يتطاير من عينيه بكل مكان قائلًا: "أبلغي المهندسة القديرة وسن أن تُنهي أعمالها بنفسها"، ثم قذف الملف بحركة عنيفة من يده على المكتب.

التقطت هديل الملف واندفعت لتغادر بخطوات عنيفة لكنه استوقفها متابعا بصلف: "أخبريها ألا تأتي إلى مكتبي إلا بعد ساعتين، فأنا لست متفرغًا الآن".

أومأت برأسها بينما تجاهد كي لا تتساقط دموعها المحتبسة داخل مقلتيها، ثم اندفعت مغادرة على عجل دون أن تغلق الباب خلفها.

ظل عبد الرحمن ينظر نحو ساجد عاقدًا حاجبيه بعدم فهم، نظر له ساجد ليتنهد بغضب قائلًا: "لا تبدأ الآن، لست في مزاج لسماع نصائح".

قام عبد الرحمن بإغلاق فمه بحركة غلق السّحاب وهو يرفع كفه مستسلمًا.

رمقه ساجد ثم أطرق برأسه ينظر لسطح مكتبه شاردًا، سأله عبد الرحمن بحذر: "هل أنت بخير؟".

أجاب ساجد بجمود: "نعم، في أفضل حالاتي كما ترى".

سأل عبد الرحمن: "إذن الفتاة كانت ضحية لتقلب مزاجك، لم أعهدك تفرغ غضبك على رأس أحدهم، هل لي أن أعرف سبب هذا الغضب؟ ربما كان غضبك من الأساس بسبب الفتاة الأخرى التي ما إن ذكرت اسمها حتى تقافزت شياطينك".

نظر له ساجد بفتور ثم قال: "لا تشغل عقلك بما حدث، أحيانًا يضطرني منصبي لذلك".

قال عبد الرحمن بدهشة: "يضطرك منصبك لماذا؟! لا تتحجج يا ساجد فالفتاة لم تخطئ أبدًا، لقد أهنتها وأنت تصرخ بوجهها كالمجاذيب".

قال ساجد بإنكار متصلب: "لا تبالغ".

قال عبد الرحمن بإصرار: "بل فعلت يا ساجد، لا تنكر".

زفر ساجد بضيق ثم قال لعبد الرحمن: "هلّا توقفت عند هذا الحد، لا أريد مزيدًا من الحديث عما حدث، أخبرني بما ستفعله كخطوة قادمة بخصوص المنزل".

تململ عبد الرحمن وهو يلملم أوراقه ليضعها في ملفه قائلًا: "لقد أخبرتك من قبل لكنك لم تنتبه كما أظن، لم يتبق سوى تسجيل عقد الملكية ليصبح المنزل ملكًا لك بالفعل"، ثم نهض ليغادر قائلًا لساجد: "سأتركك الآن وآمل ألا يكون لديك مزيد من الضحايا، أنصحك، لا تتعامل مع أحدهم معاملة مباشرة اليوم، يكفيك ضحية واحدة"، وقبل أن يغلق الباب خلفه التفت قائلًا: "أراك مساء، هذا إذا ما زلت على موعدك معي".

أشار له ساجد بيده يستعجله ليخرج: "سوف أحدثك مساءً، اذهب الآن".

خرج عبد الرحمن وأغلق الباب خلفه ليستدير للسكرتيرة قائلًا: "هل رأيتِ المهندسة هديل؟".

أومأت هند برأسها قائلة: "أعتقد أنها ربما ذهبت إلى مكتبها".

سألها بلا مبالاة متصنعة بينما يخطو ليخرجِ من مكتبها قائلًا: "مكتبها هنا على..."، قالها وهو يشير بيده عشوائيًا.

فأكملت هي برد فعل تلقائي دون أن تنتبه لخدعته: "نعم إنه على اليمين آخر الرواق بجواره تقع غرفة الاجتماعات".

هز رأسه وأرسل لها ابتسامة لطيفة قائلًا: "حسنًا، أشكرك".

ثم استدار وخرج تاركًا هند تبتسم ببلاهة خلفه لتقول لنفسها: "لو لم أكن مخطوبة لكنت سقطت في حبه

ذلك اللطيف"، قالتها وهي تتنهد ثم تجلس على مكتبها لتباشر أعمالها.

* * *

دخلت هديل كالإعصار إلى غرفة مكتبها لتجلس سريعا على كرسيها وتدفن وجهها بين راحتي كفيها، نظرت لها وسن بهلع ثم قفزت من مكتبها لتجري نحوها هاتفة: "يا إلهي، ما بك يا هديل؟".

لم تجب هديل بينما علا صوت نحيبها، احتضنتها وسن قائلة بقلق: "هششششش.. أخبريني ما حدث، لم تبكين الآن؟"، ثم لمحت الملف الذي كان ملقى تحت رأس هديل فسحبته بحذر لترى بعض الفواتير قد تم توقيعها بينما الأخرى لم يتم توقيعها.

عقدت حاجبيها تسأل بحذر: "هل تبكين بسبب ساجد؟".

رفعت هديل فجأة رأسها بعنف لتقول: "الآن اسمه ساجد، هل تتلهين بحبه لك يا وسن؟".

عقدت وسن حاجبيها بغيظ لتقول بغلظة: "وما الداعي لذلك الكلام الآن؟".

لوحت هديل بيدها بعصبية حتى كادت أن تطرف بها عين وسن بينما تقول: " حسنًا يا وسن، لن أكون كبش فداء بعد الآن لك، السيد المحترم المدير يريدك بمكتبه بعد ساعتين من الآن لتنالي نصيبك من التقريع، والآن اذهبي لمكتبك فأنا غاضبة منك بسببه".

نهضت وسن تقول لهديل بضيق: "وما ذنبي أنا؟ لم أعرف بأنه سيفرغ غضبه بكِ وإلا لكنت ذهبت إليه بنفسي، أقسم لكِ"، ثم أخفضت صوتها قليلًا متابعة: "كل ما أردته أن أعطي نفسي مساحة من الوقت قبل مواجهته، فأنا أشعر بأني لن أتحمل رؤيته الآن".

قالت هديل بغيظ: "كان بإمكاني الرد عليه وإخباره بأني أعمل معك على هذا المشروع ولكن ذلك الآخر تسبب لي بحالة من التشتت".

استدارت وسن لتسألها باهتمام: "من الآخر؟".

أومأت هديل برأسها وقد عاد إليها شعورها بالخجل من التقريع أمام ذلك الغريب لتقول بعد برهة: "إنه ذلك الصديق الذي اسمه.. عبد الرحمن، لقد كان يجلس معه وهو بكل قلة ذوق لم يتوان عن تقريعي أمامه".

قالت وسن بذهول: "يبدو أنه جُن، هل عنفك أمام غريب عن العمل؟".

نحنحة من خلفها جعلتهما الاثنتان تستديران بعنف جهة الباب حيث يقف ذلك الغريب وعلى وجهة ابتسامة حرجة ليقول بأدب: "هل يمكنني الدخول؟".

عقدت وسن وهديل كلتاهما حاجبيهما بنفس التوقيت وكأنهما مبرمجتان سويًا مما جعل عبد الرحمن ينظر لهما بتسلية قائلًا: " الحقيقة أنا لا أعتبر نفسي غريبًا عنكما فقد سبق والتقينا".

ثم مال نحو هديل لينظر لوجهها الذي جفت دموعه وارتسم عليه الذهول: " هل أنتِ بخير آنسة هديل، آسف إن كنت أتطفل عليكِ بسؤالي".

ابتلعت ريقها لتومئ برأسها في صمت فتابع بحرج: "هل يمكنني التحدث معك قليلًا؟"، قالها وهو ينظر لوسن قائلًا: "مع اعتذاري لكِ يا آنسة.. وسن، أليس كذلك؟".

نظرت له وسن وعلى وجهها ابتسامة مندهشة لتجيبه: "نعم أنا وسن، ولا داعي لاعتذارك سأنسحب للخارج قليلًا"، قالتها ثم مالت ترمق هديل بعينيها من خلف ظهرها لتبتسم بجذل مكملة: " سأذهب للكافيتريا، هل تريدين شيئًا من هناك؟".

نظرت لها هديل نظرة متوسلة ألا تتركها وحدها لكن وسن استدارت لتمر بجوار عبد الرحمن قائلة بخفوت: "يمكنك الحديث معها، لكن ليس كثيرًا فسأعود سريعًا".

خرجت تاركة عبد الرحمن ينظر لهديل بابتسامة مترقبة، بينما اكتفت هي بابتلاع لسانها دون القدرة على النطق.

* * *

دخلت وسن إلى الحمام متظاهرة بتعديل شعرها بينما كانت تحدق بوجوم في صورة وجهها التي تطل عليها عابسة من المرآة.

عيناها الذهبيتان بفعل الإضاءة تنظران لها بتساؤل وكأنما تستحثانها على الكلام.

ظلت تنظر لنفسها متشاغلة بتمشيط شعرها الذي تهدل من ذيل حصانها بيديها بينما يدور بخلدها حوار مبهم لا نهاية له.

- "وماذا بعد؟"، سألت نفسها.

- "ما العمل الآن؟ يبدو أنه لم يتقبل الرفض وسيغدو الوضع أسوأ رغمًا عنك".

- "وما ذنبي، أنا حرة نفسي، أرفض من أرفض وليس لأحد من سلطان عليّ".

- "وهل فعلًا ترفضينه من قرار نفسك؟".

- "ماذا تقصدين؟".

- "أقصد، هل أنتِ مقتنعة بالرفض؟".

اتسعت عيناها تخشى إجابة هذا السؤال، ثم أطرقت برأسها تستند على المغسلة بيديها وتنظر حائرة إلى الأسفل.

- "هل أنا فعلًا مقتنعة بالرفض؟".

- "لا أدري.. أشعر إني لا أقوى على أي جواب آخر غير الرفض"، ثم تنهدت ومازالت تحدث نفسها: "لكنه ساجد، كيف ترفضين شخصًا يحاول بكل الطرق أن يثبت لك حبه واهتمامه؟".

- "لكني قد خدعت من قبل باسم الحب".

- "كنت كالطفلة لا تعرفين الفرق بين الحب والهوس، أنت الآن امرأة راشدة. تستطيعين التمييز جيدًا".

رفعت وجهها للمرآة لتطالعها عيناها الكبيرتان المشوشتان وكأنها تستنجد بها، وضعت راحة كفها على جبهتها لتنزلق بها على وجهها للأسفل تقول باضطراب: "أنا امرأة مذبوحة من قبل، لست أستطيع تمييز أي شيء".

شردت بعيدًا جدًا لتلك الذكرى البعيدة، لم تعد لها سوى ذكريات بطعم الصدأ من تلك الفترة المريرة.

جلساتها مع الطبيب النفسي تسير بخطى بطيئة وكأن الطبيب يعطيها كل الوقت لتقرر أن تفتح ملفاتها المدماة بروحها دون الضغط عليها.

ظلت تنظر بوجوم لعينيها المتلألئة بغشاوة من الدموع، ثم شهقت لتكتم نزولها وتهمس لنفسها: "كفى، كفاك رثاء لنفسك، أنت فتاة قوية وأقوى من كل ما حدث، لقد قال لي ساجد هكذا".

ارتسمت ظل ابتسامة على ثغرها لتغمغم: "ساجد.. نعم هكذا قال لي ساجد".

أخذت ابتسامتها تتسع تلقائيًا وتردد لنفسها أنا فتاة قوية، أنا أقوى من كل الظروف، ثم استدارت لتغادر الحمام، تشعر بأنها قادرة على تغيير قدرها.. ربما للأفضل.

* * *

جلست هديل على كرسيها شاعرة بالحرج، بالعادة لا تخجل دومًا بهذا القدر ولديها القدرة على الدفاع عن نفسها بلباقة، لكن ما حدث منذ قليل في مكتب مديرها وكان عبد الرحمن شاهدًا عليه أشعرها بالاهتزاز، فكرامتها مهدورة أمامه دون وجه حق.

دلف عبد الرحمن إلى الغرفة ليقف أمام مكتبها ثم يعاود سؤاله باهتمام: "آنسة هديل، هل أنتِ بخير؟".

رمقته باضطراب لتهز رأسها وتقول بخفوت: "نعم، شكرًا لسؤالك".

جلس دون دعوة منها على مقعد مواجه لمكتبها قائلًا ببشاشة: "لا أريدك أن تغضبي من ساجد، أقصد مديرك، هو غالبًا لا ينفعل بمثل هذا القدر وذو قلب طيب".

لوت هديل شفتيها ونسيت خجلها لتقول بامتعاض: "يبدو طيب القلب فعليًا".

جلجلت ضحكة عبد الرحمن عاليًا ليقول بعدها: "يبدو أنك أصبت بالعدائية تجاهه، صدقيني أنا أعرفه منذ أن كان طفلًا يلبس السروال القصير، لا تحاكميه على لحظة غضب صدرت منه، فلست أدري ما يُغضبه بهذا القدر".

أومأت هديل لتقول بحنق: "لكن أنا أعرف، لذا أجد أن لا عذر لديه كي يصب غضبه فوق رأسي أنا بدلًا من حل مشكلته".

نظر لها باهتمام قائلًا: "هل يعاني من مشكلة ما؟"، ثم مال نحوها ليتساءل مفكرًا: "هل تعرفين مم يعاني؟".

نظرت له بمكر وقد استعادت جزءاَ من مرح شخصيتها لتقول: " وأخبرك ليأتي إليّ هذه المرة فيخنقني ويدفنني تحت مكتبي ثم يضع عليه نبتة صبار، لا، أشكرك، عليك بالمعرفة لوحدك، فأنا لا أتحدث بما لا يخصني".

نظر لها مفكراَ للحظات ثم تبسم على مهل وهو يرى لمعة الخبث تتلألأ بعينيها ليقول: "أنتِ تدفعينني للنبش خلفه، أليس كذلك؟".

هزت كتفيها تقول في بساطة: "ألست محامياَ؟ أظن بإمكانك معرفة ما يخفيه الآخرون".

ضحك ببشاشة ليقول: "أعمل محامياَ ولست محققًا سريًا".

قالت بلا مبالاة: "وما الفارق؟ كلاكما يستطيع ربط الأحداث وإيجاد الخفايا".

ارتفعت ضحكته قائلًا بدهشة: "فكرتك عن المحامين مدهشة، هل أخبرك أحدهم أننا نمتلك قدرات خارقة بخلاف باقي البشر؟".

اكتفت بأن مطت شفتيها دون رد، ثم مالت لتتظاهر بترتيب الملفات الموضوعة على مكتبها في إشارة منها باكتفائها من هذا الحديث.

لمح عبد الرحمن حركتها فتبسم وهو ينهض قائلًا: "أرى أنكِ قد أصبحتِ أفضل، لذا بإمكاني التواجد ها هنا كل مرة ينفعلَ بها ساجد لأَصحح ما يخربه هو".

رفعت نظراته تنظر له باستهجان، فتابع ببساطة دون أن يأبه لنظراتها: "سعدت بلقائك آنسة هديل، وأعتذر لكِ عن وجودي بموقف لم تحبيه".

نهضت من مقعدها بأدب ترد بهدوء: "أشكرك سيدي، ولا داعي للاعتذار، لم يحدث ما يقتلني بعد".

ابتسم بخفوت ثم مد يده ليخرج محفظته ويقلب بها قليلًا ثم يخرج منها بطاقةً صغيرةً أنيقةً ليقدمها لها قائلًا: "هذه البطاقة الخاصة بي بها أرقام مكتبي وعنوانه، هذا إذا ما تعرض لك ساجد مرة أخرى يمكنني إيقافه عند حده، فقط اتصلي وسأتخذ ما يلزم من إجراءات"، قالها وهو يبتسم ببشاشة.

مدت يدها تتناول البطاقة لتبتسم بتحفظ قائلة: "أرجو ألا نصل إلى هذا الحد فيما بيننا".

لكنه سحب البطاقة منها مرة أخرى ليتناول قلمًا ويقلبها فيكتب على ظهرها رقمًا آخر، ثم يمدها لها مجددًا قائلًا: "هذا رقمي الشخصي إذا ما اتصلت ووجدتِ الهواتف الأخرى لا تجيب".

تطلعت إليه بحذر مغمغمة: "أشكرك"، ثم أخذت البطاقة سريعًا منه لتلقيها بالدرج جوار هاتفها.

استدار ليخرج من الغرفة لكنه قبل أن يخرج نظر إليها مرة أخرى ليرميها بابتسامة مشرقة وهزة من رأسه وكأنه يخبرها بتحية سرية مفادها "فرصة سعيدة لمعرفتك"

هزت رأسها ردًا على إيمائته كحوار للبكم دون كلام وقد ارتسمت على محياها ابتسامة بلهاء، وحينها استدار وخرج وقد

اتسعت ابتسامته بينما رمت هديل نفسها على كرسيها لتفتح درج المكتب تتأمل البطاقة الملقاة بداخله باهتمام متسائلة بتعجب: "وبم سأحتاج لبطاقة محام؟ كفانا الله شر المصائب"، ثم أغلقت الدرج وكأنها بذلك تغلق دون حدوث كارثة، دون أن تدري بما سيحدث بعد.

* * *

رفعت هند رأسها تنظر لوسن التي اقتربت من مكتبها مبتسمة وهي تشير لملف بيدها قائلة: "مساء الخير يا هند، أريد الدخول للسيد المدير".

نظرت لها هند ببشاشة وهي تنهض من مقعدها وتتكلم: "مساؤك ورد يا وسن، سأخبره، انتظري قليلًا".

هزت رأسها وهي ترسم على محياها ابتسامة بينما كان قلبها مثقلًا بالهم والقلق، تشد طرف كم بلوزتها البيضاء ثم تلويه على إصبعها في حركة متوترة، تنظر ساهمة بينما شردت عيناها في المجهول، فبدت رقيقة المحيا بعينين حزينتين شاردتين.

سمعت صوت هند يناديها فرفعت وجهها بإجفال لتجد هند تنظر لها باعتذار وابتسامة قلقة، ثم قالت وهي تشير لها: "السيد ساجد مشغول الآن، يخبرك أن بإمكانك ترك ما تريدينه بمكتبي وسوف أرسله لك بعد انتهائه".

عقدت حاجبيها لبضع لحظات وقد انقبض قلبها بينما انتشرت الانقباضة لتشمل معدتها، ثم تمالكت نفسها وتنهدت.

وضعت الملف الذي كان بيدها على مكتب هند قائلة بلهجة حاولت أن تجعلها ودودة فخرجت مهزوزة قليلًا: "هذه الأوراق تحتاج لإمضاء السيد ساجد عليها، ما إن ينتهي منها يا هند أحضريها لي سريعًا"، ثم استدارت لتخرج سريعًا قبل أن يغير رأيه ويرسل إليها لتدخل إليه مكتبه.

حملت هند الملف لتضعه جانبًا حتى يستدعيها ساجد لتدخل إليه به، كانت تشعر بالحيرة من مزاج رئيسها اليوم، فهو يبدو على غير عادته، أسود المزاج عكر الملامح يفتعل الشجار دون سبب، حتى إنها حاولت أن تتلاشى الاحتكاك به داعيةً الله أن يمر اليوم على خير حتى يعود لشخصيته السابقة، مديرها اللطيف.

* * *

خرج واصف من باب الكلية يحمل ملف أوراق ضخم وقد وضع على عينيه نظارة شمس، يرتدي قميصًا مفتوح الأزرار عند العنق تظهر منه القلادة التي يرتديها.

كان يمشي متمهلًا ينظر نظرات متأملة نحو الفتيات المنتشرات في حرم الجامعة وعلى فمه ابتسامة لزجة لم يستطع محوها، ثم لمحها تقف أمام كلية أخرى، حولها طالبات وطلبة متضاحكين بينما تبتسم ببشاشة وهي تجيب عن كل ما يلقى على سمعها من أسئلة.

توقف ينظر إليها بفضول، ملائكية الملامح، بشوشة الوجه وقد احمر خداها المستديران بفعل الحرارة.

ظلت تتحدث مع التجمع حولها لبرهة، ثم رفعت يدها لتنظر لساعتها لتعبس قليلًا ثم تقول لهم شيئًا ما فانفض الجمع من حولها لتسير باتجاه باب الخروج من حرم الجامعة.

ساقان رجوليتان قاطعت سيرها لترفع نظرها تنظر لصاحبها بحيرة، لكنها أجفلت ما إن لمحت صاحب الساقين.

ابتسامة ممطوطة على ثغره دون أن يبدأ الكلام، فعقدت حاجبيها بتزمت ثم تصنعت الخشونة قائلة: "نعم، ماذا تريد؟".

اتسعت الابتسامة لتصبح أكثر سخرية وهو يقول: "مساء الخير أولًا، هل أنتِ معتادة على قذف الناس بالحجارة إذا ما اعترضوا طريقك؟".

قالت ببرود: "لم أجرب أن يعترض أحدهم طريقي من قبل"، ثم استدارت مبتعدة عن طريقه لتكمل سيرها، لكن الساقين عادت لتقطع طريقها مرة أخرى وصاحبها يقول بسماجة: "لم تردي تحيتي، قلت مساء الخير".

تأففت ثم ردت بضيق: "مساء الخيرات سيدي، هل تسمح بأن أكمل طريقي أم ستحتجزني هنا طيلة المساء؟".

ضحك بسماجة قائلًا: "ربما إذا مازلت على تأففك هكذا، فأنا لا أحب أن أعامل بأنفة، ثم إن كلمة الخيرات تبدو جديدة على مسامعي، لقد أعجبتني".

لم تنظر نحوه وهي تقول بمحاولة تصنع الهدوء: "حسنًا سيد واصف، هل أستطيع المرور الآن؟".

ظل ينظر نحوها، لا ترى عيناه التي أخفاها بنظارته لكنها أحستها مسلطة عليها كماسح ضوئي، فتقلص كتفيها وبدأ وجهها بالاحمرار، ثم وأخيراً تنحى جانباَ قائلًا بهدوء: "هل تُدّرسين هنا بهذه الكلية؟"، قالها وهو يشير إلى الكلية خلفه والتي رأى ضحى تقف أمامها منذ قليل.

قالت ضحى بهدوء: "نعم أدّرس هنا"، ثم مالت نحوه لتسأله بسخافة: "ولا أفترض بأن وجودك هنا لتسألني عن مكان عملي".

نظر لها بابتسامة ثقيلة ليقول بتباطؤ: "يبدو أن حظي السعيد قد تبسم لي لألقاك بكل خطوة أخطوها، أشعر أني محظوظ لأبعد الحدود".

أجفلت بشدة تنظر له بدهشة، ثم ازداد احمرار وجنتيها وعقدت حاجبيها ببطء حتى كادا أن يلتصقا لتقول له بضيق: "ربما يكون سوء حظك، والآن اعذرني فأنا متعجلة"، قالتها لتستدير وتخطو بخطوات قوية لتبتعد عنه، لكنها لمحته يسير بجانبها بخطوات واسعة دون أن يبتعد، زادت من سرعة خطواتها دون أن تنظر تجاهه لكنه زاد من قوة خطوته ليستمر بمحاذاتها.

عندما أوشكت أن تلهث توقفت تنظر نحوه بغضب متفاقم لتهتف: "وماذا بعد؟ ماذا تريد مني الآن؟"، توقف لينظر نحوها بذهول متصنع قائلًا: "أنا.. هل تحدثينني يا آنستي؟".

لوحت بإصبعها نحوه بغضب: "هل تمازحني الآن؟ لا يوجد غيرك يتبعني".

قال لها ببرود لزج: "أنتِ تزكين نفسك قليلًا، لماذا سأتبعك؟".

تلعثمت تنظر له بحيرة وغضب وقد توترت فخرج كلامها متعثرًا: "أنت.. لماذا أراك تسير بجواري؟".

هز كتفيه بعدم فهم قائلًا: "أسير بطريقي، لم أتبعك كما تظنين".

رمقته لحظات بشك ثم استدارت تمشي بخطوات متمهلة تسبقه دون أن تراه، لكنها فجأة التفتت لتجده مازال يسير خلفها، قررت أن تغير وجهة خطواتها تجاه مبنى آخر حتى تبتعد عن طريقه كليًا ولكنها لصدمتها وجدته يسير خلفها مرة أخرى، هنا لم تتمالك غضبها لتقف وتستدير إليه هاتفة بصرامة بينما يملأها التوجس والاضطراب: "والآن.. هل تود إخباري بأنك لم تكن تتبعني؟".

قال ببراءة: "أنا أتبعك؟ هل أنتِ انفصامية؟".

لوحت بيدها بغضب لتقول له: "إذ سأظل واقفة مكاني بينما تأخذ طريقك بعيدًا عني، وإلا أقسم أن أصرخ وأحضر لك الأمن".

ظل ينظر لها بنفس البراءة لحظات ثم سرعان ما تغيرت ملامحه للعبث قائلًا: "بالحقيقة أردت أن أتحدث معك".

كانت تشعر بالغضب لذلك ردت بتزمت: "أنت، لا أريد الحديث معك، ثم إنني أخبرتك أني متعجلة لذلك فرصة سعيدة بمقابلتك وأرجو ألا تتكرر".

ظل مبتسمًا بهدوء وهو ينظر لها، ثم قال وقد اتسعت ابتسامته: "لا أستطيع أن أعدك بذلك، فسيحدث رغمًا عني".

قالت له بانفعال: "وما هو الذي يحدث رغمًا عنك؟".

قال بنفس الابتسامة: "لقاؤك هكذا يحدث رغمًا عني وعنك، صدقيني أشعر وأنه القدر من يخطط".

رفعت حاجبيها بتوجس لتقول بسخرية: "القدر!! هل أصبحت حالمًا الآن؟".

قال بهدوء: "أفهم من ذلك بأنك لا تصدقيني، هل تظنين ولو بقدر ضئيل أنني كنت أعلم مكان عملك وتتبعتك؟".

كانت لا ترى عينه، لذلك ظلت محدقة به محاولة أن تستشف من ملامحه مدى صدق كلامه.

فاجأها بأن خلع نظارته لينظر نحوها بقوة متابعًا: "أخبريني الآن، هل تصدقين بأنني كنت أتتبعك؟".

شعرت بالتخبط من صدق ملامحه وعدم قدرتها على تصديقه بذات الوقت، لذلك أخفضت ناظريها لتقول بهدوء مضطرب: "لا يهم ما أظنه، فلا فارق لدي".

ظل على إصراره وهو يقول بإلحاح: "انظري إليّ وأخبريني، هل تصدقين؟".

نظرت له لتقول باندفاع: "أخبرني أنت، ما هو سبب وجودك هنا اليوم؟ وما سبب وجودك يوم حفل التوقيع بمكتبتي؟ هل تريد أن تخبرني بأنك لم تكن تحاول أن تتبعني؟".

قال بابتسامة جذابة: "تثقين بنفسك بدرجة خطيرة، هل تظنين أنني سقطت صريع هواك فصرت كالمخبول أتتبعك هنا وهناك".

شعرت بالحرج فأخفضت ناظريها لتقول بإصرار طفولي: "لا أؤمن بالصدف".

قال وعلى وجهه ابتسامة غامضة: "إذن أريدك أن تؤمني، فرؤيتك منذ أول مرة خاضعة لقانون الصدف"، ثم رفع نحو نظرها الملف الذي يحمله بيده قائلًا: "هل ترين؟ كنت أستخرج بعض الأوراق الخاصة بتخصصي من الكلية التي درست بها وصدف أن رأيتك مع الطلبة تتحدثين، ومن قبلها قابلت والدك بالمسجد ولم أعلم بأنه والدك، كما إنني لم أكن أعلم مكان متجر كتبك لآتي إليك".

قالت باستفزاز: "بطاقة متجري كانت مع أختك".

مالت شفتيه بسخرية ليقول: "وتفترضين بأني أجريت تحقيقًا عنك حتى أتشبث بكف والدك وأقنعه أن يأخذني لمتجرك، كم أنتِ رومانسية التفكير".

قالت بفظاظة: "لست رومانسية، لا أستطيع وبكل بساطة تصديقك".

ظل ينظر لها وقد بان الجرح بعينيه ثم قال بهدوء: "يمكنك التصديق ويمكنك عدمه، لن أجبرك على خياراتك".

شعرت بالذنب من ردها الفظ الذي جرحه وهو لم يؤذها، لذلك قالت بهدوء يخالف فظاظتها منذ قليل: "أعتذر عن فظاظتي، لم أقصد ذلك".

قال بهدوء دون أن يرد على اعتذارها: "آسف على تضييع وقتك، سأنصرف الآن".

قالها واستدار عائدًا من نفس الطريق الذي أتى منه دون أن يعطها فرصة للاعتراض.

تسمرت ضحى مكانها وقد زاد إحساسها بالذنب حتى غطى كل مشاعرها، ثم استدارت تتبعه لتعتذر مرة أخرى فربما لم يسمع اعتذارها الأول، لكنها وبمنتصف المسافة توقفت لتعقد حاجبيها وتنهر نفسها قائلة: "كفي عن لوم نفسك، فهو من بدأ ذلك الحوار السخيف، وهو من تعرض لك منذ البداية".

هزت كتفيها وقد بدأ إحساسها بالذنب يقل مع تبريرها بأنه يستحق لمتابعته لها بتلك السماجة، لكن مازال بداخلها جزء لم يقتنع ويحاول أن يعلو من جديد ليهتف لها بأنها قد زادت عن حدها بردودها الجارحة، فلم يكن هناك من داع بأن تتهمه بالكذب.

توقفت سيارة حديثة أمامها ليطل عليها واصف من نافذتها قائلًا بحيادية: "هل تريدين أن أقلك لمنزلك؟".

نظرت له بدهشة وقد أخذتها قدماها على حين غفلة تجاهه ثم توقفت مرتبكة لتقول: "لا، أشكرك، سأستقل سيارة أجرة".

قال لها بغيظ: "وما فرق سائق الأجرة عني، كلانا رجال إن لم تلاحظي".

احمر وجهها وهي تقول بتلعثم: "لا.. أنت لست.. أقصد سائق الأجرة رجل..أقصد.. أعتذر"، ثم صمتت وهي تلاحظ حاجبيه المرتفعين بتوجس فاحمر وجهها حتى كاد أن ينبثق منه الدم.

قال بعد فترة صمت مهيبة: "أظن أنك مدينة لي باعتذار كبير، وكبير جدًا، فأنتِ للتو نعتيني بعدم الرجولة".

قالت بسرعة: "لا، لم أقصد ذلك، أنت تعرف أنا أقصد أن سائق الأجرة رجل غريب".

قاطعها قائلًا: "لن أقبل اعتذارك مالم تسمحي لي بتوصيلك والاعتذار طوال الطريق عما بدر منك تجاهي".

جاء دورها لترمقه بتوجس وتقول: "ماذا؟ لا لن أركب معك".

لكنه قال بهدوء: "إذن سأظل ألاحقك حتى تعتذرين لي بالشكل الذي يرضيني وحينها قد أقبل"، ثم تابع كلامه قائلًا بصرامة: "هيا اصعدي فقد أطلت الوقوف معي وسوف يتساءل الناس عن هويتي وقد يظنون بكِ سوءًا".

نظرت حولها بتوتر لترى هل يتابعها أحد، لكنه قال بسرعة وقد لاحظ ارتباكها وتوترها: " هيا سريعًا، فليس لدي اليوم بطوله".

أسرعت دون تفكير لتفتح الباب الخلفي وتجلس لتغلق الباب خلفها، ثم رفعت رأسها تنظر إلى المرآة لتصطدم بنظراته المحدقة وحاجبيه المعقودتين، فقالت بحيرة: "ماذا؟".

قال ببرود: "وتسألين ماذا، هل أخبرك أحدهم بأنني السائق الخاص لحضرتك؟".

قالت بإجفال: "لن أركب بالأمام، إذا أردت إيصالي فسأظل بالخلف وإلا سأنزل وأبحث عن سيارة أجرة".

قال بسخافة: "إذن اعتبري نفسك تركبين إحدى سيارت الأجرة واستريحي سيدتي"، ثم انطلق بغباء وإطارات سيارته تصدر صريرًا مزعجًا على الأرض بينما كان غضبه قد وصل لأوجه حتى كاد أن يلقي ضحى خارج سيارته ليستريح من ردودها المؤذية له.

* * *

جلست شاردة تطل من نافذة السيارة حتى أجفلت على صوته الهادئ حد البرود يقول: "لم أسمع كلمة اعتذار بعد".

نظرت له بحذر متسائلة: "ماذا؟".

قال بنفس النبرة: "اعتذار، لقد أخبرتك بأني لن أقبل اعتذارك حتى تدعيني أوصلك وتعتذرين طوال الطريق.. هل نسيتِ بهذه السرعة؟".

قالت بأدب: "آسفة، أعتذر عن خطأي بحقك، كانت قلة ذوق مني إن لم أراع طريقة كلامي معك".

هز رأسه بإقرار قائلًا: "نعم.. لقد كانت قلة ذوق منك حقيقة".

وجمت تنظر إليه وقد صدمت بوقاحته في تأكيد كلامها، لكنه قابل نظراتها بنظرة أشد برودًا ليقول: "أشعر أن اعتذارك غير كاف لي، لكني سأقبل به على مضض".

قالت بحدة: "لا.. انتظر حتى أميل على قدمك لأقبَلها وأقبَل يدك.. ربما تجده اعتذارًا كافيًا لك".

مط شفتيه بلا مبالاة ليقول بعدها: "راقتني الفكرة، هل أنتظر تنفيذها؟".

بُهتت هذه المرة ثم بدأ احمرار الغيظ يتصاعد على بشرتها حتى حجب الرؤية عن عينيها من الغضب لتهتف: "هيا أنزلني هنا، أريد أن أذهب بمفردي، فقد كانت فكرتك حمقاء بتوصيلي، وكنت أنا أكثر حمقًا لقبولها".

لم يأبه بكلامها وظل يقود بصمت فقالت بنبرة صوت أشد حنقًا: "قلت أنزلني هنا، شاكرة لك توصيلي إلى هنا، لقد كان كرم أخلاق منك".

قال ببساطة: "لا أستطيع، بالرغم من فظاظة تصرفاتك وسوء طبعك".

قالت بغضب حارق وقد بدأت تفقد سيطرتها المعروفة بها لأول مرة: "اسمع، أنا أخطأت واعتذرت، لكن أنت من تسبب برد فعلي ذاك، فلا تحملني مسؤولية تصرفاتك الحمقاء، وقد خالفت كل قناعاتي وما تربيت عليه كي أعتذر لك، والآن تظن أن لديك الحق بأن تتصرف وفقًا لما تفكر به فأنت مخطئ، أخبرتك أن تنزلني الآن فأنزلني هنا ويمكنك أن تكمل طريقك بعد أن ترتاح من تصرفاتي الفظة التي لا تروق لك كما يمكنك أن تشكو سوء تربيتي لوالدي فهو من رباني".

ظل ينظر لها في المرآة وقد عقد حاجبيه غضبًا وبالرغم من ذلك خرج صوته جليديًا: "لا أستطيع التشكيك بتربية والدك فهو يبدو لي رجلًا شديد الرقي والاحترام، أما عن إنزالك هنا فقد سبق وأخبرتك

بأني لا أستطيع لأنك منذ أن وطأت بقدمك سيارتي أصبحت مسئولًا عنك حتى تصلين وجهتك دون أن أتحمل مسؤولية خطفك أو إصابتك بحادث، لكن يمكنك إغلاق فمك حتى نصل، فكلما فتحته لتتحدثي أخرجت من بين شفتيك لآلئ ودرر".

فغرت فاها تنظر له بدهشة وعندما همت بالتحدث وجدته يرمقها بنظرة لم تفهمها وقد استقرت عيناه على شفتيها المكتنزتين ينظر لهما بالمرآة فتوترت ووضعت يدها تلقائيًا على شفتيها تحجبهما عنه، حينها التقت نظراتهما، كانت نظرتها إليه مندهشة متوترة تشعر بعينيه العسليتين تغزو أعماقها فتذبذب روحها وتلقي بها على شطآن الخجل والتيه في دروب لم تسلكها من قبل، أما هو فقد كان مستمتعًا بنظرة عينيها البندقيتين وقد تكورتا واتسعتا بينما يظللهما الحيرة ولمعة شيء آخر لا يدري كنهه لكنها زادت عينيها فتنة وجاذبية.

أجفلت ضحى حين ارتفع نفير سيارة خلفهما، فقد كانا يقفان في الإشارة وقد أنارت باللون الأخضر لكن واصف كان قد انشغل بضحى فلم يلحظها.

تحرك واصف بالسيارة بينما أنزلت عينيها لأسفل تنشغل بفرك يديها ببعضهما البعض دون أن تجرؤ وترفعهما مرة أخرى تجاهه، كانت تخشى نظراته تلك، تشعر وكأنها تعري روحها أو تتغلل داخلها فتصيبها في الصميم.

ظل واصف بين الحين والآخر ينظر لها بالمرآة وقد لاحظ تعمدها عدم النظر تجاهه، لكنه تجاهل تعمدها وظل يتابعها بفضول،

كانت تحرك فضوله بشدة، فها هي لم تكد تقابله غير مرتين ومع ذلك لم تتوان عن إخراج أسلحتها وإشهارها بوجهه، أشعرته وأنها تراه دون المستوى، كأنه وبال حط على رأسها فلم تتوان عن تقريعه وإشعاره بكل الصفات السيئة والتي كان يحاول أن يتناساها في غمرة قراره بالتغيير، أشعرته كم هو حقير ومترصد وكاذب، أشعرته بأنها لا تثق به بتاتًا وكان هذا أكثر ما آلمه، فقد كان يخذل من حوله بسرعة وجدارة، لكنه لم يخذلها بعد وبالرغم من ذلك أشعرته بذلك، وكأن من عادته الخذلان لكل من حوله.

رفعت عينيها سريعًا لكنها التقت نظراته المحدقة بها مرة أخرى، ظل ينظر لها فاحمر وجهها وقد أصابتها تيارات كهربائية متذبذبة جعلتها ترتجف بمكانها دون أن يلحظ ارتجافها، تمالكت نفسها وقالت بصوت خرج متوترًا مهتزًا بالرغم منها: "يمكنك إيصالي إلى متجر الكتب".

ظل ينظر لها قليلًا، ثم سألها عرضيًا بلهجة محايدة: "ألن تذهبي لمنزلك؟".

قالت بصوت خافت: "لا، لقد تأخرت، لديّ ما أفعله بالمتجر أولًا".

كانت لا تريد أن تذهب للمنزل فتقع تحت أنظار والدها المتفحصة وحينها لن تستطيع إخفاء الأمر عنه، كانت تريد ترتيب أفكارها أولًا حتى لو أخبرته فهي تريد إخباره دون أن تكون مضطربة كما هي الآن.

هز رأسه بهدوء قائلًا: "حسنًا، سوف أوصلك لمتجر كتبك".

تابع بعد قليل: "لماذ متجر كتب؟".

نظرت له بعدم فهم قائلة: "لماذا ماذا؟".

قال وهو يبتسم قليلًا فتألقت لمعة ذهبيه بعينيه العسليتين: "لماذا اخترتِ متجر كتب؟ هل تريدين دخلًا مستقلًا؟ أعتقد أن راتب العملَ كتدريس بالجامعة يفي بالغرض".

قالت بحذر وتأن: "لا ليس المقصد النقود، فأنا يكفيني راتبي ويغطي احتياجاتي، أما بالنسبة لمتجر الكتب فقد كان حلم الطفولة سعيت لتحقيقه بشدة ورغم كل الصعاب".

تبسم قائلًا: "إذن أنتِ فتاة الصعاب".

قالت بهدوء: "ما إن أضع برأسي هدفًا حتى أسعى لتنفيذه وبقوة، لذا يمكنك أيضًا تسميتي بفتاة الصعاب بالإضافة لفتاة التوصيل".

اتسعت ابتسامته قائلًا: "أتتذكرين؟".

قالت بإقرار: "لا أنسى أبدًا، ذاكرتي قوية فيما يتعلق بالأشخاص أو ما قيل لي، كما إنه ليس بالكثير أن يتم نعتي كل يوم باسم جديد".

قال لها بمرح: "إذن أنتِ من ذوي القلوب السوداء".

نظرت له بتجهم لتقول: "ليس قلبي أسود، فأنا أتذكر أيضًا الأشياء الجيدة التي تحدث معي أو الأشخاص الطيبين الذين أقابلهم".

ظل ينظر لها متفكهًا ثم قال: "وأنا؟ تحت أي بند أضفتني؟".

أجفلت قليلًا، ثم أدرات عينيها سريعًا كي لا يلحظ تهربها لتقول: "لم أصنفك بعد، فلم تتسن لي الفرصة لوضعك تحت أي مسمى".

لوح بيده قائلًا: "يمكنك إضافتي تحت خانة الصديق حتى إشعار آخر".

عقدت حاجبيها وهي ترفع رأسها ببطء لتنظر له بهدوء قائلة: "لا أستطيع إضافتك تحت مسمى صديق"، ثم مالت قليلًا للأمام لتقول ببرود: "لم أفعلها من قبل ولن أفعلها الآن".

جاء دوره ليعقد حاجبيه متسائلًا بتعجب: "لم؟".

أشاحت بوجهها لتقول: "ليس من مبادئي، الرجال لديّ تصنيفهم أقل قليلًا من ذلك، لدي فقط أب، أخ، أقرباء، وزملاء عمل، بعد ذلك لا يوجد لدي مسميات".

نظر لها مندهشًا ثم قال: "لا يوجد صديق أو حبيب؟".

قالت ببرود: "لا، لا مسميات أخرى، وبالمناسبة ذلك المسمى الذي ذكرته لا يوجد بقاموسي".

كان وجهها قد احمر مع كلامها وكأنها تخشى أن تنطق الكلمة، كان مبهوتًا من كلامها فسألها بحذر: "وكيف ستتزوجين إذا لم تحبي من ستتزوجيه؟".

قالت بدفاع: "ولماذا أحب قبل أن أتزوج؟ أنا لا أريد أن أهب قلبي إلا لمن سيصبح زوجًا لي، حينها يستحق مني كل مشاعري".

ثم ازداد احمرار بشرتها حتى كادت أن تصبح كثمرة فراولة لتقول بخفوت: "هل يمكننا أن نغلق الكلام بهذا الموضوع؟".

قال بتعجب: " إذ أنت عذراء المشاعر، هل تشعرين بالخجل من هذا الحوار؟ كم عمرك يا ضحى؟".

قالت بخجل متزمت: "لا أفضل الكلام بهذه الواضيع وخاصة مع الرجال".

ثم نظرت له باستهجان وكأنها استفاقت على سؤاله قليل الذوق قائلة: "هل تسألني عن عمري؟ وما الفارق الذي سيفيده معرفة عمري لحوارنا ذاك؟".

قال بممازحة: "هل تخجلين من ذكر عمرك؟ لا أشعر إنك من هذا النوع، تبدين لي فتاة واثقة من نفسها ومستقلة كالفتيات بالخارج".

قالت بدفاع: "لا أخجل من ذكر عمري، فأنا قد تخطيت الثلاثين بكل فخر، كما إنني بالتأكيد لا أشبه فتيات الخارج".

ارتسمت ابتسامة متألقة على شفتيه وهو يؤمن على كلامها: "في ذلك معك حق، تبدين فتاة خجولة لأبعد الحدود بما لا يناسب عمرك".

شعرت بالحرج فقالت لتداري حرجها: "ألم نصل بعد؟ لقد أخذنا وقتًا طويلًا لنصل".

كانت ابتسامة تتلاعب على شفتيه وهو يرى حرجها ومحاولتها المكشوفة لمداراته، لكنه اكتفى بالتظاهر بعدم كشفها ليرد ببساطة: "نحن بوقت الذروة، وها قد أوشكنا على الوصول، يمكنك الاسترخاء".

هزت رأسها دون أن تنظر إليه مدركة بأن عينيه متركزة عليها تكاد أن تخترقها، تبتهل أن تنتهي رحلتها على خير قبل أن تفقد أعصابها من التوتر والانتظار.

***

الفصل العاشر

تجلس على مكتبها القديم قدم سنوات دراستها المنتهية حديثًا تتصفح إحدى صفحات المواقع الاجتماعية بملل، كانت تجلس وحيدة في البيت بعد أن ذهبت والدتها لخالتها المريضة بينما اعتذرت وسن عن الخروج معها أو استضافتها لأنها كانت بالخارج مع أخيها.

كانت تحدث نفسها قائلة بملل: "أوف، أشعر أن واصف ذاك ما آتي من الخارج إلا لينغص عليّ حياتي مع وسن، فقد كنت أذهب إليها دون استئذان، والآن ماذا عليّ أن أفعل بينما أجلس وحيدة كالفزاعة!".

نهضت لتحضر هاتفها من على طاولة الزينة فسقطت حقيبتها لتتبعثر مكوناتها على الأرض، جثت على ركبتيها لتلملم أغراضها وتزفر بحنق عندما لمحت البطاقة التي أعطاها لها عبد الرحمن، أمسكتها بيدها تقلبها بشرود، ثم نهضت من مكانها لتهرع إلى حاسوبها المفتوح على المكتب وتكتب في خانة البحث اسمه بالعربي، جاءتها اقتراحات لم تجد منها ما يناسب بحثها فأعادت البحث بكتابة اسمه باللغة الإنجليزية كما هو مكتوب على بطاقته التعريفية، وجدت عدة اقتراحات ظلت تقلب بينهم حتى وجدت ضالتها، علت وجهها ابتسامة انتصار وهي تصيح فرحة وتصفق بيديها كالأطفال، ثم دخلت إلى صفحته الشخصية تقلب بها

بفضول، لم تجد سوى بعض الصور له مع ساجد، وهناك صور تجمعه مع أشخاص في مكان يبدو وكأنه منتجع سياحي، كانت تقلب بفضول حين أتاها إشعار بوصول رسالة على الخاص، مدت يد ها تلقائياَ تفتح الرسالة لتتسمر مكانها محدقة وكأنها رأت شبحًا.

كانت الرسالة منه.. من عبد الرحمن.

- (السلام عليكم.. هل أعرفك؟).

لم تجبه، شعرت بالغباء.. كيف يصدف أن يراسلها بينما تتصفح صفحته، هل هي توارد خواطر أم.. لم يعطها الفرصة لتطيل التفكير إذ أرسل لها.. (ألستِ أنتِ هديل من شركة... للهندسة والديكور؟).

أفاقت من ذهولها، انتفضت حتى كادت تسقط أرضًا بكرسيها الصغير، وعندما اعتدلت مرة أخرى فكرت قليلًا أترد عليه أم تتجاهله، وكعادتها المتسرعة شعرت بأنها تريد أن ترد عليه لتعرف كيف توصل لها.

أجابت باختصار: "نعم".

سألها: "وماذا تفعلين على صفحتي الشخصية؟".

انتفضت مكانها بشدة وتعرقت بتوتر ثم كتبت بعد فترة: "لم أدخل صفحتك الشخصية، من أنت بالمناسبة؟".

وصلها وجه يبتسم حتى دمعت عيناه ثم أتبعها برسالة: "وتتصنعين الجهل.. هل أفهم من هذا أن هناك من قرصن حسابك الشخصي ليضع علامة إعجاب على إحدى صوري المتواضعة؟".

تملكها الذهول وعادت لصفحته مرة أخرى ولشدة إحراجها وجدت أنها بالفعل قد وضعت علامة إعجاب على إحدى صور المنتجع التي كانت تراها منذ قليل دون أن تدري.

لغت علامة الإعجاب سريعًا ثم جلست واضعة يدها على وجهها تحاول أن تهدئ قليلًا من سخونته واشتعاله.

لم ترحمها رسائله إذ أتتها واحدة أخرى منه: "إذن كلامي صحيح، فقد اختفت علامة إعجابك".

لم تجبه، كانت تحتاج لأن تتمالك نفسها قبلًا.

ثم بعد قليل كتبت ردًا باردًا: "لا أعرف عما تتحدث، هل لك أن تذكرني بنفسك؟".

كانت تدرك بأن النفي خير وسيلة لتلاشي إحراجها علنًا حتى ولو بتكذيبه، لكنه لم يعطها الفرصة إذ أرسل لها صورة ملتقطة تحمل علامة إعجابها على صورته فبهتت.

وصلتها رسالة تسألها: "هل مازلتِ مصرة على إنكار معرفتي؟".

أرسلت له وقد سقطت في الشرك: "حسنًا لا داعي للإنكار، أنا بالفعل كنت أتصفح حسابك الشخصي من باب الفضول، لكن لم أقصد أن أضع تلك العلامة فقد جاءت بالخطأ".

رد عليها: "ذلك عقابك على التجسس على الغير".

كتبت: "لا أتجسس، فقط بداعي الفضول".

صمت طويل ثم أتبعها برسالة: "لي الشرف أن أثرت فضولك".

احمرت من رده وشكرت الله أنه لم يكن يراها لذلك كتبت: "أعتذر عن تطفلي، سأنسحب".

لم تنتظر رده، أغلقت حاسوبها فجأة وقامت منتفضة من مكانها تشعر بالحنق والغضب ويتآكلها الإحراج بشدة، لأول مرة تخونها يداها وتسبب لها الإحراج مع شخص يعرفها، فقد كانت أحيانًا تخطئ بغير قصد ثم تتدارك خطأها دون أن ينتبه لها أحد، لكن وعندما تشاء الصدف يصبح خطأها موضع إحراج وخزي لها.

كانت تدور في الغرفة تلقي الأشياء بإهمال دون أن تهتم فعليًا بترتيب غرفتها وكأنها تحث عقلها على التخلي عن إشعارها بالخزي والخجل.

وعندما يأست فعليًا من التلهي زفرت بحنق لترتمي على فراشها بعنف آلم جسدها النحيل، فأمسكت ظهرها وهي تقول بغضب: "والآن ماذا؟ هل ستسببين لنفسك إصابة لمجرد الخزي من موقف سخيف؟ لقد حدث ما حدث وانتهينا وليشعر هو بما يريد فلست أهتم".

قالتها لتنقلب على بطنها وتدفن رأسها بوسادتها علّها تقنع نفسها بما تقول.

* * *

اليوم الرابع من المهلة اليائسة....

عادت وسن من الخارج بعد يوم مرهق في العمل، فقد ذهبت لفيلا وهدان لتشرف على وضع أثاث حجرة النوم التي طلبتها

السيدة ليلى، لكن لتأخر الوقت فقد فضل عمال التركيب أن يكملوا عملهم بالغد وهذا ما تنهدت وسن لسماعه بترحاب كبير، فقد كانت تشعر بالإرهاق الذهني والعاطفي، كانت في أمس الحاجة لتناول الطعام ثم ترتمي على فراشها علها تعوض إرهاق جسدها الذي بات ملازمًا لها بعد أن زادت اضطرابات نومها غير المسببة.

دلفت لتجد واصف يجلس على كرسي المائدة يدخن سجائره بشراهة وأمامه مطفأة مليئة بأعقاب السجائر بينما يتصاعد دخان السجائر ليكون سحبًا هلامية فوق رأسه وقد عبق الجو برائحتها حتى أصبح خانقًا.

هتفت بقلق: "واصف ما هذا؟".

رد بسخرية سوداء: "ماذا ترين؟".

قالت بحيرة وقد خنقها صدرها فباتت تسعل قليلًا لتقول من بين سعالها: "ماذا تفعل؟ ولم تغلق النافذة وتدخن بهذه الكثافة؟"، ثم تحركت وقد زاد سعالها لتفتح النوافذ بينما تتحدث بصوت عال ليسمعها: "ثم إنك لم تكن تدخن، متى بدأت ذلك؟".

لم يجب، كان ينظر لها بفظاظة وعدم اكتراث، وعندما عادت إليه مرة أخرى بعد أن فتحت نوافذ الشقة كلها، سحبت المطفأة لتنظر لها بدهشة قائلة: "كل ذلك أعقاب لسجائرك، منذ متى وأنت تجلس هذه الجلسة؟".

قال بفظاظة: "هل هو تحقيق؟".

نظرت له بعتاب ثم قالت بهدوء: "لا يا واصف ليس تحقيقًا، إنه ما يسمى بالاهتمام بين الأخوة، فأنا أهتم بك وبكل ما تفعله ويؤثر على صحتك".

ثم سحبت كرسيًا مجاورًا له وجلست عليه لتنظر إليه مباشرة وتقول: "والآن أخبرني، لم أرك منذ أن عدت من الخارج تدخن، هل كنت تفعل طوال تلك الأيام أم ذلك أمر جديد؟".

لم يجبها ثم نفخ دخان سيجارته فجاء في وجهها مباشرة مما جعلها تسعل بشدة، عقد حاجبيه ثم مال ليطفئ سيجارته بعنف في المطفأة، نظر لها بشر قائلًا: "وسن، هل تستطيعين الابتعاد عني قليلًا؟ أنا لست بخير ولا أستطيع تحمل تحقيقًا جاريًا الآن".

أجابته بقلق حقيقي: "هل يمكنك طمأنتي ولو قليلًا عليك؟ أشعر بالقلق نحوك، أحيانًا أراك رائق المزاج وأحيانًا أراك متعكره، وبين هذا وذاك لا أعلم سبب تحول مزاجك بتلك السرعة".

صمت وهو ينظر إليها وكأنه يدرس كلامها بعقله بينما تابعت وكأنها لا تنتظر رده: "بالأمس كان مزاجك رائقًا لسبب غير معلوم حتى إنك دعوتني للعشاء بالخارج، فهل تبخل عليّ بأن تطمئني عليك لأعلم ما سبب ضيقك الشديد الآن؟".

نهض فجأة من مكانه ليقول بحدة: "عندما أعلم سببًا سأخبرك به، الآن لا يوجد لدي رد"، ثم تابع بصوت محبط كئيب: "لا تنتظريني على الغداء، فقد تناولته قبلك، هناك بعض الطعام بالمطبخ لك".

قفزت من مكانها لتلحق به هاتفة: "هل أعددت طعام الغداء لي؟".

توقف ينظر لذراعه في يديها تجذبه ثم رفع نظره لوجهها المرهق ليقول بتعجب: "هل هذا غريب؟ لقد عشت بالخارج بضع سنوات وحدي، ثم لا تأملين كثيراً بأنه طعام فخم، فالغداء لا يتعدى كونه قطع دجاج وبعضًا من المعكرونة".

مالت عليه لتحتضنه هاتفة: "إنه نعمة من الله، يكفي أنني سآكل دون أن أتعب بالتحضير، لكن حذار أن تعودني على ذلك، فسأطالبك به وبشدة".

مد يده يربت على كتفيها بهدوء، ثم قال بعد أن طال احتضانها له: "هل ستنامين على كتفي أيضًا أم ماذا؟".

انتزعت نفسها من أحضانه لتجذبه كي يميل إليها فتقبله على خده قائلة بحبور: "قد أطمع بذلك مرة أخرى، أما الآن فسألتهم الطعام قبل أن أسقط من الجوع"، ثم أسرعت للمطبخ وقبل أن تختفي من أمامه عادت قائلة له: "واصف.. أي كان ما فعلته بالأمس وحسن من مزاجك أنصحك أن تجربه مرة أخرى، فأنا أحب رؤيتك سعيدًا دائمًا".

تسمر مكانه يفكر بكلامها وهو يسأل نفسه: "ما الذي جعله بالأمس رائق المزاج هكذا؟ هل لأنه أنهى الأوراق التي سيفتتح بها مكتب البرمجة الخاص به أم...؟"، ثم عقد حاجبيه وقد قفزت إلى مخيلته عينان بنيتان بلون البندق تظللهما أهداب كثيفة منثنية للأعلى فكأنها مظلة رائعة تحميهما من الشمس والعواصف.

* * *

كانت هديل قد أنهت حكاية ما حدث معها لوسن إذ لم تجرؤ على الحكي بالأمس لشدة خجلها، سقطت وسن على المكتب من كثرة الضحك.

عقدت هديل حاجبيها لتقول لوسن بغضب مصطنع: "اضحكي يا وسن على ما حدث لي، ليتك رأيتيني حينها، كنت أشعر وأني سأموت من الإحراج".

استقامت وسن لتمسح دموع عينيها بينما مازالت تضحك لتقول لهديل من بين ضحكاتها: "دومًا توقعت أن يفعل بك فضولك أكثر من هذا، صدقيني تستحقين أكثر من ذلك بالفعل، لكَن لم أر طوال عمري متلصصة وبنفس غبائك، تُعجبين بصورته الشخصية بينما تتسللين بسرية وبعد ذلك تنكرين، يا لوقاحتك".

لوحت هديل بيديها قائلة بانزعاج: "حظي سيئ مع ذلك المدعو عبد الرحمن، لا أدري ما يخبئه لي القدر معه كي يزيد من إحراجي".

انتهت نوبات ضحك وسن لتقول بعد أن هدأت: "أنتِ منحوسة يا هديل، مرة يراك تتغنين بالحب كالمراهقين، ومرة تتلصصين كالأطفال الذين يتم إمساكهم بفعلتهم قبل أن يفروا، ربما كان المدعو عبد الرحمن يحمل لك ضغائن من نوع ما".

هزت هديل رأسها لتقول: "أتمنى ألا أقع بموقف محرج معه مرة أخرى، حينها سأموووت".

ابتسمت وسن لتقول لها ممازحة: "نحن لا نريدك أن تموتين، لذلك سوف أقتله قبل أن تقعي معه بموقف محرج مرة أخرى، فحياتك تهمني".

مطت هديل شفتيها بامتعاض تغمغم بصوت غير واضح المعالم، نظرت لها وسن بإشفاق ثم نظرت لهاتفها تطالع الساعة به، كانت عيادة الطبيب قد هاتفتها بالأمس تخبرها بتقديم موعد كشفها إلى ظهر الغد أو أن تختار موعدًا آخر بعد عودة الطبيب من سفرة فجائية أتته، كانت لا تعلم إذا ما كان عليها أن تستأذن لتلحق موعدها مع الطبيب أم تؤجل الموعد لحين عودة الطبيب من سفرته أم تلغي الفكرة برمتها وتكتفي بتلك الجلسات السابقة.

وكأن هاتفها كان يعاونها على أخذ القرار، ظهرت لها علامة وصول رسالة مقترنة بالرنين المميز لها، أسرعت لتفتح الرسالة لتصيبها الصدمة من فحواها ومرسلها.

كانت الرسالة من ساجد يذكرها بموعد كشفها اليوم يخبرها بأنه أخذ لها إذنًا بالخروج المبكر من إدارة الموارد البشرية وعليها المغادرة الآن لتلحق بموعد كشفها.

ظلت محدقة بالرسالة وكأنها ترى سحرًا لا تستطيع فك طلاسمه، أو تقرأ لغزًا صعب الحل، وعندما سمعت صوت هديل تخبرها بأنها ذاهبة للحمام انتفضت لتنظر لها بغباء ثم سرعان ما استعادت سيطرتها على ملامحها المتهدلة لتقول لها بهدوء: "سوف أخرج لبقية اليوم حتى أنهي العمل المتأخر".

سألتها هديل: "ألا تريديني معك هذه المرة؟".

أسرعت ترد لتقطع على هديل عرضها: "لا، أريدك أن تراجعي الفواتير وكشوفات العمل حتى يتم تسليمها للسيد المدير، فببداية الأسبوع القادم سوف يتم إنهاء العمل بفيلا وهدان".

هزت هديل رأسها لتقول: "كما تريدين".

أعطتها وسن قبلة بالهواء قبل أن تخبرها أن تدع الأوراق المنتهية على مكتبها قبل أن ترحل، ثم تناولت معطفها وحقيبتها لتسرع بالخروج من المكتب حتى يتسنى لها اللحاق بموعد كشفها، فلم يتبق سوى وقت قليل على الموعد، ولقاء غير مخطط.

* * *

نزلت وسن من سيارة الأجرة وعبرت الطريق للجهة الأخرى حتى تدخل البناية التي تقع بها عيادة الطبيب، حين اقتربت من باب البناية الزجاجي الضخم وجدت لدهشتها ساجد يقف مع الطبيبِ يتحدثان بصوت منخفض بينما الطبيب يبدو بشوشًا مبتسمًا، اقتربت بوجل منهما عندها رآها الطبيب فقال بترحاب: "وها قد أتت الآنسة وسن، جيد، فلم يتبق الكثير من المرضى بالداخل، كنت سأنهي الكشف عليهم وأذهب".

قالت وسن بابتسامة مضطربة بينما تبتلع ريقها بصعوبة: "كنت لن أستطيع الحضور اليوم لولا أن مديري سمح لي بالحصول على إذن مبكر للخروج من العمل"، قالتها وهي ترمق ساجد بنصف عين فقد كانت لا تعلم إذا ما كان عليها إظهار معرفتها به أم الاكتفاء بعدم المعرفة.

لكن ساجد قال بكل كياسة: "مرحبًا آنسة وسن، يجب عليكِ شكر مديرك جديًا، فيبدو بأنه شخص لطيف يهتم لأمرك".

نظرت له وسن بوجل لتجده قد مد يده لها مصافحًا، نظرت بقلق ليده وكأنها تذكرت موقفًا مشابهًا منذ عدة أسابيع لكن الفرق أنها كانت من تمد يدها بينما اكتفى الشخص الواقف أمامها بإحراجها علنياَ أمام الجميع آنذاك.

قاطع تفكيرها صوت الطبيب الذي قال بمرح: "هيا آنسة وسن دعينا ندخل العيادة حتى أستطيع اللحاق بموعد طائرتي مساءَ".

مدت يدها تلقائياَ تصافحه وكأنها خشيت أن تحرك عواصف عينيه الرمادية الساكنة فتنالها الأعاصير لتغرقها بتياراتها.

التقط كفها بين راحة يده ليضغطها برفق، ثم تركها وهو يقول للطبيب بهدوء: "أعتذر منك الآن سيدي الطبيب ربما أكلمك لاحقًا".

هز الطبيب رأسه قائلًا بمودة: "تحت أمرك مهندس ساجد أي وقت تريدني به، أوصل تحياتي لأخيك أحمد وذكره بألا يخلف موعده معي عندما أعود، أو ربما أحدثه أنا بنفسي فقد مضى وقت منذ آخر اتصال بيننا" ، ثم وكأنه تذكر شيئًا ما، التفت ليرمق وسن بنظرة متأملة بها كثير من التفهم ليعود لساجد قائلًا بعفوية وكأنه أدرك بأن هناك صلة ما بينهما: "عليّ الدخول لمرضاي مهندس ساجد، أعتذر منك" ، قالها واستدار سريعًا ليدخل، قامت وسن بالالتفاف خلفه لتدخل أيضًا لكن ساجد استوقفها ليميل بجوار أذنها حتى لفحت أنفاسه الساخنة بشرتها الرقيقة قائلًا بهمس: "سأنتظرك، لدينا حديث غير مكتمل".

فتحت فمها لتعترض لكنه أسرع بوضع يده أمام شفتيها دون أن يمسها فعليًا ليقول بنفس الصوت الهامس: "لا أعذار، سنتحدث كأي اثنان راشدان يجريان حوارًا بسيطًا ناضجًا، فبيننا حديث طويل، طويييل جدًا يا وسن"، ثم أبعد يده ليقول لها: "والآن الحقي باستشارتك مع الطبيب، وحين تنتهين ستجدينني هنا بنفس المكان أنتظرك".

قالت بهمس مبحوح: "ربما أتأخر".

هز كتفيه بلا مبالاة ليقول بهدوء: "لن يضيرني انتظار بضع ساعات، فقد انتظرت لأطول من ذلك".

نظرت له مطولًا ثم استدارت لتدخل البناية بصمت وخطوات متعثرة، تحاول ألا تنظر خلفها حتى لا ترى عواصف عينيه الداكنة، والتي كانت حتى الآن كافية لأن تزلزل سلامها النفسي الواهن.

* * *

بعد مرور فترة من الوقت خرجت وسن من عيادة الطبيب، كانت تبدو متوترة قليلًا لكن ليست خائفة كما حدث من قبل.

خرجت من باب البناية لتلتفت تلقائيًا نحو الجهة التي كان ساجد يقف بها قبل أن تدخل، لكنها لم تجده غمغمت لنفسها بإحباط: "كنت أعلم أنه لن ينتظر كل هذا الوقت، لقد مضى ما يقرب الساعتين"، ثم عدلت وضع حقيبتها على كتفها لتكمل طريقها كي تستوقف سيارة أجرة، فوجئت بسيارة ساجد تتحرك

لتقف أمامها بينما يميل ليفتح الباب لها من الداخل قائلًا بهدوء: "اركبي".

نظرت له وقد شعرت بالانزعاج من كونها استشعرت الفرح لعدم إخلاله لوعده لها لتقول بصوت حاولت تصنع الهدوء به حتى لا يبدو فرحًا: "لكن أنا ظننتك رحلت".

نظر لها بهدوء ثم هز رأسه قائلًا: "هيا اصعدي، وقوفي هنا يعطل المرور".

نظرت خلف سيارته لتجد أنه بالفعل قد أوقف المرور لذلك صعدت دون نقاش لتغلق الباب خلفها، قال لها بأدب: "ضعي حزام الأمان".

نظرت له بدهشة ثم مالت لتحضر حزام الأمان وتلفه حولها، عندما انتهت سمعت صوته يسألها بهدوء ساخر: "إذن ظننتِ بأني لم أحترم وعدي لكِ وفررت".

قالت لتدافع عن نفسها: "لا ليس كذلك، عندما خرجت لم أرك فظننتك رحلت".

تبسم ليقول لها بنفس النبرة: "لقد كنت أحضر السيارة حتى لا تنتظرين بالشارع كثيراً، فلا أحب وقوفك بالشارع".

قالت بحيرة: "ولكن كيف عرفت بموعد خروجي؟".

هز كتفيه ليجيب بغموض: "أعرف كل شيء عنكِ".

قالت بتوتر عصبي: "ها قد عدنا لتلك النغمة مجددًا".

سأل بهدوء: "أي نغمة؟".

قالت بعصبية تقلد صوته: "أعلم عنكِ كل شيء، أعرفك جيدًا، ماضيك يؤلمني"، ثم عدلت صوتها لتقولَ باستفزاز ضيع لحظات فرحها اليتيمة منذ لحظات: "ألا ترى أني لا أتعامل جيدًا مع الغموض، أكره الشعور بأن هناك ما لا أفهمه".

قال بهدوء غير مبالي بصوتها العصبي: "حسنًا، نحن الآن بطريقنا لتعرفي كل ما تريدين".

نظرت له بحيرة لتقول بلهجة غير مصدقة: "أستخبرني بكل شيء؟".

قال بنفس النبرة: "كل شي وأي شيء، مستعد للاعتراف لكِ بكل ما تريدين".

خفق قلبها بجنون فأدارت وجهها للجهة الأخرى لتقول بخفوت تداري على صوت خفقات قلبها: "جيد، أنا أفضل ذلك".

صمتت قليلًا ثم استدارت نحوه مرة أخرى لتسأله بنبرة هجومية: "لماذا صافحتني؟".

نظر لها بدهشة قائلًا: "عفوًا؟".

قالت بنفس النبرة: "أنت صافحتني هناك أمام الطبيب".

قال بلا مبالاة: "وما المانع ألا أفعل؟".

انكمشت في مكانها وهي تكتف ذراعيها على صدرها لتشعر نفسها بالهدوء ثم قالت بعد قليل: "ظننتك أخبرتني بأنك لا تصافح النساء".

نظر نحوها بجانب عينيه ليقول بهدوء: "أنا لم أقل ذلك".

عقدت حاجبيها قليلًا لتقول بتأكيد: "لكنك قلت ذلك لي من قبل وهذا أشعرني بالتخبط وبقليل من الحقد عليك لإحراجي بسبب هذا الموقف قبل ذلك".

ضحك بشدة من كلامها، ثم مال جهتها ليقول: "أظنكِ وددتِ إحراجي برد الموقف لي".

قالت باستكانة: "فكرت بها قليلًا لكني لم أفعل".

سألها باهتمام: "لم لم تفعلي؟".

قالت بتلقائية: "إحراج الناس بهذا الشكل يتطلب قلة الدم، وأظنني لا أمتلكها".

رد عليها بمرح: " أشكرك، فقد وصف لي الطبيب فعليًا علاج لقلة الدم".

نظرت نحوه مصعوقة بعد اكتشافها بأنها قد شتمته للتو، لكنه كان يبتسم بهدوء دون أن يبدو عليه التأثر بسبها له.

قالت بخفوت: "آسفة لم أقصد".

قال وقد عاد لنبرته الهادئة المهادنة: "لا عليكِ، أستحقها بجدارة"، ثم صمت برهة ليعود لإكمال كلامه: "أنا بالفعل كنت غاضب منك لأنك صافحت السيد عبد الله والسيد عدنان بيدك وأنا لا أحب ذلك".

قالت بتعجب: "لماذا؟".

قال وكأنه يقر حقيقة: "لأني اكتشفت حينها إني أغاااار.. لأني حين رأيتك أمامي ذلك اليوم شعرت بأني أغار عليك بعدد سنوات

بعدي عنك"، مال نحوها لينظر لها بقوة قائلًا: "أنا أشعر بالغضب أحيانًا فأصبح فظًا دون أن أستطيع كبح نفسي فاعذريني يا وسن، لا أستطيع إلا أن أفعل ذلك كلما تملكني شيطان الغضب".

قالت بتحير: "وفيم أغضبتك أنا لتصب على رأسي غضبك".

قال وهو يتنهد: "لم أغضب منك أبدًا ولا أستطيع، غضبي يتملكني لأني لم أستطع أن أكون بحياتك من قبل، لأني لم أفرض عليك كوني واقع بحياتك طوال تلك السنوات، لأن ظروفي أجبرتني أن أقاسي بعيدًا عنك ولا أدري كيف هي أحوالك، لأن شيطان الغضب والحقد جعلني أستمر بتعذيب نفسي على أن أقترب منك مرة أخرى، وحين رأيتك ذلك اليوم تذكرت كل قراراتي الغبية التي أخذتها أثناء ابتعادي وعلمت أنها لن تُجدي نفعًا".

صمت قليلًا ليتابع: "صدقيني يا وسن أنا أكره نفسي أكثر من ذي قبل عندما عدت ووجدتك تعانين الوحدة مع نوبات الهلع تلك بينما لم أكن بجانبك، أشعر بالسوء والحقارة والغضب من نفسي عن ذي قبل".

صمت وكأنه سرح في ماضٍ لا يحبه بينما كانت أنفاس وسن المتلاحقة دليلًا على تأثرها بكلامه وزعزعته لمشاعرها الرافضة للارتباط.

فهل يستطيع تغيير رأيها من الرفض؟

* * *

رنين الهاتف قطع حبال الصمت المتراخية على جو السيارة بين ساجد ووسن، رفعت هاتفها لتنظر له بحيرة وقد عقدت حاجبيها لتقول بخفوت: "ماذا تريد هديل الآن؟".

رمقها ساجد مجيباً: "ربما تريد الثرثرة فقط، لم لا تجيبين لتعرفي".

نظرت له لبرهة ثم رفعت الهاتف لأذنها مجيبة: "مرحباً هديل، كيف الأحوال؟..لا لست بفيلا وهدان، آه نعم كنت سأذهب ثم حدث أمر ما.. ماذا؟ السيد صلاح مدير المعرض أخبرك بماذا؟.. حسنًا.. سأذهب بالحال، لا.. لا تأتي ستكون الأمور بخير، إلى اللقاء"، قالتها لتغلق الهاتف وتستدير نحو ساجد الذي كان ينظر لها بقلق وترقب، فقالت بقلق: "يبدو أن جلستنا ستتأجل اليوم، عليّ الذهاب لفيلا وهدان".

سأل بحذر: "لماذا؟".

ردت بتأفف: " فيلا المجانين، لقد أرهقوني نفسياَ، صدقني لو كان هذا العمل غير تابع للسيد عدنان لكنت أضرمت النار بهم وبفيلتهم حتى أجنِّب الناس مشاكلهم".

نظر لها عاقدًا حاجبيه بفكاهة فأسرعت لتقول: "لا تنظر لي هكذا، فلست متطرفة التفكير دومًا، لقد انفعلت للحظة ليس أكثر، سوف أترجل هنا وأستقل سيارة أجرة حتى أذهب لحل المشكلة بين طاقم تركيب غرفة النوم والسيد المهذب كامل وهدان".

سألها بفضول: "مشكلة ماذا؟".

قالت بإرهاق: "لا أدري، السيد صلاح مدير معرض الأثاث اتصل بمكتبي ليبلغني بأن السيد كامل طرد عمال التركيب لاعتراضه على

وضعهم الأثاث بطريقة مغايرة لأفكاره، سيد متسلط عديم الذوق، لا يستطيع الاعتراض على زوجته فيخرج عقده على العمال المساكين".

سأل ساجد بهدوء: "أين طريق الفيلا؟".

اعترضت وسن بوهن: " لا، ليس هناك من داعٍ، سأذهب سريعًا ثم أعود للمنزل".

قال بنفس الهدوء ولكن بنبرة أشد حزمًا: "أين مكان الفيلا يا وسن؟".

لوحت بيديها تصف له المكان، فاستدار بالسيارة ليعود من الطريق المعاكس لطريقهما دون أن يتحدث،

كان يشعر بالضيق والغضب، يبدو أن حلم لقائه بوسن وحدهما قد أصبح بصعوبة لقاء كوكبي الأرض وزحل في نفس المدار.

سألها سؤالًا بدا عابرًا لكنه كان يخفي الهدف منه بداخله: "هل هي أول مرة يفعل مثل ذلك؟".

ردت بتأفف: "لا ليست أول مرة، دائمًا ما يفعل ذلك بين الحين والآخر حتى إنه طرد هديل ذات مرة لاعتراضه على عملها وعندما اعترضت على طرده لها بدون وجه حق وأنها تنفذ ما أطلبه منها اعتذر منها وكأنه شعر بالذنب"، ثم صمتت مفكرة لتقول: "لا يبدو من النوع الذي يشعر بالذنب فهو من الشخصيات المتكبرة".

عقد ساجد حاجبيه بغضب وقد بدأ يكون فكرة عن ذلك الوغد لكنه سأل بهدوء لا يتناسب مع مقدار غضبه إلا تناسباً عكسياً: "وهل بكل مرة يفتعل مشكلة يستوجب ذلك أن تهرعي لحلها؟".

هزت رأسها بالإيجاب لتكمل: "طبعًا فهذا عملي ووظيفتي أن يكون العميل راضياً عن مقدار الخدمة المقدمة وكفاءتها".

هز رأسه بصمت مميت وقد عزم على رؤية ذلك الوغد، وفي خاطره قد نمت فكرة، فكرة ظنها ستحل تلك المشكلة، للأبد.

* * *

وصلت وسن إلى فيلا وهدان بصحبة ساجد، وجدا المشرف على التركيب ونقل الأثاث ينتظرهما خارج الفيلا وعندما رأى وسن ترجل من سيارته ليتقدم نحوها وقد اربد وجهه من الغضب، قال ملوحًا: "والله يا مهندسة لولا مكالمة السيد صلاح لنا بانتظارك لكنا قد ذهبنا من مكان المجانين هذا".

قالت وسن بلطف: "لا عليك، تحمل، فقد قاربنا على الانتهاء".

مط الرجل شفتيه الغليظتين بحنق يتمتم بكلمات مبهمة أغلب الظن أنها سباب، ثم استدار ليركب سيارته حتى يعود للفيلا مرة أخرى خلف سيارة ساجد.

بالقرب من الملحق توقف ساجد ليترجل من السيارة تتبعه وسن، وقفا بانتظار العمال ليترجلوا من سيارتهم.

سألت وسن المشرف عن مكان وجود السيد كامل، فأجابها بنفس الحنق أنه لا يعرف ربما يكون بالمبنى الرئيسي.

دخلت وسن الملحق ولحقها ساجد الذي وقف متأملًا المكان الشبه منتهي إلا من بعض الرتوش البسيطة والتي لا تحتاج سوى ليوم أو يومين لتنتهي، لكن وسن لم تلتفت إليه صعدت الدرج لتتحدث مع المشرف الذي يلاحقها وهو يستمع باهتمام لأسئلتها ويجيبها.

كان ساجد ينظر لها وقد تحولت لتلك الشخصية القوية والتي ما إن تندمج بالعمل حتى تصبح لها بريق آخر، بريق من القوة والسيطرة يتخللها اللطف، مزيج رائع من فتاة أحلامه المتميزة بطعم الأنثى ورقتها، وصلابة ونعومة الفولاذ.

ظل يدور بالأسفل قليلًا حتى يتأمل المكان بتصاميمه العصرية الراقية ثم صعد خلفها الدرج، لم يدخل لغرفة النوم الرئيسية أولًا بل جال بباقي الغرف ليجد أن كل الغرف قد اكتملت ماعدا غرفة نوم الضيوف فقد كان العمال يقومون بتركيب الأثاث بها بينما وسن تقف مع المشرف بغرفة النوم الرئيسية تتحدث في الهاتف مع أحد ما.

اقترب منها ساجد ليسمعها تتكلم بلباقة: "لكن سيدة ليلى السيد كامل معترض على وضع الأثاث بالطريقة التي أريتك إياها فهو يريد تغيير بعض أماكن القطع.. نعم.. حسنًا لن أغيرها.. لكن رجاء نحن لا نريد إغضابه، أخبريه فقط أن تلك التصاميم الموضوعة من قبل البدء بالعمل ولا نستطيع تغييرها ببساطة،

حسنًا حسنًا أنا بالملحق، سأنتظرك".

أقفلت الهاتف لتنظر للمشرف قائلة بحبور: "السيدة ليلى أخبرتني بالالتزام بالتصاميم الأولية وعدم التغيير؛ لذلك انه العمل على حسب اتفاقنا أولًا".

هز رأسه ليقول بأدب: "حاضر يا مهندسة سوف أذهب لأرى إذا ما كانوا قد أنهوا العمل بالغرفة الأخرى أم لا".

أومأت برأسها له فأسرع للخارج تاركًا وسن تقف بالغرفة المتكدس بها الأخشاب الملفوفة في ورقها مع ساجد.

استدارت تنظر حولها دون أن تعير ساجد الاهتمام وكأنها لم تكن تراه، فقد كان فكرها منشغلًا بعالم آخر.

اتجهت بهدوء نحو القطع الخشبية لتميل تنتزع من عليها غلافها، تقدم ساجد نحوها ليسألها باهتمام: "ماذا تفعلين؟".

أجفلت تستقيم لتنظر إليه بوجوم ثم تقول بتثاقل: "أنزع أوراق الحفظ الملتفة حول الأخشاب حتى يتسنى للعمال البدء بالتركيب دون تأخير أكثر من هذا"، ثم نظرت لساعة هاتفها لتقول بضيق: "فقد تأخر الوقت بالفعل".

قال ساجد باهتمام: " يمكنك الرحيل وسأظل أتابع العمل بدلًا منك".

نظرت نحوه بعبوس لتقول: "لا، لن ينفع ذلك، فالعمال لا يعرفونك كما إن السيد كامل والسيدة ليلى لا يعرفانك، والسيدة ليلى على وشك الوصول فقد أخبرتني بانتظارها".

هز رأسه موافقًا ثم مال نحو القطع الخشبية ليساعد فيٍ إزالة غلافها بينما يقول بهدوء: " إذن دعينا ننهي تلك المهمة سريعا حتى تستطيع الأميرة الرحيل مبكرًا".

تبسمت ورددت خلفه بتعجب: "الأميرة؟!"

قال من بين شفتيه وهو يرمقها بجانب عينيه: "الأميرة وسن ربة الحسن والجمال ومحطمة قلوب الشباب".

أفلتت وسن ضحكة مرتفعة لم تستطع السيطرة عليها فارتفع وجه ساجد تلقائيًا إلى عينيها وكأنه يعلم بأنها قد تحولت لماسات خضراء براقة كما تعود أن يراها في فترة مراقبته السابقة لها.

عندما وجدت عينيه الشغوفتين وبريقهما الآسر تأسران عينيها تنحنحت لتقول برقة: "عفوا، لم أستطع منع ضحكتي، فقد حولتني لساحرة شريرة ولست أميرة".

قال بهدوء وإقرار: "أنت فعلًا ساحرة، لكن لست شريرة".

ثم مال نحوها ليقول بغموض: "تلقين التعاويذ هنا وهناك دون أن تراعي إصابة بائس ضعيف مثلي".

قالت باعتراض مازح: "ضعيف؟ أنت أبعد ما يكون عن الضعف، أنت متسلط".

سألها باهتمام: "لم ترينني هكذا؟".

فتحت فمها لتجيبه لكن في تلك الأثناء ارتفع صوت ساخر ثقيل: " ها قد أتت المهندسة المبجلة بنفسها أخيراً".

التفت وسن وساجد لينظرا إلى باب الغرفة حيث يقف ذلك الشخص السمج، السيد كامل بكل هيبة وترفع.

قالت وسن بصوت حيادي بارد: "معذرة سيد كامل أنا لم أتأخر عن العمل، فقد كنت هنا بالأمس".

برقت عيناه ليقول بتسلط: "حين تتولين أعمالًا خاصة بي عليكِ التواجد كل يوم".

هزت رأسها بأدب متحفظ: "نعم سيد كامل وهو كذلك".

نظر لها نظرة وقحة من أعلى رأسها لأسفل قدميها، ثم مال ليقول لها بصوت عابث منخفض: "تُعجبني الفتاة المؤدبة اللطيفة".

ابتعدت عنه خطوة للخلف لترمقه بنظرة محدقة ومحذرة ألا يتمادى لكنها لمحت ساجد وقد اقترب منها لينظر نحو كامل بعبوس قائلًا: " يمكنكِ الرحيل يا وسن سأتكفل أنا بباقي العمل".

نظر له كامل بتهكم ليسأله بسخرية: "ومن أنت؟ هل أصبحت فيلتي مشاعًا للجميع ليدخلوها دون استئذان".

قال ساجد ببرود: "أنا المهندس ساجد مدير وسن بالعمل"، وعندما لمح نظرة السخرية لم تنطفأ من عين كامل مال نحوه ليقول باستفزاز: "وخطيبها".

اتسعت حدقتا عين وسن بذهول لتجرأه على نشر الشائعات هنا وهناك بخصوص خطبتهما التي ليس لها موقع من الصحة، بينما كان رد فعل كامل عجيبًا، إذ انعقد حاجبيه بغضب وتحفزت

ملامحه لينظر نحو وسن يسألها بغضب: "هل هذا صحيح؟ هل أنتِ مخطوبة له؟".

تملكها الذهول من وقاحته فأجابت بتوتر: "إنه.. نعم.. أقصد..."، قاطعها ساجد ليقول بهدوء قارب الاستفزاز: "تم الاتفاق على موعد الخطبة لكن لم نرتد خاتم الخطوبة بعد".

نظر نحوه كامل ليقول بتوحش: "لا أحدِّثك، أنا أحدِّثها"، ثم نظر نحو وسن بغضب متابعًا: "تلك الانتهازية والتي عرفت سبب رفضها لي الآن، فقد كانت تأمل أن تنال الجائزة الكبرى، شاب غر ساذج لا يعرف ماضيها الوضيع".

صرخت وسن بضعف وهي تضع يدها على فمها وقبل أن تعي تصرفه كان ساجد قد اقترب من كامل ليزين فكه بلكمة مباشرة وهو يقول بغضب: "اخرس أيها الحقير، أنت هو الوضيع".

أمسك كامل فكه ليهتف بتوحش مجنون: "أنت تضربني أنا؟.. وبمكان إقامتي؟ والله لن أمررها على خير سأسجنك لفعلتك تلك".

ارتفع صوت أنثوي مندهش ليقول: "ماذا يحدث هنا؟ لم كل هذا الصراخ يا كامل؟".

نظر نحوها كامل بغضب ليقول: "ذلك الوغد لكمني، سوف أخرب بيته".

نظرت ليلى بهدوء نحو وسن المصفرة الوجه وذلك الوسيم الذي يقف بجوارها متحفزًا على وجهه أبشع علامات الغضب ومازال

ضامًا قبضته كأنه على وشك الضرب مجددًا ثم سألت باستفهام: "ماذا حدث؟ من أنت؟ ولِم تضرب زوجي في منزله؟".

قال ساجد بسخرية: "أنا مدير المهندسة وسن بالعمل وهي خطيبتي، أما عن لِمَ ضربته فاسأليه هو عن السبب وأتحداكِ أن يخبرك".

رمقت زوجها بنظرة غامضة، ثم نظرت لساجد مرة أخرى قائلة ببرود: " هذا لا يمنحك الحق بلكمه أبدًا، ألا تعرف من نحن؟".

قال ساجد بغباء: "لا أعلم سوى أن زوجك قد تمادى في كلامه مع خطيبتي، حينها استحق لكمه على وقاحته، وأقسم لك إن تعرّض لها مرة أخرى فسأدفنه قبل أن يمسها".

ارتفع حاجباها حتى كادا أن يصلا إلى منابت شعرها الأصفر المصبوغ، ثم عادت وخفضتهما بشر لتقول: "أنت إذن تهددنا في منزلنا!!".

هنا تقدمت وسن فجأة لتمسك ذراع ساجد قائلة بلهجة اعتذار: "لا يا سيدة ليلى، المهندس ساجد لا يقصد التهديد، لقد حدث سوء فهم مشترك بينه والسيد كامل ونحن سننهي العمل ونخرج بأسرع وقت".

هاج كامل ليقول بعصبية: "لن يظل ذلك الحقير هنا ولا للحظة، سوف أستدعي له الأمن ليلقيه خارجًا".

قالت ليلى ببرود: "لن يأتي الأمن يا كامل، سنقبل اعتذار وسن لننهي ذلك العمل بأسرع وقت، فقد طال وأنا أريد السفر"، ثم التفتت نحو وسن وساجد لتقول بصلف: "أما ما حدث هنا والآن

فسوف أبلغه للسيد عدنان وهو من سيتصرف معكما حين الانتهاء من العمل هنا، فلا أريد تغييرك وقد شارفت الانتهاء"، قالتها واستدارت بكل عنجهية لتتأبط ذراع زوجها حتى يخرجا من المكان وقبل أن يختفيا خلف الباب عادت السيدة ليلى لتطل برأسها قائلة: "بالمناسبة، أنت غير مرحب بك مرة أخرى هنا حتى لو كنت مديراً لعدنان ذات نفسه، وأنت يا مهندسة وسن أنتظر منك الإشراف على انتهاء العمل هنا حتى يتم تسليم المكان منتهياً بأكمله لي، حينها قد أتغاضى عما حدث الآن ولا أصعد الأمر للسيد عدنان".

قالتها واستدارت لتصفق الباب خلفها بكل قوة، بينما ارتفعت خلفها في سماء الغرفة شرارات بغيضة،

خلفتها وراءها، شرارت كبرياء وحقد.

❋ ❋ ❋

الفصل الحادي عشر

ارتفع صوت ساجد بغضب يصرخ بوسن: "ولِمَ لم تخبريني عن خطبته لكِ من قبل؟".

قالت بهدوء: "لا تعطِ الموضوع أكبر من حجمه، أخبرتك بأني رفضت وانتهى الأمر".

قال بغيظ شديد: "أنا أعطي الموضوع أكبر من حجمه؟ ألا ترين أنكِ أنتِ من تتباسطين قليلًا؟".

قالت بسخط: "وهل من حقك أن تحاسبني على من تقدم لخطبتي أم لم يتقدم؟ انتهى النقاش بهذا الموضوع مهندس ساجد، لم أعطه موافقتي وطردته شر طردة، ثم من سمح لك أن تنشر هنا وهناك إشاعة خطبتك لي؟".

قال بهياج دون أن يهتم بالرد على سؤالها المؤنب له: "طردته! هل جاء إلى منزلك وسمحتي ببقائه عندك؟".

جاء دورها لتقول بغضب: "كيف تتحدث معي هكذا؟ أخبرتك لم يحدث شيء، رفضته وانتهى الكلام، ثم إنه حين جاء لشقتي كنت أنتظر هديل وهو لم يظل أكثر من خمس دقائق طردته بعدها محملًا بهديته".

قال بعصبية وجمود: "وهدية؟!! ماذا تخفين أيضًا؟ لم يكن يصح أن تستقبليه بشقتك؟".

تأففت تشعر بالغباء من إصراره على الكلام بنفس النقطة منذ خروجهم من فيلا وهدان منذ ما يقرب النصف ساعة، قررت أن تهادنه كي ترتاح فقالت بهدوء: "نعم معك حق، أنا مخطئة لكن أنا ظننته هديل لذلك فتحت الباب سريعًا دون معرفة الطارق".

عاد ليقول بغضب: "نعم أنتِ مخطئة، كان هذا غباء منك، تشعرينني أحيانًا بأنك تحتاجين معاملة أطفال".

نظرت له بدهشة لتقول: "أتظنني فاقدة الأهلية؟".

مط شفتيه بحنق ليصر على موقفه: "نعم، أنتِ فيما يتعلق بالرجال لا تفقهين شيئًا، لذلك من الأفضل لكِ عدم التعامل معهم".

وجم وجهها لتقول له بقنوط: "أشكرك على ثقتك بي، لقد شرفتني فكرتك عني، ولا تنس أنك أيضًا رجل، لذلك ربما من الأفضل عدم التعامل معك، الآن من فضلك لا أريد الحديث فأنا مرهقة وبشدة".

قالتها لتستند على مقعدها باسترخاء وتغمض عينيها حتى تقطع عليه الكلام معها، وبالفعل فقد صمت وهو يراها تغوص في مقعدها وقد بدأت ملامح وجهها العابسة بالاسترخاء قليلًا بينما تهدل كتفاها وذراعاها على حجرها لتشي بأنها قد غفت فعليًا بوقت قصير.

كانت كالطفل الذي ما إن يزوره النوم لا يستطيع التحكم بنفسه ليتوسد ذراعه وينام بأي مكان.

ظل يراقبها بين الحين والآخر وكأنما يتأكد من استغراقها بالنوم وعندما مالت رأسها على الجانب وبدأ صوت تنفسها بالارتفاع مد يده بخفة ليدفع رأسها لتستند على النافذة بجانبها كي ترتاح رقبتها، أجفلت قليلًا ثمِ عادت لنومها مرة أخرى وكأن ما حدث لها اليوم قد استنزفها كليا حتى إنها لم تستطع مقاومة النوم بسيارته.

وصل بسيارته فأوقفها على بعد شارعين من بناية سكنها حتى لا يتسبب لها بالإحراج بذلك الوقت المتأخر، فقد قارب الوقت العشاء، ناداها بهمس أجش: "وسن.. استيقظي".

تمتمت بكلام غير مفهوم لتستدير وتعتدل في مقعدها ثم تعود لنومها مرة أخرى، لذلك ناداها بصوت أعلى قليلًا: "وسن لقد وصلنا".

فتحت عينيها تنظر حولها بعدم استيعاب، ثم أغلقتهما مجددًا لتعود وتفتحهما برفرفات عديدة كرفرفة جناحات الفراشة حتى استقرتا مفتوحتين لتقول ببطء وصوت ناعس: "هل وصلنا؟".

قال ساجد بهدوء وهو يراقبها: "على بعد شارعين من محل سكنك، إذا أردتِ، أوصلتك للبناية حيث تقيمين".

تثاءبت لتعتدل بعدها وتقول بخمول: "لا، أشكرك، سأنزل هنا"، ثم وكأنها تذكرت شيئًا ما عادت لتنظر له قائلة بنفس الخمول: "نسيت أن أشكرك لدفاعك عني هناك".

قال بضيق: "لم أفعل ما يستحق الشكر، كنت أريد قتله".

ضحكت بخفة قائلة: "لن تتهور وتُدخل نفسك السجن بسبب ذلك الأحمق".

نظر لها بصمت ثم قال بعد هدوء فترة: "متى طلب منك الزواج؟".

طار النعاس وحل العبوس على وجهها لتقول بصوت مختنق: "يا إلهي، ها قد عدنا مرة أخرى للتحقيق"، ثم نظرت له لتقول بحنق: "ظننتنا انتهينا".

قال بهدوء مستفز: "أنتِ من هربتِ بالنوم، لم أكن انتهيت".

قالت بغيظ: "لكن أنا انتهيت، أخبرتك بأن الموضوع لا يستحق، لقد أنهيته وانتهينا"، ثم مالت نحوه لتشدد على مخارج حروفها قائلة بطريقة ساخرة: "أنهيته وانتهينا، فهمتها أم أتحدث لك بلغة أخرى؟".

ظل ينظر إليها عاقدًا حاجبيه بغضب منها ثم ابتسم ببطء وقد أعجبته سخريتها ليجيبها بلغة لم تعرف منها شيئًا، عقدت حاجبيها لتسأل بفضول: "هل تتحدث بلغة أخرى؟ لقد كنت أمزح".

هز رأسه بهدوء قائلًا: "والدتي أجنبية، وقد وُلدت في بلدها وأحمل جنسيتها"، ثم مال نحوها مكملًا بلؤم: "أخبريني بلغتي الأجنبية كي أفهم، متى طلب منك الزواج؟".

انتفضت بحنق تزفر متمتمة: "أنت بالفعل ذو عقل متحجر، هل ستظل طوال الوقت تدور في فلك ذلك الوغد؟ وبالرغم من ذلك سأريحك وأخبرك بأني لا أتذكر متى حدث هذا، ربما بعد حادث إصبعي بيومين أو ثلاثة".

قال بهدوء: "أي بعد أن طلبت خطبتك أليس كذلك؟".

تأففت تجيب: "ربما، لست أتذكر متى حدث بالتمام، أخبرتك يا ساجد أن الموضوع لا يحمل لي أي أهمية كي أتذكره".

سألها باهتمام: "هل تذكرين متى طلبت منكِ أن تسمحي لي بأن أكون جزءاَ من عالمك؟".

ردت بتلقائية: "نعم بالطبع أذكر، فقد كان يوم العطلة الماضية".

احمرت بعد أن جاوبت دون تفكير منها في الفخ الذي أسقطها به، لكنها حمدت الله أن الظلام قد حل فلن يرى احمرارها.

قال وقد التمعت عيناه بتألق: "إذن لم رفضتي يا وسن؟".

قالت بتحفز لتداري خجلها: "لقد أخبرتك يومها، لا أريد أن أتكلم في أسبابي مرة أخرى".

مال نحوها وقد بان التصميم بعينيه: "سنتكلم يا وسن، ستظلين تبررين لي رفضك كل مرة حتى تصلين لسبب يقنعني أنا شخصياَ بالرفض وحينها قد أتركك لحال سبيلك".

قالت بتوتر: "أنت غاضب مني أليس كذلك؟".

قال بلهجة إقرار: "أنا لا أغضب منك، أخبرتك بها من قبل، لا أستطيع أن أغضب منك أبدًا".

سألت بحذر: "إذن لم رفضت دخولي مكتبك بعد مكالمتي لك؟".

نظر نحوها نظرة لم تستطع تفسيرها ليقول بعدها بخفوت: "لم أكن أريدك أن تريني بحالي آنذاك، فربما كنت آذيتك".

قالت بتأنيب: "كما فعلت مع هديل".

تبسم بحزن ليقول بهدوء: "هل غضبت مني؟ ربما تراني عديم الرجولة بسبب هذا".

سألته وقد شاب صوتها بعض الغيظ: "وهل تهتم بما تراه بك؟".

التفت نحوها وحدق بعينيها ليقول بقوة: "لا، ولا أهتم بما تراه جميع نساء العالم بي، فأنا مكتف بما أملك وأنتِ من المفترض أن تعلمي ذلك"، ثم مال نحوها سائلًا إياها بنفس النَبرة: "أتغارين إن اهتممت بنظرة النساء لي؟".

ارتجفت من نظرة عينيه القوية، شعرت بأن عظامها تذوب من قوته التملكية تلك فقالت بتلعثم: "أنا يجب أن أنزل، فقد طال بقائي بالسيارة".

قال بهمس خشن: "وسن".

أجابت كالمسحورة وهي تنظر لعينيه الفياضة بالمشاعر المحمومة: "نعم".

تبسم من عفوية ردها ليقول بنفس الهمس: "ما أحلاها من نعم تلك التي تخرج من فمك، أريد هذه النعم يا وسن، أريدها دائمًا وأبدًا".

ابتلعت ريقها لتقول بخفوت: "نعم".

خفق قلبه بقوة وهو يرى استسلامها بتلك الطريقة، كان على وشك جذبها بقوة لصدره حتى يسمعها تقولها مرة أخرى قرب أذنه، لكن بقية من تعقله ألزمته أن يظل مكانه ليقول بصوت أجش: "متى أقابل أخيك؟".

انتزعت عينيها انتزاعًا من على وجهه لتقول بارتجاف: "لا أدري، لا أعرف مواعيد تواجده بالمنزل، سأخبره".

قال بلهفة: "اا ليلة يا وسن، أريد جوابًا الليلة، لن أستطيع النوم إلا حين سماع الموعد".

ثم همس بصوت أجش: " ربما لن أستطيع النوم أبدًا إلا حين رؤيتك ببيتي وبين أحضاني".

همست باعتراض واهن: "ساجد".

قال بصوته الأجش: "قلب ساجد وروح ساجد، لا تعترضي يا وسن، لا أستطيع الآن أن أسمع كلمة اعتراض منك، ألا ترين حالي؟".

فتحت فمها لتتحدث إلا إنه مال نحوها فجأة فشهقت وأجفلت وهي تتخيل الأسوأ، إلا إن تفكيرها الأسود خذلها إذ فتح الباب المجاور لها وهو يقول بخشونة: "انزلي يا وسن، انزلي الآن قبل أن أفعل ما لا يحمد عقباه".

تطلعت له بعدم فهم لتقول مرددة بغباء: "أنزل؟!".

قال بخشونة أعلى: "الآن يا وسن وإلا صدقيني سأتهور وربي.. حينها لن تعجبك الطريقة، اخرجي الآن يا وسن وارحميني".

حينما ظلت محدقة به قال بصوت هادر: "الآن يا وسن، الآن".

نزلت من السيارة ترتجف، قدماها لا تقويان على حملها وكأنها تقف على هلام، لكنها استدارت لتبتعد عنه بخطوات متعثرة إلا إنه

ناداها قائلًا: "سأهاتفك ما إن أصل لمنزلي، خذي راحتك إلى هذا الحين".

قالها ثم استدار بسيارته وقد أطلقت إطاراتها صريرًا مريعًا أجفل وسن، وجعلها تنتفض بقوة،

لتهرع إلى بنايتها بينما قلبها يقفز ويقفز إلى أن شعرت به سيتوقف، من فرط الارتجاف.

* * *

صوت الجرس المصاحب لفتح الباب بمتجر الكتب ارتفع لتنظر نحو الباب بهدوء، لكنها ما لبثت أن انتفضت وعقدت حاجبيها بتوتر، اقتربت شهد من الزائر لتقول بأدب: "بما يمكنني خدمتك سيدي؟".

ارتفع صوت ضحى من خلفها لتقول بهدوء: "اذهبي أنتِ يا شهد لعملك فالسيد سيغادر بعد قليل".

رفع حاجبيه بسخرية بينما تنظر لهما شهد بعدم فهم لتقول بأدب: "حاضر دكتورة ضحى تحت أمرك"، قالتها وعادت للخلف لتهتم بترتيب المتجر قبل موعد إغلاقه الذي اقترب.

قالت ضحى بخشونة: "أنت مرة أخرى، ماذا تريد؟".

ظل ينظر لها بحا جبه الساخر المرتفع ثم مال محدقًا بها ليقول بخفوت: "هل تعاملون زبائنكم بهذا العنف دائمًا؟ لا عجب إذ أن المتجر خال من الزبائن".

قالت بنفس الخشونة: "المتجر شبه خال لأننا قاربنا على الإغلاق، ماذا تريد؟".

ظل ينظر لها وعلى وجهه ابتسامة محتجزة خلف شفتيه بقوة ليقول من خلف ضحكاته المكتومة: "لا تليق بكِ كل هذه الخشونة، حذار أن تصابي بمرض عضال جراء عصبيتك تلكِ"، ثم رفع كفه مستسلمًا ليقول بهدوء: "أريد عقد هدنة معك، لا داعي لأن تشرعي أسلحتك بوجهي كل مرة تريني بها، أنا لا أنوي الشر بك".

قالت بفظاظة: "احتفظ بهدنتك لنفسك، ولا تزكي نفسك بخوفي منك".

قال بتفهم: "أتريدين أن تخبريني أنك تقذفين كل من يحدثك بالحجارة، امممممم.. عجبًا فقد رأيتك مرتين وبالمرتين كنتِ تتألقين بضحكة متسعة مرتسمة على وجهك، ربما أنا فقط منَ يجعلك تعبسين هكذا".

تنهدت لتأخذ نفسًا عميقًا تهدئ به نفسها قليلًا، ثم قالت بصوت بدا هادئًا: "حسنًا سيد واصف، ما الخدمة التي تريد من متجرنا المتواضع أن يقدمها لك؟".

تبسم برضا ليقول: "نعم هكذا أفضل، الآن سأخبرك بما أريد، لكن رجاء يا دكتورة ضحى لا تسخري من طلبي".

رفعت حاجب واحد تنتظر ما يريد لكنه ضحك قائلًا: "بهذا الحاجب المرتفع أعتقد أن نهايتي ستكون بصفحة الحوادث".

ظلت على موقفها دون كلام فتنحنح قائلًا: "حسنًا سأتكلم وليكن الله بعوني"، ثم قال بمرح: "الموضوع وما به إني ذهبت

للمسجد لصلاة العشاء والجلوس مع والدك قليلًا كما اعتدت كل حين لكني لم أجده، وللأسف لم أحتفظ برقم هاتفه لتعودي على وجوده دائمًا بالمسجد، ففكرت بأني من الممكن أن أمر هنا لأخذه منك".

ظلت تنظر له لحظات بعدم تصديق لتقول وقد سقط حاجبها مكانه مرة أخرى: "أنت مررت بوالدي.. لماذا؟".

قال بهدوء: "صدقي أو لا تصدقي، فهو قد دعاني بأن أمر للجلوس معه وقتما أشاء، إلا إذا كان لكِ رأي آخر بهذا أحب أن أسمعه".

كانت تحدق به غير مصدقة، ثم ما لبثت أن عقدت حاجبيها بتفكير لتقول: "قلت إنك مررت بالمسجد ولم تجده؟".

قال بدفاع: "نعم، لست أمزح بهذا الشأن، وإياكِ أن تنعتيني بالكاذب"، ثم مال قائلًا بصوت شرير: "لأني حينها سأقص لكِ لسانك الطويل هذا".

أجفلت تنظر له بغضب لكنها قالت: "لم أكن سأنعتك بالكاذب، كنت أستغرب عدم نزوله للمسجد، فلم يفعلها إلا إن كان مريضًا"، ثم رفعت هاتفها بسرعة لتطلب رقمه سريعًا وحين طال الرنين دون مجيب جربت مرة أخرى ثم مرة ثالثة، وحينها رمت الهاتف بتوتر في حقيبتها لتختطفها وهي تقول لشهد بصوت مرتفع قلق: "شهد أغلقي المتجر، سأذهب الآن"، قالتها وانطلقت تهرول خارج المتجر بينما يتبعها واصف بقلق قائلًا : "ضحى انتظري، ماذا حدث؟".

كانت على وشك الانهيار بينما تتماسك لتقول بصوت لاهث: "والدي، لقد اتصلت ثلاث مرات دون أن يجيب، ربما أصابه مكروه".

عرض عليها قائلًا باهتمام حقيقي: "سأوصلك للمنزل بسيارتي سريعًا".

لم تعترض إذ أن تفكيرها المتعطل لم يجد الوقت ليعترض، سارت بمحاذاته نحو السيارة لتقول باضطراب: "المنزل قريب من هنا".

لكنه قطع كلامها قائلًا بحزم: "ربما نحتاج للسيارة، هلا ركبتِ لننطلق الآن؟".

صعدت للسيارة بسرعة وكأنها تستعجله للذهاب، فاستقل السيارة وانطلق بها سريعًا نحو المنزل متبعًا توجيهاتها حتى وصل إلى ذلك المنزل الصغير بفنائه الأصغر والذي يحيطه من كل جانب.

ترجلت ضحى من السيارة لتفتح باب الفناء بأصابع مرتجفة بينما ظل واصف واقفًا بجانب سيارته واضعًا كفيه بجيبي بنطاله وهو يشير لها برأسه قائلًا بهدوء: "سأنتظرك هنا إذا ما احتجتني بشيء".

هزت رأسها بصعوبة دون أن تجيب ثم اتجهت نحو باب البيت تحاول فتحه بيد ترتجف، وحين انفتح دلفت بسرعة للمنزل وهي تهتف بخوف منادية على والدها دون مجيب.

جرت نحو مكانه المفضل أمام التلفاز لكنها لم تجده، شهقت برعب بينما تجري بأنحاء المنزل كالمجنونة لا تعلم أين تبدأ البحث

بالترتيب، وحين وجدت إضاءة الحمام منارة فتحت الحمام بسرعة لتجد والدها ممدًا على الأرض الجافة دون أن يُبدي حراكًا.

صرخت ضحى باسمه برعب وهي تميل لتناديه لكنه لم يستجب لندائها، حينها صرخت بكل قوتها لتنهض من مكانها وتجري كالملسوعة نحو باب المنزل منادية بأقصى ما تستطيع: "والدي يا واصف، انقذه أرجوك".

انتفض واصف مكانه على قوة صرخاتها ليدخل إلى البيت سريعًا قائلًا بتوتر: "ماذا حدث؟ أين هو؟".

أشارت للحمام تبكي بهستيريا: "إنه بالداخل، لقد سقط على الأرض".

جرى واصف نحو الحمام بسرعة ليدخل فيرى السيد سيف ممدًا بلا حراك على الأرض، مال نحوه ليجس نبضه، ثم رفع رأسه ليقول بتعجل: " إنه حي، نحتاج لنقله للمشفى سريعًا"، قالها لينهض فجأة من مكانه ثم يميل ليحمل الرجل المسن بكل خفة ويسرع نحو الخارج.

تبعته ضحى تنتحب دون أن تنطق بكلمة بينما أراح واصف جسد سيف الدين على المقعد الخلفي، ركبت ضحى بالمقعد الأمامي تكاد لا ترى أمامها من كثافة دموعها المتساقطة على وجنتيها.

قال واصف ليخفف عنها: "سيصبح بخير، لا تخشي شيئًا، يبدو إنه لم يظل هكذا لوقت طويل".

قالت تنشج من بين دموعها: "لا أعلم لا أعلم، أدعو فقط أن يكون بخير"، قالتها لتنهمر دموعها أكثر بينما واصف قد شعر بقبضة تعتصر قلبه، وتعيده للماضي.. ليوم وفاة والده.

* * *

كانت ضحى تجلس بانهيار أمام غرفة العناية المركزة بانتظار الطبيب بينما يقف بجانبها واصف عاجز عن مواساتها، فقد كان يمر بحال سيئ بحق، يشعر وكأنه سيفقد أحدًا آخر هذه الليلة، تذكر الليلة السوداء التي قضاها بالمشفى ينتظر صديقه ويليام أمام العمليات قبل أن يعلن الأطباء موته في الصباح، الدنيا كانت أمام ناظريه الآن عبارة عن حفرة سوداء عميقة تبتلع ما يظهر أمامها دون رحمة أو هوادة، كان هو من يحتاج للمواساة بشعره المشعث ووجهه الشاحب الذابل وخطواته المترنحة.

رمى نفسه جانبها على المقعد ليقول بأسى: "سيكون بخير، أشعر بذلك".

زاد نحيب ضحى لتقول من بين بكائها: "سأموت لو حدث له مكروه، سأموت".

نظر نحوها بإشفاق ليقول بصوت بائس: "لا لن تموتين، اسأليني أنا، ربما يموت بداخلك جزء من روحك عند فقد شخص عزيز عليك، لكن فعليًا لن تموتين".

نظرت نحوه بهلع لتقول باندفاع: "لا تخبرني بتأكيد موته أرجوك، واسني وأخبرني بأنه لن يموت".

هز رأسه بهدوء ليقول: "لا لن يموت، وأخبرك الحقيقة لست أواسيك".

قالت وقد تعلقت بعيناه: "هل تؤكد لي ذلك؟".

قال بتأكيد: "نعم أؤكد لك، فنحن لم نتأخر باكتشافه".

أمالت ناظريها للأسفل لتقول: "يارب، أرجو ذلك"، ثم عادت لتنتحب مرة أخرى قائلة: "لا أتخيل حياتي بدونه، لا أدري ماذا أفعل إن حدث له شيء؟".

قال بهدوء: "دعيها لله يا ضحى، لن أخبرك أنا بهذا".

هزت رأسها وكأنما تستفيق جزئيًا من صدمتها لتخرج مصحفًا صغيراً من حقيبتها وتبدأ بالقراءة فيه بصمت بينما دموعها لم تنضب.

ظل ينظر لها بأسى، ينظر لفمها وهو يقرأ بهمس في المصحف، ينظر للمصحف الصغير المستكين بأحضانها وكأنها تستمد الدعم منه، شعر بالاختناق من حاله، نهض فجأة ليقول لها بإرهاق: "سأحضر كوبًا من الشاي، أتريدين شيئًا؟".

ظلت تقرأ قليلًا ثم تصدقت لترفع عينيها المحمرتين بشدة نحوه قائلة: "لا، أشكرك"، ثم صمتت لتقول بعدها بامتنان: "يمكنك الذهاب، فأخي سيحضر بعد قليل، يكفي تعبك معنا إلى الآن".

قال بهدوء: "لم أفعل شيئًا صدقيني، سأنتظر حتى وصول شقيقك وحتى أطمئن على والدك ثم أرحل".

قالت بخفوت: "حسنًا، شكرًا لك"، ثم عادت لتنظر مرة أخرى بمصحفها لتعود للقراءة بصمت من جديد.

ظل ينظر لملامحها المستكينة للحظات حتى شعر بالثقل في قلبه، فاستدار سريعًا ليسير باتجاه الكافيتيريا بعيدًا عنها، تلك المخلوقة النورانية والتي تؤثر به تأثيراً غير معتاد، وهو من كان يظن نفسه خبيراً بشئون النساء، لكنه أمامها كان جاهلًا، وبحق.

* * *

شعرت وسن بالقلق يعصف بها بشدة، فمنذ عودتها من الخارج لم تجد واصف، وحين اتصلت به منذ قليل لم يرد، كما إن ساجد لم يتصل هو الآخر كما وعدها أن يفعل، كانت متوترة وتشعر بالضيق بينما كان القلق من له النصيب الأكبر من مشاعرها.

كانت روحها تتآكل به ويعصف بها بعنف، فقد اقتربت الساعة من العاشرة مساءَ دون أي أثر لهما.

أمسكت الهاتف بيدها لتطلب رقم واصف مرة أخرى، وحينها أجاب بصوت مرهق متعب: "نعم يا وسن، آسف لم أستطع مكالمتك قبلًا.. لا، سأتأخر قليلًا بعد، لدي صديق بالمشفى، نعم أنا بخير لا تقلقي، لا، لا تنتظريني، اذهبي للنوم"، ثم صمت قليلًا ليقول بعدها بخفوت: "وسن".

أجابته بقلق: "نعم يا واصف".

قال بتوتر: "هل تذكرين فتاة متجر الكتب؟".

قالت وقد تصاعد توترها: "تقصد تلك التي كان اسمها ضحى على ما أتذكر؟".

قال باختناق: "نعم هي".

سألت بحيرة: "نعم، كانت تبدو فتاة لطيفة، ماذا تريد منها؟".

قال بهدوء غامض: "لو أردتِ محادثتها، فهي تفتقر للصحبة الأنثوية وتحتاج للدعم الآن".

قالت وسن باعتراض: "لا أعلم عم تتحدث؟ كيف سأدعمها ولم؟".

قال بهدوء: "والدها مريض ومحتجز في العناية المركزة بين الحياة أو الموت، ولا تسألي أكثر من ذلك، إذا أردتِ دعمها عليك الاتصال بها فلديكِ رقم هاتفها"، ثم قال بهمس: "الآن سأغلق الخط، لا تقلقي عليّ".

قالت بقلق: "واصف أنت بالمشفى؟ هل أنت بخير؟".

قال بصوت هادئ بلا حياة: "نعم أنا بخير، لا تشغلي بالك بي فقد تعودت على تلك المواقف.. إلى اللقاء يا وسن"، ثم أغلق الهاتف ليتركها متخبطة بحيرتها.

ضحى والدها مريض!! هنا قفز في رأسها ربما لهذا السبب لم يتصل ساجد، وما علاقة ساجد بها؟ كلها أسئلة دارت برأسها عدة لحظات لكن بلا إجابة منطقية.

كانت تشعر أن رأسها على وشك الانفجار، فنهضت من مقعدها لتدور بالغرفة بينما تفرك مقدمة شعرها بقوة وتفكر ماذا عليها أن تفعل الآن.

* * *

عاد واصف من الكافيتريا يحمل كوبًا ورقيًا من الشاي وحينما اقترب من غرفة العناية المركزة صدم بمرأى ضحى تقبع بأحضان شاب أسمر أطول منها بقليل وقد علا صوت بكائها حتى مزقت قلبه، أسقط الكوب الورقي أرضًا بعنف وهو يكاد يقفز نحوهما وقد تقافز قلبه حتى كاد أن يبلغ حنجرته ليسأل بصدمة: "هل مات؟".

كانت نظرات عينيه بائسة مجروحة متعلقة بشفاههم بشكل يائس، حينها التفت نحوه الشاب الأسمر بتعجب بينما رفعت ضحى وجهها المغرق بالدموع لتقول بخفوت من بين شهقاتها: "لا لقد نجا، الشكر لله ثم لك"، ثم اقتربت منه لتقول بامتنان فرح: "الشكر لك، الشكر لك".

كانت تبدو على غير طبيعتها وكأنها تمر بصدمة هيستيرية، نظر لها واصف بعدم فهم ليقول بصوت مرتجف: "لقد رأيتك تبكين، لذا ظننت.. لذا ظننت..". ثم انهار على المقعد ليضع وجهه على كفه حتى تهدأ أنفاسه المتلاحقة بعنف.

كان يبدو أنه الآخر يعاني من صدمة ما، حينها اقترب منه عبد الرحمن يقول بتساؤل: "هل أنت صديق والدي الذي أنقذ حياته؟".

اقتربت ضحى لتقول بامتنان من بين شهقاتها: "نعم يا عبد الرحمن، لولا حضور السيد واصف للسؤال عنه بمتجري، ربما ما كنا أنقذناه".

ظل عبد الرحمن ينظر له بحيرة ليقول بهمس: "ظننت أنه صديق من نوع آخر، فلم أتوقعه شابًا صغيراً بالعمر"، لكنه تغلب على حيرته ليقترب من واصف ويجلس بجواره قائلًا بهدوء: "أنا مدين لك بحياة والدي، فلولا وصولك به للمشفى بوقت مناسب لما استطعنا إنقاذه من الجلطة".

سأل واصف باهتزاز: "هل نجا؟".

قال عبد الرحمن ببشر: "نعم، لقد استطاعوا إذابة الجلطة دون أن تترك أثراَ والحمد لله، الطبيب أخبرنا بأننا أحضرناه بالوقت المناسب تمامًا لإنقاذه"، ثم ربت على كفه ليقول بابتسامة ودودة: "لا أستطيع إيفائك حقك سيد واصف، عندما حكت لي ضحى وقفتك ومساعدتك لها بهذه الظروف".

نهض واصف من مكانه ومازال يهتز بداخله: "حسناً، يمكنني الرحيل الآن فقد اطمأننت عليهما".

نظر له عبد الرحمن بشكر: "نشكرك ونتأسف لتأخيرك معنا هنا".

قال واصف بهدوء: "لا تشكرني، اشكر الله أن جعلني أسأل عنه بالوقت المناسب"، ثم نظر نحو ضحى الواقفة على مسافة قريبة تنظر نحوه بامتنان لتهمس له من بين شفتيها المغلقتين: "أشكرك".

ظل ينظر نحوها بصمت متألم ثم استدار وهو يقول بهدوء: "سأغادر الآن وبالغد سأعود لأطمئن على السيد سيف الدين".

سار معه عبد الرحمن بضع خطوات وهو يقول بأدب: "يمكنك المجيء بأي وقت تريد، نحن مسروران لمعرفتك".

ابتسم واصف بهدوء ثم سار مبتعدًا، وكأنه كان يريد الهرب من حالته البائسة التي تملكت روحه، وأزهقتها.

* * *

رنين هاتف ضحى الهادئ كان غير مسموع لها، فقد كانت تتحدث مع عبد الرحمن تحكي له كيف أنقذ ذلك الغريب بسؤاله عن والدها حياته، كانت تغفل التفاصيل الخاصة بمعرفتها به عن عمد، فلم تجد داعٍ لذكرها.

أمسك ساجد هاتفها ليناديها بصوت خافت: "ضحى.. هاتفك يرن حتى كادت روحه أن تزهق"، ثم ودون قصد منه نظر إلى شاشته ليخفق قلبه بعنف، فقد كان يحفظ الرقم المتصل عن ظهر قلب لكنه دفع الهاتف نحو ضحى قبل أن يتهور ويجيب على المتصل.

أمسكت ضحى هاتفها لتنظر للرقم بحيرة، ثم ترفع الهاتف لأذنها تجيب بهدوء: "السلام عليكم، من معي؟".

أجابها صوت أنثوي رقيق يتكلم بإحراج: "وعليكم السلام، أنت ضحى سيف الدين؟ أنا وسن"، ثم تنحنحت بحرج لتكمل: "الفتاة التي أوصلت لها الكتب ذات يوم".

قالت ضحى بتعجب: "نعم تذكرتك، كيف حالك يا وسن؟".

قالت وسن: "آسفة لاتصالي بوقت متأخر لكني علمت أن والدك مريض فأحببت أن أطمئن عليه".

رمقت ضحى ساجد بخبث لترفع حاجبًا متفهمًا قائلة: "نعم لقد كان مريضًا والحمد لله قد تحسن الآن وسيظل بالمشفى عدة أيام حتى يطمئن الأطباء على فحوصاته".

قالت وسن بأدب: "حمدًا لله على سلامته، لا بأس عليه، إذا أردتِ مني شيئًا فلا تصابي بالحرج، اعتبريني أختًا لك".

قالت ضحى بجدية: "أشكرك على سؤالك على والدي يا وسن، بالطبع سأعتبرك أختًا لي ولن أصاب بالحرج منك".

قالت وسن وهي مازالت تشعر بالحرج: "حسنًا، إلى اللقاء، سأحدثك غدًا لأطمئن عليه مرة أخرى"، ثم أنهت المكالمة.

نظرت ضحى نحو ساجد لتجده يرمقها بنظرات خفية وكأنه يحاول معرفة سر تلك المكالمة الغريبة بينهما، إذ لم تذكر أيا منهما مدى معرفتهما ببعض أمامه.

لكنها تبسمت بهدوء ولم ترض فضوله لتعود لتتحدث مع عبد الرحمن مرة أخرى بينما ساجد يكاد أن يجن.

وبعد فترة طويلة من احتراقه مالت ضحى نحوه خفية لتقول بواقعية: " ستتصل غدًا، لكني أعلم بأنك لن تنتظر مكالمتها لي، تبدو فتاة راقية يا ساجد، هنيئًا لك".

عقد حاجبيه بشك ليقول لها بهمس: "ماذا تعرفين عن مدى تطور علاقتي بها؟".

قالت بهمس: "لا أعلم أكثر مما أخبرتني أنت به، لكن حدث الأنثى لدي يخبرني بأكثر من ذلك".

تدخل عبد الرحمن دون أن يلمح همسهما الخفي: "ساجد.. يمكنك الذهاب لبيتك الآن، فالطبيب لن يدعنا نراه الليلة وأنت لديك عمل بالغد".

نهض ساجد بتكاسل ليقول بجدية: "لا أريد تركك يا عبد الرحمن، ربما أوصل ضحى للبيت وأعود للجلوس معك".

قالت ضحى باستنكار: "لا، لن أذهب للبيت دون أن يكون هو معنا، لا أستطيع".

قال عبد الرحمن بصوت ناهر: "ضحى، كفي عن طفوليتك تلك لقد أصبح بخير ولله الحمد، يمكنك الذهاب للبيت لتنامي وتأتين صباحًا قبل أن يستيقظ".

قالت ضحى بعصبية: "لن أرحل يا عبد الرحمن، يمكنك الذهاب أنت إن شئت".

تدخل ساجد قائلًا: "حسنًا، لا داعي للخلاف سأرحل أنا الآن وأعود بالغد".

ثم التفت نحو عبد الرحمن قائلًا: "لكن إذا احتجت شيئًا ما فاتصل بي ولا تتأخر".

أخرج مفتاح سيارته من جيبه ليضعه أمام عبد الرحمن قائلًا: "هذا مفتاح سيارتي إذا احتجتها للتحرك بها، غدًا سوف أحضر سيارتك من عند الميكانيكي وآخذ سيارتي".

دفع عبد الرحمن المفتاح لساجد قائلًا: "وما حاجتي إليها؟ أنا لن أتحرك الليلة من هنا، يمكنك أخذها وسوف أتصل بك إذا ما احتجت شيئًا ما".

أمسك ساجد المفاتيح بيده ليقول بخفوت: "وهو كذلك، سأمر بالغد صباحًا"، ثم استدار ليذهب، عقله منشغل بحالة سيف الدين بينما قلبه قد غادره إليها، رافض العودة.

* * *

لم يعد واصف للمنزل إلا بعد أن انتصف الليل بفترة، وجد وسن تجلس على مائدة الطعام تنتظره بينما يعصف بها القلق، تضع هاتفها أمام عينيها وكأنها تناجيه أن يخبرها بسلامته.

حين رأته نظرت له بقلق قائلة بهدوء ظاهري: "هل صديقك أصبح بخير؟".

هز رأسه بالإيجاب، ثم تقدم ليسحب كرسيًا يرتمي عليه بجوارها دون أن ينطق، نظرت نحوه بقلق ترى شحوبه الهائل، واحمرار بياض عينيه، بينما أنفاسه تخبرها بأنه قد تناول ما يقرب الدرزينة من السجائر.

مدت يدها تلمس يده بقلق وتقول بخفوت: "هل اطمأننت عليه؟".

قال بألم: "نعم أصبح بخير".

قالت بقلق متصاعد: "إذن، لماذا أراك بتلك الحالة؟".

قال بتعب: "أي حالة؟ أنا بخير".

قالت وسن بخوف: "أشعر أنك متألم وضائع، هل تذكرت والدنا؟".

نظر نحوها بعينين مخيفتين من كثرة احتقانهما ليقول بإجهاد حزين: "لقد تذكرت كل من رحل، أشعر أني مريض".

ثم استلقى برأسه على المائدة وكأنه لم يعد يتحمل ثقل رأسه على كتفه، نهضت وسن من مقعدها لتربت على كتفه قائلة بأسى: "هون عليك يا واصف، لقد رحل من رحل وهذا قضاء الله، الحزن لن يغير من الواقع شيئًا"، ثم أمسكت ذراعه لتقول بهدوء: "هيا دعني أساعدك لتستلق على فراشك فشكلك يبدو متعباً بشدة".

قام بتراخي متكئًا عليها لتدخله غرفته فيستلقي على فراشه دون أن يخلع ملابسه.

أحضرت له وسن ملابس نظيفة وقالت بهدوء: "سأذهب لأعد لك مشروبًا ساخنًا ريثما تبدل ملابسك، فرائحتها بشعة"، ثم أغلقت الباب خلفها تاركة إياه بالغرفة وحيدًا.

ما إن خرجت من الغرفة حتى قام بتراخي ليبدل ملابسه ويلقى المتسخة على الأرض دون اكتراث، ثم يلقي بنفسه على الفراش مرة أخرى لينقلب على بطنه ويضع الوسادة فوق رأسه عله يستريح.

بعد مضي ربع ساعة عادت وسن بالمشروب الساخن لتجد أنه قد استغرق بالنوم سريعًا وكأنه تعب من حمله الذي أرقه طويلًا، فما حدث الليلة يبدو وكأنه قد قلب عليه أوجاعه وسلط عليه أشباحه.

لملمت الملابس المتسخة من الأرض، ثم خرجت من الغرفة بهدوء لتغلق الباب خلفها تاركة واصف وهي تظن بأنه قد غرق بالنوم، لكنها لم تفطن بأن أوجاع نفسه قد ابتلعته من جديد، فلم يستطع سوى الهروب بتصنع النوم، عله يرتاح.

* * *

استيقظت وسن على صوت إغلاق باب الشقة، انتفضت من فراشها لتقف بسرعة وقد خفق قلبها من الخوف نظرت نحو الساعة لتجد أن الوقت فجر.

أسرعت للخارج فلم تجد أحدًا بالصالة، جرت إلى غرفة واصف لتجدها خالية، حينها انهارت ركبتاها فلم تتحملاها لتسقط على فراشه بوهن، أمسكت هاتفها لتتصل به بقلق وعندما أجاب على اتصالها سألته بقلق: "واصف أين أنت؟".

جاءها رده الهادئ: "لقد نزلت لصلاة الفجر".

عقدت حاجبيها لتقول بدهشة: "صلاة الفجر بالمسجد، ما الذي ذكرك؟".

أجاب بنفس الهدوء: "لم أنم فقررت النزول للمسجد، هل أعود؟".

أسرعت لتجيب: "لا، لا تأت، أردت الاطمئنان عليك ليس إلا"، ثم أنهت المكالمة وهي تحك جبهتها بقوة قائلة: "الهادي هو الله".

نهضت بعد أن تمالكت نفسها لتخرج من الغرفة ذاهبة إلى الحمام لتتوضأ أيضًا وتصلي الفجر، فقد كانت

معتادة على الاستيقاظ دومًا لأدائه بوقته، تشعر بالراحة لذلك.

* * *

كانت وسن تتحدث مع السيدة ليلى عقب انتهاء العمال من وضع آخر قطع الأثاث بأماكنها.

قالت السيدة ليلى: " أخيراً انتهينا، لقد شعرت بالملل والتعب من كل هؤلاء العمال".

نظرت وسن نحوها وعلى شفتيها ابتسامة دبلوماسية بينما كانت بداخلها على وشك أن تسمعها كلامًا غير لطيف بالمرة، ثم قالت بكياسة: "مبارك لكم سيدة ليلى، جعلها الله بداية حياة سعيدة لابنك".

قالت السيدة ليلى: "بالرغم إني لا أحب الانشغال بتلك الأعمال كثيراً، إلا إنك والحق يقال قد أعجبتني بطريقة عملك وتنفيذه ليخرج على الوجه الأكمل، لذلك أفكر بأنك ربما تودين أن تلقي نظرة على الحديقة الخارجية كي تعطيني أفكارًا ببعض التعديلات عليها".

تنهدت وسن بداخلها بضيق لتقول بدبلوماسيتها المعتادة: "ربما أعود لكِ مرة أخرى الأسبوع القادم سيدة ليلى، فاليوم وقتي ضيق، لدي صديق بالمشفى وأريد المرور عليه قبل انتهاء موعد الزيارة".

هزت السيدة ليلى رأسها لتقول بترفع: "وهو كذلك، سأنتظرك الاثنين المقبل".

صافحتها وسن بأدب قائلة: "حسنًا، سأحضر بالموعد وربما طلبت أن أرى المكان بعد تنظيفه ووضع التحف بأماكنها الصحيحة، فأنا متشوقة لرؤية الشكل النهائي وربما أحصل على بعض اللقطات للاحتفاظ بها للذكرى".

قالت السيدة ليلى: "يمكنك فعل ما تريدين حين تأتين، سأنتظرك بعد العصر فلا أريد الاستيقاظ مبكرًا".

أومأت وسن برأسها بالإيجاب قائلة: "اتفقنا، سأحضر كما تريدين، الآن أعتذر منك، إلى اللقاء"، ثم خرجت من المكان لتركب سيارتها دون أن تدري بأنها قد أخذت موعدًا لهلاكها، موعد مع الشيطان!

* * *

حين وصلت وسن أخيرًا إلى المستشفى الذي يحتجز به سيف الدين كانت مرهقة بحق، فقد كان الطريق مغلقًا لوجود حادث مما اضطرها لتسلك طريقًا أطول للوصول، ناهيك عن اضطرابها الطبيعي من جو المستشفيات والذي ما تزال تعاني منه بالرغم من جلسات علاجها النفسي الناجحة إلى حد ما وعدم حصولها على كفايتها من النوم ليلة أمس.

صعدت نحو المكان الذي توجد به العناية المركزة، وعندما شعرت بأنها ضلت الطريق سارت نحو إحدى الممرضات لتسألها عن مكان وجودها.

أشارت الممرضة للمكان وهي تصف لوسن ببشاشة كيف تصل هناك.

شكرتها وسن ثم استدارت لتسلك الممر الذي وصفته لها الممرضة وعندما اقتربت تسمرت مكانها فقد وجدت آخر شخص تتوقع وجوده هنا.

كان ساجد يجلس على مقعد قريب من فتاة تعطيها ظهرها بينما يميل نحو الفتاة ضاحكًا وجهه يشع بالفرح بشكل لم تألفه من قبل، وضعت يدها على قلبها الذيِ فقد دقة من دقاته بفعل الصدمة، فلم تتوقع أبدًا أن تراه قريبا هكذا من أي فتاة.

قررت الانسحاب خفية دون أن يراها، وعندما كانت تنوي الاستدارة رفع عينيه لتلتقي نظراتها المصدومة به، ماتت الابتسامة على شفتيه وهو يراها من هذا البعد تقف كتمثال جامد وتضع يدها على قلبها، قفز من مكانه ليهتف بصدمة: "وسن؟".

أفاقت من صدمتها ليتقافز قلبها بجنون كعادته مؤخرًا، وقبل أن تستطيع التفكير استدارت على عقبيها وانطلقت تجري كالمجنونة.

سمعت صوته ينادي خلفها بقوة: "وسن انتظري.. ما بكِ؟".

لم تجبه، لم تكن تجرؤ على التوقف من الأساس، فقد شعرت ببوادر نوبة الهلع التي تنتابها وصارت تعرف أعراضها قبل أن تبدأ،

لذلك كانت تريد أن تختبئ مِكان ما لتستطيع السيطرة على نفسها وتعاطي دوائها الذي كتبه لها الطبيب.

وحينها قررت أنها لن تنتظر المصعد وستستخدم الدرج، انطلقت نحو الدرج تقفز كل درجتين معًا، لكن لسوء حظها خذلتها قدماها فانهارت من تحتها لتسقط بعنف.

وجدت من يحملها من تحت ذراعها ليجعلها تستقيم وتجلس على الدرج بينما صوته الغاضب يقول بقلق: "هل أنتِ بخير؟ هل تأذيتِ؟".

أمسكت قلبها بينما تغمض عينيها لاهثة محمرة الوجه، أمسك رسغها يستشعر نبضها ليقول بقلق: "ضربات قلبك عنيفة، هل تمرين بإحدى نوبات الهلع؟".

لم تفكر حتى بالرد، كانت تحاول أن تأخذ شهيقًا عميقًا ثم تخرجه زفيراً ببطء، ظل مِسك يديها بقلق يرى ما تفعله دون أن يعلق.

فقد أخبره الطبيب بطريقة التعامل مع تلك الحالة عندما زاره ذلك اليوم ليسأله بخصوص نوبات الهلع، كان يهمس لها وهو يجلس بجوارها على الأرض: "اهدئي، أنا هنا بجوارك، لن أدعك تصابين بسوء، اهدئي الآن".

وكأن كلماته السحرية تلك قد أتت بثمارها إذ بدأ نبضها يقل بالتدريج تحت إصبعه المتحسس لنبضها، مالت نحو حقيبتها لتخرج حبة من دوائها وزجاجة مياه صغيرة، فتناولت حبة الدواء ثم عادت لتستند للجدار وتغمض عينيها مرة أخرى.

ظلت هكذا لعشر دقائق، مال نحوها يهمس بقلق: "وسن.. افتحي عينيك".

حينها فتحت عينيها ليرتد رأسه للخلف محدقًا بدهشة للشراسة المرتسمة بها، سأل بتوتر: "ما بكِ؟ هل تتألمين؟".

سحبت يدها بعنف من يديه لتقول بصوت جاف: "لا، لا أتألم، ابتعد، دعني أقف".

قال بدهشة: "تبدين مختلفة، ماذا حدث لكِ؟".

قالت بجنون: "لم يحدث شيء، لم يحدث شيء سوى أني أشعر بالإذلال كل مرة أسقط بها أمامك، أرأيت؟ تتبعني كظلي فأصبح مكشوفة لك بالكامل بكل نقاط ضعفي وحرجي".

قال بتوتر: "بماذا تخرفين الآن؟ وسن، لم يحدث ما يذلك لتفعلي كل ذلك، أنا لا أدري حقًا سبب غضبك هكذا".

دفعته لتحاول الوقوف مستندة على الجدار قائلة بعنف: "حسنًا أنا مجنونة وتنتابني نوبات هلع ونوبات عنف أيضًا، ابتعد عني من الأفضل لك فربما أقتلك ذات مرة، هيا، عد لتلك الفتاة التي كنت تمازحها قبل أن آتي وأنغص عليك حياتك بكل الكآبة المحيطة بي"، قالتها لتدب بقدمها على الأرض بعنف فتصرخ بقوة: "آآآآه، لتعود وتسقط من جديد وقد احمر وجهها بينما تجمعت الدموع بكثافة بين مقلتي عينيها".

أمسكها بقوة قبل أن تسقط أرضًا وهو يهتف: "حاذري"، ثم أجلسها برفق ليميل يتطلع إلى كاحلها الذي يؤلمها ويقول بهدوء: "ستحتاجين لرؤية طبيب بخصوص كاحلك، فربما التوى".

قالت بألم وقد خذلتها دموعها فبدأت بالتجمع بمقلتيها تنذر بالهطول: "اذهب أنت، سأصبح بخير".

قال بضيق: " وسن، لا تكوني طفلة، هيا معي لندع طبيباَ يفحص كاحلك قبل أن يتورم".

لكن قبل أن ترد سمعت صوتًا أنثويًا قلقًا يهتف من خلفهما: "ساجد.. هل كل شيء على ما يرام؟ لقد أقلقتني".

عادت عيناها لتتوحش من جديد وهي ترمقه بنظرة شريرة، ثم ترفع رأسها نحو الفتاة لتصاب بالدهشة،

فقد كانت تعرف تلك الفتاة!

الفصل الثاني عشر

تطفو بهدوء في سماء لا متناهية لكن ذلك الصوت اللجوج القلق أخرجها من طفوها الحالم لتسمعه يهتف بجوار أذنها: "وسن.. استيقظي، هل أنتِ بخير؟".

لم ترد لأول وهلة واكتفت بأن عقدت حاجبيها وأحكمت إغلاق عينيها بقوة، لكنه لم ييأس إذ مد يده يطرق بأصابعه على فكها قائلًا بإلحاح: "وسن، وسن.. هل أنتِ مستيقظة؟".

مدت يدها فجأة لتقبض على إصبعه وهي تفتح عينيها بقوة عابسة لتقذف يده بعيدًا عن وجهها قائلة بضيق: "من أنت.. أليس لديك أهل يسألون عنك؟".

تنهد ليقول بقلق: "الحمد لله إنك بخير، لقد قلقت".

اعتدلت بالفراش فأحست بدوار خفيف يتملكها، أغمضت عينيها مرة أخرى حتى يزول تأثيره بينما تهتف بحنق: "أنت خانق بالمناسبة".

قال بإقرار: "أعلم، لقد قيلت لي من قبل".

فتحت عينيها بقوة لتقول: "إذن أنت تعلم بأنك خانق ومازلت تصر على انتهاج ذات الطريق، يستحسن أن تبدأ بالتغيير فهذا أفضل لصحتك ولصحة من تخنقهم".

هز كتفيه ببساطة ليقول: "لا أستطيع إلا أن أكون هكذا، أهتم بكل من يحيطون بي وبشدة، هذه شخصيتي التي نَمت معي".

صمتت لتنظر نحوه قليلًا، ثم نظرت حولها لتقول بهدوء حذر: "أين واصف؟.. وماذا تفعل أنت هنا بالمناسبة؟".

سأل ساجد باستهجان: "هل علمتِ بحضور واصف؟ ألم تكوني نائمة أو ما شابه؟".

عادت لتنظر نحوه قائلة بضيق: "كنت تحت تأثير مسكن للألم قوي أصابني بالخدر فقط، لم أكن ميتة أو مصابة بالإغماء"، ثم مالت نحوه قائلة بزفرة في وجهه: "وكنت مستمتعة بالمناسبة حتى قرر أحدهم أن يقلق لسبب غير معلوم فيوقظني منها".

قال ببساطة: "لقد قلقت لأن الممرضة أخبرتني بأنك لن تنامي، ففكرت أنك ربما تكونين مصابة بالإغماء".

أدارت وجهها لتقول بضيق: "لم أنت هنا؟.. أليس لديك أقارب آخرون محتجزون هنا؟ ثم ماذا تفعل في غرفتي، من سمح لك بالدخول، ألا تعرف أن هذا لا يصح؟".

قال بنفس بساطته: "لا، ليس لدي أقارب هنا فقط أصدقاء بمثابة العائلة، ثم إني بالفعل أعلم أنه لا يصح وجودي هنا لكني كنت أريد أن أطمئن عليك، استأذنت واصف أخيك فسمح لي بخمس دقائق ريثما يطمئن على السيد سيف".

قالت بحيرة: "كيف تصادف أنه يعرفهم؟ فلقد كانت أول مرة يرى ضحى عندما جاءت لمنزلنا".

صمت مفكرًا في حديث واصف معه منذ قليل وهو يخبره بأنه سيدعه يتحدث مع وسن قليلًا كي يطمئن على أحوال السيد سيف

الدين لأنه مضطر للرحيل سريعًا ما إن تستفيق وسن، لكنه قال بحيرة مشابهة لحيرتها: "لست أعلم كيف يعرفهم! لكن ما أعرفه أنه هو من أنقذ حياة والدها بالأمس، إذ يبدو أنهم أصدقاء".

هزت رأسها دون معنى معين وقد تعقد تفكيرها بسبب كل تلك الصدف غير المنطقية بالنسبة إليها ثم عادت لتعتدل وكأنها تهم بالهبوط من الفراش فاعتدل بقلق قائلًا: "أين تذهبين؟".

قالت بهدوء: "هلا تركت لي مساحة من الخصوصية؟ أريد أن أبدل ملابسي فقد اتصلت بهديل لتأتي وتقلني من هنا، ثم إنني قد جئت للاطمئنان على والد ضحى لا لأستلقي بفراش المرض".

نظر نحو قدمها بقلق ليقول: "لكن قدمك!".

قالت بهدوء: "قدمي بخير، فقد طمأنني الطبيب بأنه مجرد التواء بسيط سيزول ألمه بالمسكنات ووضع الرباط الضاغط".

قال باعتراض: "لكن...".

لكنها قالت بتأفف وبعض التذمر: "ساجد.. مساحة من الخصوصية لن تقتلني، أرجوووك".

نهض من مقعده ينظر لها من علو، ثم وضع يده بجيبه ليستدير قائلًا بهدوء: "خذي مساحتك للمدة التي تبدلين بها ملابسك فقط.. سأنتظر بالخارج"، قالها واستدار للخارج مغلقًا الباب خلفه.

تأففت وسن وهي تعتدل لتهبط من الفراش قائلة بحنق: "كان الله بعوني، إن ظل هكذا سأختنق".

* * *

طرقات على باب غرفتها جعلتها تزفر بضيق وهي تعدل من وضع فستانها، رفعت وجهها لتقول بصوت مغتاظ: "قلت مساحة من الخصوصية ولم أقل خمس دقائق".

فتح الباب لتطل هديل برأسها قائلة بمرح: "أعتقد أن هذا الكلام غير موجه لي".

تنهدت وسن بفرح قائلة: "يا إلهي ظننتك هو".

دخلت هديل وأغلقت الباب خلفها لتقول بهمس متآمر: "نعم فهمت، يقف كأحد أسدي قصر النيل يحرس بابك بالخارج، كان على وشك أخذ بصماتي للتأكد من هويتي".

ضحكت وسن من قلبها قائلة: "سيقتلني، أشعر وأنه يحتكر مساحتى الخاصة لنفسه".

نظرت هديل نحو قدمها عاقدة حاجبيها بحيرة لتسألها: "احكي لي ما حدث، فلم أفهم سبب وجودك هنا بالأساس".

تنحنحت وسن بإحراج قائلة: "إنها قصة يطول شرحها ملخصها كنت آتية لزيارة صديقة والدها محتجز بالمشفى حين سقطت على الدرج".

عقدت هديل حاجبيها بعدم فهم قائلة: "وما سبب وجود عريس الغفلة هنا؟".

ضربتها وسن في كتفها قائلة بعبوس: "أخبرتك أنها قصة معقدة، ستفهمين السبب بعد قليل".

قالتها لتمسك هديل من كفها تستند عليها لتتجه نحو الباب.

حين خرجتا من الباب توقفتا تنظران لساجد المحدق نحو الباب بقلق، قالت وسن بغيظ: "هل ستظل تحرس الغرفة طوال اليوم؟ دعنا نذهب لرؤية السيد سيف".

هز رأسه بالموافقة في صمت ثم سار أمامهما ينظر بين الحين والآخر ليتأكد أن وسن تتبعه دون أن تتألم، همست هديل من بين ابتسامتها الخبيثة: "السيد المدير الولهان".

لكزتها وسن قائلة بحنق: "اخرسي ياهديل، ليس هذا وقت مزاحك السخيف".

كتمت هديل ضحكتها الخبيثة بصعوبة حتى وصوا إلى باب الغرفة التي يحتجز بها السيد سيف.

طرقت وسن الباب بأدب لكن ساجد اندفع من خلفها ليفتح الباب قائلًا بصوت مرتفع: "لديكم زائران هنا"، ثم دخل مشيرًا لوسن أن تتبعه، دلفت وسن تتبعها هديل بصمت بينما يغزو الاحمرار وجنتيهما من حرج الموقف، إذ حين دخولهما ارتفعت نحوهما ثمانية أزواج من العيون المتباينة الألوان تنظر إليهما بفضول.

قالت وسن بصوت مهتز: "السلام عليكم".

أسرعت ضحى نحوها لتصافحها قائلة ببشاشة: "هل أصبحتِ بخير الآن؟ لقد كنت أنتظرك".

قالت وسن بخجل: "نعم.. قدمي أصبحت بخير، شاكرة لك سؤالك، لقد أتيت لرؤية والدك والاطمئنان عليه".

تبسمت ضحى لتمسكها من ذراعها قائلة: "لقد شرفتني بزيارتك يا وسن، أنا بالفعل مسرورة لوجودك وآسفة لما حدث لقدمك"، ثم اتجهت نحو والدها قائلة بمحبة: "والدي.. هذه وسن جاءت تطمئن عليك".

هز والدها الشاحب الوجه رأسه بتعب قائلًا: "نعم، أخبرتني عن حضورها منذ فترة".

تقدمت وسن نحو الفراش لتقول بأدب: "سلمك الله من كل شر يا سيد سيف، أتمنى لك الشفاء العاجل".

ثم رفعت وجهها لتنظر نحو الجهة الأخرى حيث يجلس واصف وبجانبه يقف عبد الرحمن متنبهًا ينظر للجهة الأخرى نحو الباب.

قالت بابتسامة باهتة: "ألف سلامة للسيد الوالد سيد عبد الرحمن".

نظر نحوها عبد الرحمن ليرد عليها بكلمات غير مفهومة بينما يرفع عينيه مرة أخرى لينظر للجهة التي تقف بها هديل، وكأنه يتأكد أنها بالفعل موجودة وليست شبحًا، نظرت وسن لواصف لتغمز له بخفة دون أن يلاحظ غمزتها أحد، لكن واصف اكتفى بأن نهض من مقعده قائلًا: "لقد سعدت برؤيتك تتعافى سيد سيف، أتمنى أن أراك بخير دائمًا".

التفت نحوه السيد سيف قائلًا بوهن: "ابق قليلًا يا واصف فلم أشكرك بعد".

اكتفى واصف بأن قال بأدب: "لا تشكرني سيد سيف فقد كانت عناية الله هي السبب"، ثم نظر نحو وسن قائلًا بهدوء: "سلامة قدمك يا وسن، لقد بقيت حتى اطمأننت عليكِ قبل أن آتي إلى هنا".

تبسمت وسن ابتسامة باهتة قائلة: "أعرف يا واصف ، فقد سمعت صوتك".

قال لها وهو يدور حول الفراش ليمد يده فيمسكها من ذراعها: "هيا لأوصلك للمنزل".

قالت بنفي: "لقد حضرت هديل لتقلني لأن معي سيارتي ولم أشأ تركها هنا"، ثم أشارت لهديل قائلة بابتسامة صافية تقدمها للجميع: "هذه هديل صديقتي المقربة".

نظر نحوها الجميع فتقلصت ملامحها بالخجل بينما احمرت وجنتاها البيضاء بشدة، قالت ضحى لتكسر حاجز الخجل: "مرحبًا هديل، كيف هي أحوالك؟".

ردت هديل بأدب: "أنا بخير، أشكرك".

اقترب عبد الرحمن قائلًا بترحاب: "مرحبًا آنسة هديل، شرفتنا بزيارتك".

ردت بخفوت دون أن تنظر له: "لي الشرف سيد عبد الرحمن"، ثم نظرت جهة السيد سيف لتقول بأدب: "سلامتك سيدي، شفاك الله".

تنحنحت وسن لتنهي اللقاء قائلة بأدب: "أظن أن علينا الرحيل الآن، نستأذنكم".

تقدمت ضحى خطوتان قائلة بود: "لم لا تجلسين معنا قليلًا حتى نتعارف بشكل قوي".

قالت وسن بأدب: "ليس الوقت مناسبَا لذلك الآن، فوالدك مازال مريضًا بفترة التعافي ولا نريد أن نثقل عليه".

قالت ضحى وكأنما أسقط بيديها: "نعم معك حق، لكن عديني أن تتكرر زيارتك مرة أخرى ولا أقصد هنا، أقصد أن نزيد تعارفنا بلقائنا خارجًا".

هزت وسن رأسها قائلة بهدوء: "نعم، سيحدث بإذن الله"، ثم التفتت نحو هديل لتتمسك بذراعها مرة أخرى لتخرجا من الغرفة بهدوء تشيعهم نفس النظرات المتباينة.

مالت هديل على وسن قائلة بمزاح: "أراهنك بأنه سيخرج خلفنا الآن".

قالت وسن بتساؤل: "من؟".

غمزتها هديل قائلة: "عُلقتك الممتصة".

قالت وسن بتقزز: "أنت مقرفة، اصمتي قبل أن أتقيأ عليك".

هنا سمعت الاثنتان صوت ساجد خلفهما قائلًا بهدوء: "وسن.. هل أنتِ مصرة على الذهاب، ابق حتى يطمئن الطبيب على قدمك".

ضجت هديل بالضحكات المكتومة حتى كادت أن تشرق بها بينما كتمت وسن ضحكتها لتلتفت قائلة بأدب: "لا يا سيد ساجد، أنا بخير وقدمي بخير، فقط أريد أن أذهب للمنزل كي أرتاح قليلًا".

ظهر خلفه واصف يتبعه عبد الرحمن الذي كان يقف ليبادله الوداع قبل أن يغادرهم هو الآخر لكن عينيه كانت مثبتة على ظهر هديل التي لم تلتفت نحوهم إلى الآن.

هنا قرر التحدث، فقال بصوته العميق: "يؤسفني ما حدث لقدمك آنسة وسن، لم يكن هناك من داعٍ أن تكلفي نفسك عناء زيارتنا"، ثم ربت على كتف أخيها قائلًا: "يكفي وقفة واصف بجانبنا وتعطيله لمصالحه بسبب ما حدث".

قالت وسن بابتسامة مجاملة: "كان من دواعي سروري التعرف بكم سيد عبد الرحمن، وأكرر أسفي لما حدث لوالدك وتمنياتي له بالشفاء العاجل"، ثم لكزت هديل الصامتة إلى الآن لتقول بهمس: "تحدثي، لا تكوني قليلة الذوق".

التفتت هديل لتقول بصوت متماسك: "يؤسفني ما حدث لوالدك أتمنى أن يتم الله شفاءه بخير".

رمقها عبد الرحمن وعلى فمه شبح ابتسامة ليقول: "أشكرك آنسة هديل على تمنياتك وعلى كل شيء"، ثم تابع بهدوء بجملة لم تفهمها غيرها هي ووسن: "أتمنى أن يكون فضولك قد تحسن الآن".

لم تعلق هديل على كلامه لتسحب وسن بخفيه قائلة: "هيا الآن".

تنحنحت وسن لتقول بأدب بينما تقاوم ضحكاتها على كلام عبد الرحمن الموجه لهديل: "أستأذنكم الآن"،

ثم استدارت لتسير ترمق هديل ذات الوجه الغامض بنظرات متسلية، التفتت للخلف لتجد أن واصف يسير خلفها بينما ساجد مازال واقفًا بمكانه يضع كفيه داخل جيبه يتابعهم بنظرة مظلمة.

قالت وسن لواصف: "هل ستذهب للمنزل؟".

توقف ينظر لها باهتمام متسائلًا: "أخبريني كيف هي قدمك؟".

ردت بإيجاز: "بخير الحمد لله".

سأل بقلق: "هل ستظلين بالمنزل وحدك أم ستذهبين معها؟"، قالها وهو يلتفت برأسه يسأل هديل باهتمام لكن هديل قالت ببساطة: "سأذهب معها، لقد كنت أنام معها بالماضي أيضًا".

تبسم واصف من ردها المبطن بالشكوى لوجوده قائلًا: "إذن ربما أستغل كرمك مع أختي لأنهي بعض الأعمال المتعطلة لدي وحين تفكرين بالذهاب لمنزلك كل ما عليكم هو الاتصال بي كي أعود للمنزل".

قالت وسن بجدية: "لا تهتم يا واصف، انه أعمالك ولا تشغل بالك بي أو بهديل، سنتصرف كما اعتدنا دائمًا".

نظر نحوها بابتسامة حزينة، ثم مال ليقبلها على وجنتها بسابقة غير معتادة ليقول بحب: "سأعود سريعًا، فلدي حديث طويل معك".

خرج ثلاثتهم من المشفى ليستقل واصف سيارته، بينما تتجه وسن مع هديل إلى سيارة الأولى حيث احتلت هديل مقعد السائق وركبت بجوارها وسن.

انطلقت السيارة في صمت مطبق يغلف الأجواء، فلم تكن أي منهما على استعداد لتبادل الحوار.

* * *

حين رحلت هديل بإصرار من وسن لم يكن واصف قد عاد بعد، لم تهاتفه وسن كي لا تضغط عليه فيعود للبيت وتضايقه أو تثقل عليه.

استلقت على فراشها تنظر لسقف الحجرة بهدوء تعيد حساباتها، كان غضبها قد هدأ قليلًا نحو ساجد إذ أثبت لها أنه مازال يهتم بها لكنها لم تستطع أن تقتل ذلك الشعور بالقلق والذي كان يسيطر على مشاعرها أحيانًا.

أخذت تستعيد في ذهنها حوارها منذ قليل مع هديل حينما قالت لها بالنص: "لا أظن أن شخص مثل ساجد لا يستحق التجربة، رؤيتي الشخصية المتواضعة له تجعلني أقر بأنه يستحق أن تكملي معه لباقي العمر، جربي ووافقي يا وسن، لن تخسري شيئًا".

في قرارة نفسها كانت تعلم أن هديل على حق، كانت تعرف أن ساجد يستحق أن تمنحه ثقتها، لكن، هل هي تستحق؟

حين انتابها الضيق من كثرة التفكير قالت برجاء: "يارب وجهني للخير فأنا لا أستطيع اتخاذ قراري بعد".

انقلبت على جانبها واضعة يدها تحت خدها تحاول أن تغفو قليلًا، فقد بدأ مفعول المسكن يزول وبدأت تستشعر الألم بشكل جزئي.

لكن صوت وصول رسالة إلى هاتفها أخرجها من حالة الاضطراب النفسي الذي بدأ ينتابها جراء التفكير الذهني المرهق لها.

أمسكت الهاتف لتنظر ممن الرسالة، كان ساجد هو المرسل، قرأت الرسالة بعينيها لكنها شعرت بأن ذهنها مشتت فلم تستوعب فحواها، عادت لتقرأها مرة أخرى بصوت أعلى حتى يغطي على تفكيرها القلق: "كيف حال قدمك الآن؟ كنت أريد الاتصال بكِ لكني خشيت أن أوقظك إذا ما كنتِ نائمة، أريد أن أطمئن، هل أهاتفك؟".

نظرت نحو هاتفها متبلدة التفكير سائلة نفسها بعدم فهم: "هل كل ما فكرت بشيء يخصه يقفز أمام وجهي أو بهاتفي؟".

لكن صوت رنين الهاتف ارتفع في جو الغرفة ليوقظها من تساؤلها الشارد، دون تفكير منها قبلت المكالمة.

قالت بصوت يغلب عليه الاضطراب: "نعم قدمي بخير، لم اتصلت؟ كنت سأرسل لك رسالة بالرد".

قال بلطف: "أردت أن أرسلها للتأكد من استيقاظك فقط، فلا معنى لأن تكوني مستيقظة ولا أسمع صوتك".

صمتت دون أن تجيب، فكيف تجيب على كلامه المعسول ذاك بينما هي تعاني الأمرين من قلقها واضطرابها.

قال حين لم يسمع ردها: "وسن، هل ما زلتِ تخجلين مني؟".

قالت بتوتر: "ولِمَ أخجل؟ لم تقل ما يضايقني".

جاء دوره ليصمت قليلًا، ثم عاد وتكلم بصوت خرج محملًا بالعاطفة: "ولا أستطيع أن أفعلها، أنتظر لما بعد عقد القران".

قالت بغباء: "أيّ عقد قران؟".

رد عليها بتأكيد: "عقد قراننا يا وسن، ألم يخبرك واصف؟".

هبت من فراشها لتجلس بعنف تضغط الهاتف على أذنها بشدة كأنها ستؤكد سماعها لما قال بتلك الطريقة لتقول بصوت حاد: "قلت عقد قراننا؟ ومن الذي أوحى لك بتلك الفكرة، أنا حتى لم أوافق بالخطوبة".

قال بحذر: "لم أعلم بأن واصف لم يتحدث معك بعد"، ثم سأل باستنكار: "تقولين أنكِ لم توافقي على الخطبة؟! ومن الذي أخبرني بالموافقة ليلة أمس؟ هل هي شبيهتك، أم شبح تنكر بهيئتك؟".

قالت بغضب: "قلت خطبة لا عقد قران، وكيف تتفقان أنت وواصف من خلف ظهري وكأني لا أملك حق القرار؟ أنا أرفض تلك المعاملة".

قال بهدوء وكأنه يحاول احتواء غضبها: "لا يا وسن، لا نتفق من خلف ظهرك، الفكرة وما فيها أن واصف لديه من الأسباب ما يجعله مطمئنًا لعقد القران من مجرد خطبة عادية وذلك لظروف تخصه هو ولن أخبرها لكِ بنفسي، وعقد القران هنا لا أقصد به

الزفاف، فسيظل وضعنا وكأننا مخطوبان إلى أن تحددي بنفسك الموعد الذي يناسبك، هل هدأتِ الآن؟".

ظلت على ضيقها ولكنها أصبحت أقل تذمرًا لتقول: "أرى أنك تتفق أنت وواصف جيدًا بدوني، فقد ظللت طوال الوقت أمس أفكر بالطريقة التي أفاتحه بها وربما كنت غيرت رأيي ولن أخبره".

قال بتهديد: "غيرتِ رأيك!! لا، لسنا أطفالًا نلهو هنا يا أميرة وسن، الأشخاص البالغون يحترمون اتفاقهم".

ردت بغيظ: "كما احترمت اتفاقك معي بالأمس وهاتفتني".

هتف منشدهًا: " أنتِ تعاقبينني على عدم اتصالي بكِ بالأمس، يا إلهي، الآن عرفت سبب تَكدرك مني طوال اليوم".

صمت ثم قال مؤنبًا: "أنتِ تعرفين السبب الآن، لقد مرض والد صديقي الوحيد، وكان عليّ الذهاب لعبد الرحمن لأقله من عند الميكانيكي حتى المشفى، فسيارته معطلة، وبالطبع ظللت معه لوقت متأخر جدًا لم أستطع مهاتفتك بهذا الوقت".

قالت بنفي: "أنا لست متكدرة منك"، ثم أكملت بكبرياء: "ولم يكن هناك داع لتحكي لي كل تلك القصة، فأنا لا أتدخل بخصوصياتك".

قال بتهديد: "لا تتدخلين بخصوصياتي؟! أنا أريدك أن تتدخلي وبشدة، فخصوصياتي أصبحت من شأنك منذ الآن، هل فهمتِ أم أقحم الكلام برأسك العنيد؟".

سألته بتجهم متذمر: "ومتى قررتما أنت والسيد أخي المحترم أن تعقدا قراني، هذا إذا سمحت لي سيادتك بالتجرؤ والسؤال؟".

ارتفعت ضحكته عاليًا ليقول: "تبدين خفيفة الظل، أظن أن ذلك الخبر يؤثر بك للأفضل"، ثم أكمل بعد أن هدأت ضحكاته: "ربما الليلة سيكون أفضل لي، لكن واصف أرجأها للأسف لبعد الغد".

شهقت بصوت عالٍ لتقول بصياح مكتوم: "ماذا؟! هل جننتما أنتما الاثنان أم ماذا؟.. أَي بعد غد تقصد؟".

قال بهدوء: "بعد الغد الذي هو بعد الغد.. ما العجيب في ذلك؟".

كادت أن تصرخ من فرط الحنق وهي تهتف: "أنتما مجنونان، نعم لا بد أنكما كذلك.. كيف أوحى لكما عقلكما الصغير بأني سأوافق، هل تشتريان نعجة فتتفقان على البيع بعد مضي يوم، وربي لو كنتما تشتريان نعجة لعاملتموها بأفضل من ذلك".

قال بصوت حازم: "وسن!!".

لكنها لم تجب نداءه بينما تغلي بغضبها: "لا، لا تظنا بأني سأوافق.. أنتما بالفعل مجنونان، إذا كان عقد قراني بعد غد.. ماذا سألبس؟ هل سأحضر العقد وأنا مرتدية المنامة؟".

ارتفع صوته بعلو أكبر ليقول بحزم: "وسن!!".

صرخت به فجأة: "ماذا؟!.. لم تصرخ علي؟".

قال بهدوء: "أنا لا أصرخ يا وسن..أنتِ من تصرخين وكأنك تلبست من قبل عفريت من الجن".

قالت بقهر: "لأنكما مجنونان".

قال بهدوء ومداهنة: " وسن اهدئي، دعيني أتحدث معكِ دون صراخ.. هل يمكنكِ ذلك؟".

قالت بنفس الصوت المقهور: "وبماذا يفيد الحديث؟!.. أنتما قررتما وانتهى الكلام".

قاطع ولولتها قائلًا بحزم: "لا تبدأي بذلك الآن.. لا أريد نحيبًا، أريد أن نتحدث قليلًا وأعدك أني لن أفرض عليكِ ما لا ترضين.. هل توافقين؟".

بدأ صوتها يهدأ قليلًا وهي تجيب: "تكلم، أسمعني ما تريد".

تنهد ليأخذ نفسًا عميقًا وكأنه يمهد لبداية الحديث مع وسن عله يقنعها فترضخ لتحقيق أمنيته.

قال بهدوء: "وسن، بداية.. هناك حديث غير مكتمل بيننا كنت أريد أن أحدثك به لكن الظروف إلى الآن لم تساعدنا على أن نتقابل، ولا أستطيع أن نتحاور به بالهاتف، لذلك ربما تقابلنا بالغد لنتحدث".

قالت بضيق: "لا، لا مزيد من اللقاءات بالخارج"، ثم أتبعت بسخرية: "يمكنك المجيء لمنزلي كأي خاطب تقليدي والحديث بما تريد".

قال بنفي: "لا أريد أن أكون بالمنزل، أريد أن نكون وحدنا يا وسن إذ إنه حديث بالغ الأهمية ويمس عائلتي".

قالت بتفكير: "ربما إن سمحت لي قدمي بالتحرك لاتفقت معك على موعد".

ضرب على جبهته وهو يقول بتذكر: "آاااخ لقد نسيت أن كاحلك ملتو للحظة بينما كنت أفكر برؤيتك".

قالت بسخرية مبطنة: "ذلك لطبيعي بعالم الرجال".

قال بإستفهام: "ماذا تقصدين؟".

ردت بنفس الصوت الساخر: "نسيان آلام الآخرين مقابل تحقيق غاياتهم".

قال بصوت مبهوت: "أهكذا ترينني يا وسن؟".

قالت بتبرير: "هكذا أرى الرجال يا ساجد، واعذرني إن جرحت مشاعرك المرهفة، فلدي مخزون أسود لا ينضب وقد حذرتك من قبل فلا تتظاهر بالصدمة الآن".

قال بصوت متألم: "لا يا وسن لم أصدم، صدقيني لدي من المقدرة على تحمل إيلامك لي حتى ينضب مخزونك الأسود كما تقولين وتستعيدين نظرتك السليمة للأمور".

قالت بسخرية: "إذن لا تشتك عندما تغزوني شياطيني فأرى السواد أكثر سوادًا، وأرى البياض أكثر سوادًا منه".

قال بتقرير: "جربيني، لن أشتكي منكِ أبدًا".

عادت لصمتها مرة أخرى دون أن تجيب، لكنه قال بعد فترة صمت: "وسن.. أريدكِ أن تثقي بي.. مهما حدث ومهما تفاجئت، هل تثقين بي يا وسن؟".

قالت وسن بتردد وهي تشعر بأنها لا تفهم تلميحاته: "نعم".

تنهد براحة قائلًا: "عظيم، هذا ما يهمني بالوقت الحالي يا وسن أن تثقي بي، تلك أهم مكافأة نلتها منك"، ثم تابع باهتمام: "الآن نعود لبداية حديثنا مرة أخرى، أخبرتك بأنني تحدثت مع واصف لخطبتك ونتيجة ظروف معينة تخصه هو، وسيتحدث بها معكِ كما آمل الليلة فقد عرض عليّ عقد القران ليأمن عليك، على أن يكون الزفاف بالموعد الذي تريدين..ها، ما رأيك؟".

قالت بتعجب: "واصف من عرض عقد القران.. لم؟".

تنحنح قائلًا: "أعتذر يا وسن، صدقيني أريد إخبارك لكني لا أتحدث بلسان شخص آخر، فقط انتظري واصف وهو سيشرح لك".

قالت بهدوء: " حسنًا يا ساجد سأنتظر واصف إلى أن يحدثني، لكن..."، صمتت لتتابع بلهجة محذرة: "لكن إذا لم أقتنع بذلك السبب فلن يكون لديك سوى الخطبة والتي بالكاد وافقت عليها".

قال بهدوء متألم: "اتفقنا يا وسن، لن أفرض عليكِ شيئًا لا تريدينه، يكفي موافقتك بالكاد على الخطبة".

شعرت بالألم تجاهه لكنها كانت لا تريد أن تعطيه الأمل بينما لا تعلم كيف تفكر بالطريقة الصحيحة في ذلك الموضوع، إلى الآن.

* * *

طرق واصف على باب غرفة وسن قائلًا بصوت خافت: "وسن، هل أنتِ مستيقظة؟".

هبت وسن من الفراش جالسة لتقول بسرعة: "نعم يا واصف، أنا مستيقظة".

فتح باب الغرفة ليطل واصف برأسه قائلًا: "لم لم تتصلي بي لأعود للمنزل؟.. لقد ظننت أن هديل معك".

قالت وسن بإرهاق: "لم يكن هناك داعٍ، فقد كنت سأنام بأي حال ولم يكن وجودها أو عدمه سيؤثر عليّ".

هز واصف رأسه قائلًا بذهن مشتت: "كنت أفضل أن تتصلي، فقد خشيت أن أتصل أنا فأوقظك إن كنت نائمة".

قالت وسن بلطف: "لا لم أكن نائمة، كنت أنتظرك".

دخل واصف بهدوء للغرفة ليسألها: "لم يكن هناك من داعٍ لانتظاري فقد كنت أنتهي من عدة أشياء تبقت لي بخصوص مكتبي للبرمجة الذي أنوي افتتاحه".

جلس على المقعد الموجود أمام منضدة الزينة ليكمل: "هناك ما أريد إخبارك به، لكن أرجوكِ لا تفزعي".

اكفهرت وسن تسأل باضطراب: "أخبرني".

نظر للأسفل قليلًا ثم رفع رأسه ليقول بغتة: "أنا سأسافر بعد يومين".

شهقت وسن فزعة لتقول بأسى: "سترحل مجددًا؟".

قال بمواساة: "فقط لعدة أسابيع، الأمر وما فيه أن محامي هناك هاتفني لوجود مشكلة بخصوص عملي السابق هناك قد تصل لأن أفقد بسببها رخصة إقامتي، لذلك سأذهب لحلها".

كانت دموع وسن قد بدأت بالتثاقل داخل مقلتيها فقالت بخفوت: "فيم تهمك رخصة الإقامة إذا كنت تنوي عدم السفر مرة أخرى؟ إلا إذا كنت تنوي الرحيل وتركي مجددًا؟".

نهض واصف ليقترب من فراشها ثم يجلس على حافته وهو يقول لها بحزم: "وسن.. انظري إليّ، لن أظل بالخارج، سأعود يا وسن بإذن الله وإلا لما كنت سعيت لافتتاح مكتبي للبرمجيات هنا،

الفكرة كلها تنحصر في أني ذقت الأمرين حتى أستطيع الحصول على تلك الرخصة ولا أريد فقدها فربما احتجتها ذات يوم".

هزت وسن رأسها في صمت دون أن تجيب فتابع واصف حديثه: "هنا نصل للنقطة الثانية.. لقد تقدم لخطبتك ساجد وأنا أعلم بأنه قد حدثك من قبل بذلك الموضوع.. مع تحفظي على إخفائك الأمر عني...".

قاطعته وسن شاهقة لتبتلع دموعها قبل أن تسقط ثم أجابت بنفي: "لم أوافق من قبل، لذا لم يكن هناك داعٍ لإخبارك، فقد أنهيت الموضوع".

سألها واصف بلطف: "لم رفضته يا وسن؟ هل لديك ملاحظات سيئة بخصوصه؟".

احمرت خجلًا قبل أن تجيب بخفوت: "لا لم أر منه ما يسوء.. الرفض كان بسببي أنا.. فقد خفت أن أخوض التجربة مرة أخرى".

ربت واصف على كتفها قائلًا بهدوء: "أعلم بأنك تعانين من فترة زواجك السيئة تلك، لكن أنا أرى أن ساجد مختلف.. هو يحبك بحق، لم أتعامل معه من قبل لكني علمت بأنه صديق طفولة لمنزل السيد سيف الدين وأنا أعلم بأن ذلك الكهل ما كان ليدع شخصًا سيئًا يدخل بيته، لذا أنا أعلم بأنه شخص جيد يا وسن وأأتمنه عليك".

كان أثناء حديثه عن السيد سيف يتذكر كل لقاءاتهما السابقة والتي كانت بمجملها غير ذات خصوصية، فقط واصف كان يجد به صورة الأب الراحل بكل ذكائه وعمق بصيرته، تذكر أنه كان حينما يضيق به السبيل يهرع ليصلي معه بالمسجد ثم يتحاوران قليلًا في شتى المواضيع، وقد كان سيف الدين يرى بفطنته احتياج واصف للسند والعون الداخلي فكان يحاول أن يمد له يده بكل ما يستطيع، يعينه على توثيق أواصر الترابط بينهما كأنه ولده الآخر دون أن يميز بينهما في شيء، ولإحساسه أن تقربه من واصف يؤتي ثماره معه ويساعده على التغير.

أكمل واصف بلطف: "وسن، أنا أرى نظرًا لظروف سفري وخطبة ساجد لك بأن نجعلها عقد قران.. فأنا لن أتواجد لفترة من الوقت، وأريد أن أدعك تحت حماية شخص يحبك ويخاف عليك".

قالت وسن باعتراض ساخط: "لقد ظللت وحدي عدة سنوات يا واصف دون حماية شخص يحبني، لقد حماني الله، فما الداعي لعقد القران؟".

قال واصف بابتسامة قلقة: "آسف إن كنت من قبل عديم المسؤولية تجاهك، أشعر بأني أخ سيئ لذلك أحاول تصحيح الوضع علّي أعوضك عما فات".

هزت رأسها برفض قائلة: "لكن يا واصف، أنا لا أريد عقد قران.. بالكاد وافقت على الخطبة".

ضحك واصف بوهن قائلًا: "ثقي بي يا وسن.. سأسألك سؤالًا وأريد إجابةً صريحة منك، هل تميلين لساجد ولن أقول إنك تحبينه.. سؤالي أقصد هل تجدينه مختلفًا ويصادف هوى في نفسك؟".

عادت وسن للاحمرار لتقول بتلعثم: "لا، نعم.. هو مختلف، لست أحبه، لكنه يهتم بي بحق".

تبسم واصف ببطء قائلًا: "إذن أعط نفسك فرصة معرفته عن قرب يا وسن، سنعقد القران ريثما تفهمين نفسك ووضعك مع ساجد.. وصدقيني إذا لم تعودي تريدين أن تكملي مشروع الزواج سأقف بجانبك يا وسن.. الآن هل اطمأننت؟".

هزت رأسها بصمت دون أن تجيب، فنهض واصف قائلًا: "جيد، أعدي نفسك من الغد لعقد القران مساء السبت لأني سأسافر الأحد صباحًا".

سألت وسن بقلق: "ومتى ستعود؟".

فكر مليَاً قبل أن يجيب: "أخبرني المحامي أن المشكلة يلزمها من أسبوع لأسبوعان حتى يتم حلها لذلك لن أتأخر بأكثر من ذلك".

قالت بأمل: "ستعود بإذن الله يا واصف، أليس كذلك؟ لن ترحل كما فعلت بعد وفاة أمنا؟".

غص واصف بريقه ليقول بصوت مختنق: "لا لن أرحل.. يكفيني هروب يا وسن، فقد أضعت عمري وأنا هارب".

قفزت من الفراش لتتعلق برقبته وتقبله على خده قائلة: "سأشتاق إليك، لن أمل من انتظارك كل ليلة حتى تعود".

ربت على ظهرها بلطف، ثم رفع يده الأخرى بتردد ليحيط جسدها ليحتضنها بهدوء أولًا ثم بقوة قائلًا: "لن أتأخر يا عفريتتي الصغيرة".

سالت دموعها التي حبستها مطولًا على خدها لتقول بفرح: "لقد تذكرت لقبي الذي كنت تناديني به ونحن صغار".

دفعها برفق لتجلس على فراشها مرة أخرى قائلًا بتأثر: "لقد ابتعدت كثيراً عنكِ يا وسن، لكني لم أنس قط لحظاتنا السعيدة معًا.. فقد كنتِ عفريتتي الصغيرة".

شهقت بضحكات من بين دموعها قائلة: "نعم، لقد كنت العفريتة الصغيرة في هذا البيت"، قالتها وقد شردت بذكرياتها لذلك الزمن.. زمن السعادة الصافية في منزل يغمره الحزن الآن.

* * *

الجو العام يسوده الصمت المتوتر بمنزل وسن، كانت وسن تجلس في غرفتها تنتظر وصول المأذون بينما تجلس بجوارها هديل في صمت تتصفح هاتفها تاركة وسن تغوص في ذكرياتها كما طلبت منها وسن.

بالخارج كان كلًا من عبد الرحمن وساجد وواصف يجلسون في صمت، كلٌ غارق في أفكاره الخاصة.

ساجد يشعر بالفرح الممزوج بالقلق، قلق يغلف مشاعره ويفرض عليه تضاربًا غير متوقع لفرحته المفترضة، كان يشعر في قرارة نفسه أن تلك الخطوة التي يخطوها نحو اقترابه من وسن ذات حدين، فإما أن يستطيع خلالها كسر حاجز الخوف النفسي داخلها ويجعلها تقر بوجوده في حياتها كأمر أساسي دون أن تجعله يشعر دومًا بأنه يفرض وجوده عليها، وإما أن يزيد في جفائها وتصاعد الحاجز النفسي بينهما، حينها لن يستطيع أن يفرض نفسه أكثر عليها، وليكن الله بعونه آنذاك إذا ما قررت بأنها لن تريد أن تكمل حياتها معه.

نفض رأسه من أفكاره السلبية ليقول بصوت متوتر مخنوق: "هل تأخر المأذون؟".

سارع عبد الرحمن ليرد عليه حامدًا الله أن الفرصة جاءته ليقطع ذلك الصمت المحرج: "أعتقد بضع دقائق من التأخير لن تضر".

تنهد ساجد بضيق بينما كان واصف ينظر نحوهما راسمًا ابتسامة باهتة على شفتيه قائلًا: "نعم.. لن يضيرنا بضع دقائق

انتظار"، ثم نظر نحو عبد الرحمن ليسأل: "كيف حال والدك اليوم؟ هل هو بخير؟".

هز عبد الرحمن رأسه قائلًا بحبور: "نعم أفضل بحمد الله، الطبيب طمأننا بأنه سيخرج خلال يومين على الأكثر، أشكرك يا واصف بحق، لن أمل من تكرار شكري لك".

تبسم واصف قائلًا بصوت باهت: "لا تبالغ يا رجل، لقد فعلت ما يتوجب عليّ فعله وما كان سيفعله أي شخص آخر سيكون مكاني آنذاك".

تدخل ساجد بالحوار قائلًا بهدوء: "نعم لكن وجودك كان بحد ذاته نعمة من الله".

لم يجد واصف قولًا يرد به لذلك اكتفى بأن ابتسم في صمت.

ارتفع حينها رنين جرس الباب فنهض الثلاثة رجال من أماكنهم ليقول عبد الرحمن بسعادة: "أخيراً ها قد وصل المأذون".

هز واصف رأسه بصمت بينما ارتفع مؤشر الرهبة داخله للقمة، فقد كان ينتابه في تلك اللحظة بالذات أحاسيس متضاربة لم يكن من ضمنها السرور كما يفترض به الشعور.

كان يشعر بالاضطراب والخشية مما كان مقبلًا عليه بخصوص وسن بالرغم من ارتياحه لساجد كشخص يستطيع أن يمنحه الثقة بعد أن حكى له ساجد كل ما يخص ماضيه مع وسن ومعرفته بظروفها لصلة قرابته بطليقها السابق، إلا إنه لم يستطع أن يقلل شعوره بالاضطراب لتكرار نفس الخطوات السابقة تجاهها من عقد قران وزواج.

اتجه نحو الباب يفتحه بصمت ينظر للمأذون الذي كان يقف أمام الباب راسمًا على شفتيه ابتسامة رسمية ليسأل بدبلوماسية: "أهذا منزل المهندس واصف الأنصاري؟".

تنحى واصف جانبًا ليشير له بالدخول نحو غرفة الاستقبال الداخلية قائلًا بلهجة جامدة: "تفضل سيدي، نحن بانتظارك".

دخل الشيخ مسميًا باسم الله وعندما وجد ساجد وعبد الرحمن بالداخل نظر لعبد الرحمن مبتسمًا: "مساء الخير سيد عبد الرحمن، مبارك لكم مقدمًا".

تقدم نحوه عبد الرحمن مصافحًا بابتسامة ترحاب: "تفضل سيدي الشيخ، باركك الله"، ثم ربت على كتف ساجد قائلًا بسعادة: "وهذا هو عريسنا المنتظر، صاحب ذلك الاجتماع السعيد".

نظر نحوه الشيخ قائلًا بابتسامة: "مبارك لك يا عريس".

اتخذ مقعده ببساطة قائلًا: "هل نبدأ بإجراءات العقد أم تنتظرون أشخاصًا آخرين؟".

قال واصف بهدوء: "لا ننتظر أحدًا، والعروس وكلتني بولاية أمرها لكتابة العقد، هي تنتظر بالداخل لإنهاء الإجراءات المتعلقة بها".

قال الشيخ: "إذن نبدأ على بركة الله".

انتهت الإجراءات سريعًا كما بدأت، لم يكن هناك من يطلق لوسن زغاريد الفرح، فقد كان الجو كئيبًا بكل المقاييس.

نهض واصف ليحضر وسن كي تنهي الجزء المتعلق بها من إجراءات عقد القران.

دخلت بخجل كفراشة رقيقة تطير على الأرض دون أن تلامسها، ترتدي فستانًا كريمي اللون معرقًا بخطوط دقيقة ذهبية بقصة منسدلة على كامل جسدها حتى كاحليها، وأكمامه تصل لمنتصف مرفقيها بتصميم انسيابي رقيق يضاهي رقتها ويزيدها بهاء بينما رفعت شعرها الكستنائي اللون بتسريحة رقيقة خلف رأسها وتركت بضع خصلات حرة تنسدل على جانبي وجهها بجمال.

طلب منها المأذون أن تنهي إجراءاتها فتناولت القلم منه بأصابع مرتجفة، كانت ترتجف فعليًا دون أن تستطيع السيطرة على ارتجافة يديها، اقترب منها واصف بهدوء ليحتضنها هامسًا بهدوء في أذنها: "سيكون كل شيء بخير، اهدئي".

نظرت نحوه بابتسامة قلقة لتقول بهمس: "نعم، أعلم".

ما إن خطت بيدها إمضاءها المهتز حتى ناولت القلم للمأذون الذي ابتسم بحبور قائلًا: "مبارك لكِ يا عروس، جعله الله لكِ الزوج الصالح وجعلكِ له الزوجة الصالحة".

هنا حدث ما لم يتوقعه أي منهم، دخلت هديل تحمل بيديها صينية صفت عليها الكؤوس الكريستالية بينما تطلق زغرودة عالية فجائية مما أجفل الجميع، تطلعت نحوها العيون الموجودة بدهشة فقالت بتذمر: "ماذا؟ لم تنظرون نحوي هكذا؟ أردت أن أنشر البهجة في ذلك الجو الكئيب وأعبر عن سعادتي لصديقتي".

تبسمت وسن بمحبة بينما تميل هديل لتضع قبلة جميلة على خدها قائلة بحبور: "مبارك لكِ حبيبتي، جعلها الله لكِ زيجة العمر"، ثم حملت الصينية التي كانت قد وضعتها جانبًا ريثما تقبل وسن لتمر بها على الجميع موزعة كؤوس العصير عليهم.

كانت تشعر بالإحراج لكنها كعادتها طغت تلقائيتها على إحراجها، تقدمت من المأذون تلاه واصف الذي همست له بسرور: "مبارك لوسن، ثم ساجد الذي اتسعت ابتسامتها قائلة له بمشاكسة: "مبارك لك سيدي المدير، توقع أن تجدني متلاصقة مع وسن في كل الأوقات".

ضحك ساجد بخفة من كلامها وهو يرد عليها: "ربما تتزوجين ونتخلص منكِ، لن تظلي ملتصقة بها طوال العمر".

احمرت خجلًا من رده غير اللبق، ثم اتجهت نحو عبد الرحمن فاجأتها نظرة عينه المتفرسة بها بينما يعلو وجهه الضيق، اكتفت أن قالت بأدب: "تفضل مشروبك".

تناول منها الكأس بينما يرد بصوت مكتوم: "شكرًا".

حملت صينيتها لتذهب بها إلى الطاولة الجانبية فتضعها عليها ثم تختار مقعدًا تجلس عليه بصمت.

كانت الأحاديث الجانبية قد بدأت تسري بين واصف وساجد بينما كان عبد الرحمن يحدث المأذون بحديث غير مسموع، ظلت وسن صامتة تفرك يديها ببعضهما في حركة خفية، شعرت هديل بتوترها فتحركت لتجلس بجوارها قائلة بهمّ: "أنا سعيدة لأجلك يا

وسن، صدقيني أعط نفسك الفرصة لتسعدي حبيبتي، فأنتِ تحتاجينها".

نظرت نحوها وسن لتقول بهمس قلق: "أشعر بالقلق ولا شيء سواه".

ربتت هديل على كفها لتقول: "تغلبي عليه وستصبحين بخير حال"، ثم غمزت نحو ساجد قائلة: "فكما أرى أميرك الوسيم ينتظر نظرة منك".

رفعت وسن عينيها تنظر تجاهه لتجده يتحدث مع واصف بينما عيناه تلاحقانها بأمل، وعندما التقت نظراتهما تبسم لها أجمل ابتسامة رأتها في حياتها، كانت ابتسامة تحمل كثيراً من السعادة والرجاء واللهفة.

تخضبت وجنتاها بالاحمرار لتهبط عيناها مرة أخرى نحو هديل قائلة بتلعثم: "أشعر بالقلق أني سأظلمه، لا أستطيع مجاراته بكل هذا الكم من العاطفة".

قالت هديل بجدية: "بل تستطيعين حبيبتي، لا تصديه ودعيه يعلمك كيف تحبينه كما يحبك، نظراته نحوك صادقة يا وسن، بها كثير من الرجاء فلا تخذليه، فقط كوني متلقية لحبه ودعمه لكِ وحينها ستستطيعين".

أومأت وسن برأسها قائلة بخفوت: "أتعشم ذلك".

حينها نهض المأذون من مقعده قائلًا ببشاشة: "أرجو أن تعذروني فلدي ارتباط آخر".

قام الجميع لتحيته بينما غادر واصف ليوصله نحو الباب، انسحب عبد الرحمن بلباقة وهو يغمز لهديل أن تحذو حذوه فتبعته بصمت تاركين ساجد ووسن وحدهما بالغرفة.

حين أغلق واصف الباب والتفت للخلف فاجأته رؤية هديل وعبد الرحمن يجلسان على المقاعد الموجودة بصالة المنزل بينما ينظر نحوه عبد الرحمن بحبور قائلًا: "مبارك يا واصف، لقد أسعدتني صلة التقارب التي حدثت بيننا".

هز واصف رأسه قائلًا: "وأنا أيضًا سعيد بها يا عبد الرحمن، جعلها الله بداية خير وحياة سعيدة"، ثم نظر نحو غرفة الجلوس سائلًا بقلق: "أين وسن؟".

غمزه عبد الرحمن قائلًا: " تعال واجلس قليلًا، دع العريس يهنئ عروسه".

قضب واصف جبينه ليقول بتصلب: "فقط خمس دقائق".

ضحك عبد الرحمن بمرح قائلًا: "لن يلتهمها يا واصف، لا تخش عليها هكذا"، ثم وكأنه تنبه لوجود هديل معهما فالتفت نحوها قائلًا باعتذار: "أرجو المعذرة آنسة هديل".

قالت هديل المحمرة الخدين: "أنا سأدخل الغرفة".

لكن واصف قال بهدوء: "بل ابق هنا قليلًا، فسأحتاج مساعدتك لتقديم قالب الكعك الذي أحضره ساجد".

قالت هديل بخفوت: "حسنًا".

نهض واصف من مكانه معتذرًا لهما ليدخل غرفته ليحضر هاتفه الذي نسيه كما قال.

بقى عبد الرحمن وهديل وحدهما وثالثهما الصمت.

قال عبد الرحمن فجأة: "مبارك لصديقتك، تمنياتي لك بالمثل".

ردت بخفوت: "أشكرك ومبارك لصديقك أنت أيضًا"، ثم نظرت نحو يده قائلة: "وأعتقد أنه يمكنني أن أتمنى لك المثل فلا أرى ما يمنع ذلك".

ضحك من كلامها ليقول: "وما أدراك إنني لست متزوجًا، فعدم وجود الخاتم بإصبعي لا يعني عدم ارتباَطي".

نظرت نحوه لتقول بهدوء ساخر: "إذن قلبي معها، فحين لا يرتدي الرجل خاتم زواجه يدل ذلك على فأل سيئ".

تطلع نحوها بدهشة ثم سأل بحيرة: "ولم هو فأل سيئ؟".

قالت بحدة: "لأن معناه لا يحمل سوى شيء من اثنين، إما إنه لا يكترث بزواجه ولا يهتم به، وإما إنه من النوع المتلاعب الذي يفضل ألا يظهر ارتباطه للفتيات الأخريات".

ارتفع حاجباه حتى وصلا لمنبت شعره قائلًا: "وكل هذا عرفته من عدم ارتدائي لخاتم لا يحمل معنى سوى أنه رمز".

قالت ببساطة: "نعم، فهذا الذي تنعته بالرمز يدل على معنى أعمق في العلاقة الزوجية، لا يوجد رجل يخلع خاتم ألبسته إياه زوجته بكامل إرادته إلا إن كان يحمل معنى سيئًا".

ضحك منها قائلًا: "أنتِ رومانسية جدًا، نظرتك للأمور غير منطقية".

قالت بحدة: "لا لست رومانسية، لكن لدي مفاهيم تعريفية لنوع العلاقة العاطفية، وأفضل أن أحلل المشاعر من خلالها".

مال نحوها ساخرًا: "هل أستطيع أن أتعرف على تلك المفاهيم؟".

نظرت نحوه لتقول بسخرية مماثلة: "أنت تسخر مني لأنك غير مقتنع بما أقول، فلا تنتظر مني أن أهرع لأطرح عليك رؤيتي التي أنا مقتنعة بها وأنتظر منك أن تصدقني، لا لن أخبرك".

اعتدل في جلسته قائلًا بابتسامة لزجة: "إذن أنتِ ترين إني أسخر منك".

قالت بهدوء: "نعم ولم يغضبني ذلك، فيبدو أنك شخص تحب الواقع الافتراضي كما هو وترفض تحليل المشاعر والأحاسيس إلى كلمات، تتعامل بأريحية في التعبير عن رأيك بينما تخفي التعبير عن مشاعرك وتتنكر لها، لذلك أعذرك وأتعاطف معك".

عقد حاجبيه ليردد بدهشة: "تتعاطفين معي، لم؟! هل حالتي سيئة؟".

قالت بتفكه: "نعم، من وجهة نظري حالتك سيئة وتستحق التعاطف، فأنت لا ترى من الحياة سوى الأسود والأبيض، لا تعرف غيرهما من الألوان".

نظر نحوها بتفكير ليسأل: "من أخبرك بأني أعاني من عمى الألوان، أنا أراك بالمناسبة ترتدين فستانًا أبيض اللون وله تنورة حمراء"، ثم مال نحوها قائلًا بضيق: "والتي هي بالمناسبة قصيرة بعض الشيء".

نظرت نحو تنورتها عابسة لتشدها للأسفل قليلًا قائلة بضيق: "ليست قصيرة، إنها بمنتصف ساقي، ثم من سمح لك بالنظر نحو ساقي، هل أنت دائمًا هكذا لا تراعي ما يصح أن يقال لفتاة؟".

قال بإقرار: "أنت قلت إني لا أرى سوى الأسود والأبيض، فأحببت أن أخبرك أني أستطيع التمييز بين الألوان".

قالت بتأفف: "يبدو أن حديثنا لن ينتهي بنهاية ذات قيمة، فأنت لم تفهم ما أردت قوله، أنا قصدت أنك لا تعرف من المشاعر سوى المشاعر الأحادية، الزواج عندك بمفهومه البحت تكوين أسرة، الأسرة عندك بمفهومها البحت هي أن تراعيها وتسهر على راحتها، لكن أن تظهر مشاعرك يبدو أن ذلك ليس من شيمك، هل أخطأت؟".

قال بسخرية: "وأنتِ ما شاء الله نبيهة، من جلسة واحدة استطعتِ معرفة شخصيتي؟".

قالت بوجوم: "أحيانًا كلمة تصدر من الشخص تستطيع بها تكوين فكرة عن شخصيته ويحتمل الأمر الصواب والخطأ".

سألها بهجوم: "وما الكلمة التي نطقت أنا بها حتى تستطيعن تكوين فكرة عن شخصيتي؟".

قالت بغموض: "فكرتك عن خاتم الزواج أوضحت لي بعض النقاط والباقي لم يصعب تخمينه، وبالمناسبة، أحب قراءة كتب علم النفس"، ثم نهضت بهدوء قائلة: "أنا أعتذر منك فسأذهب للمطبخ".

قال باعتراض: "لكننا لم ننه حديثنا".

لكنها استدارت لتذهب تجاه المطبخ دون أن ترد واكتفت بابتسامة خفيفة على شفتيها.

لم يجرؤ على النظر لها بينما تتحرك أمامه بفستانها المهلك ذي الحزام الذهبي العريض على الخصر، كانت تبدو كقطعة السكاكر المحلاة بوجهها الطفولي ومشيتها الطفولية بالرغم من كعبها المرتفع، كانت أفكاره غير منطقية نحوها، يشعر بالانجذاب لها بطريقة لم يعتدها في حياته العفيفة.

تصاعد رنين جرس الباب فجأة مما أجفل هديل التي مازالت تقف عند باب المطبخ، اندفع واصف من الداخل تجاه الباب قائلًا: "أنا سأفتح".

قالها وهو يفتح الباب ليحدق بالزائر قائلًا بصدمة: "أنتِ؟! ماذا تفعلين هنا؟".

❋ ❋ ❋

الفصل الثالث عشر

ما إن غادرت هديل الغرفة تتبع عبد الرحمن حتى استدارت وسن لتلحقهما، لكن ساجد قاطع خروجها من الغرفة بأن تقدم نحوها قائلًا: "أين تذهبين يا عروسي؟".

قالت بتوتر: "كنت ألحق هديل حتى..."، ثم صمتت فلم تجد ما تضيفه.

اقترب منها قائلًا بهمس: "حتى ماذا؟".

تلعثمت قائلة: "حتى.. حتى".

اقترب أكثر قائلًا بينما تلتمع عيناه بعبث: "حتى ماذا؟ لم أسمع".

ابتعدت للخلف بتوتر لتقول: "كنت سألحقها وفقط".

وضع يده على قلبه قائلًا بلهجة عابثة: "آآآه يا قلبي، وتتركيني وحدي هنا، تتركين ساجد زوجك".

عقدت حاجبيها قائلة باندفاع: "لست زوجي".

تظاهر بالصدمة وهو يقول: "لست ماذا؟! وماذا كنا نفعل منذ قليل؟"، ثم أمسك يدها فجأة ليرفعها أمام عينيها قائلًا: "ومن تلك التي وضعت بصمة أصابعها على وثيقة الزواج؟ أليس هذا هو حبر البصمات الذي يزين أصابعك؟".

نظرت نحو أصابعها لتعبس قائلة: "لقد تلوثت أصابعي، كيف سأزيله الآن؟".

أمسك كفها ليفرده على كف يده قائلًا: "إمممم، تبدو مشكلة عويصة بالفعل، فقد تلوثت أصابع حبيبتي".

نظرت نحوه لتقول بضيق: "لا تسخر مني".

قال بصدق وهو ينظر لعينيها: "أنا لا أسخر، قصدت بالفعل أنكِ حبيبتي".

قالت بتلعثم تتهرب من نظراته: "لم أقصد أنك تسخر في هذا".

قال بخفوت وقد تألقت عيناه: "إذن أنتِ تعلمين بأنكِ حبيبتي؟".

تطلعت نحوه بصمت وقد اتسعت عيناها فبدت لامعة بخضرتها الداكنة وقد زاد الكحل في تحديدهما بدقة بينما اختفت ذهبيتهما التي لا تظهر إلا في ضوء الشمس، أنفاسها كانت تتسارع لا إراديًا.

اقترب منها قائلًا بخفوت: "لم أهنئك بعد، مبارك يا عروسي الجميلة"، ثم مال على جبينها يقبلها قبلة طويلة دافئة قبل أن يرجع للخلف ناظرًا نحوها بعاطفة جياشة قائلًا: "ولم أعطك هديتك".

قالها ليمد يده في جيبه فيخرج علبة صغيرة قدمها لها قائلًا: "هذا جزء من شبكتك، لم أجد الوقت لاختيار ما يليق بحسنك وبهائك فقررت أن أؤجلها لما بعد".

نظرت نحو العلبة المخملية بيده لتقول بهمس: "لم يكن هناك من داعٍ".

لكنه همس مقاطعًا إياها: "شششش لا تتكلمي، إنها هديتي الصغيرة لك ولا ترقى إلى كونك أنتِ هديتي الكبرى التي نلتها بعد عناء"، قالها ثم مال على خدها ليطبع قبلة طويلة حنونة ليهمس قرب أذنها: "أنتِ هي هديتي يا وسن ولن أستطيع أن أهديكِ مقابل هديتك سوى هذا"، ثم أمسك يدها ليضعها على قلبه الهادر ليقول: "هذا هو يا وسن، هذا قلبي الذي ملكته منذ أن سحرتني بعينكِ".

قالت ممازحة تغالب توترها: "قبل أن ألقي عليك تعويذتي؟".

ضحك قائلًا: "نعم قبل أن تلقي عليّ تعويذتك السحرية يا ساحرة قلبي"، ثم أردف برجاء: "اقبليه يا وسن، يكفيه ما عانى إلى الآن، لا تذبحيه برفضك إياه".

نظرت نحوه وقد توترت لتبتلع ريقها بغصة فتنتقل عيناه تلقائيًا نحو حلقها الذي تحرك صعودًا وهبوطًا في إشارة إلى توترها، حينها قرر أن يمنحها الأمان، فقال بصوت هادئ لا يعبر عما يجيش بصدره من انفعال مجنون: "تعالي يا وسن".

سألت بتوتر: "آتي إلى أين؟".

قال بنفس الهدوء: "تعالي اقتربي حبيبتي، لا تخشي شيئًا".

لكنها كانت متسمرة مكانها، متسعة العينان تتحرك أنفاسها صعودًا وهبوطًا دون أن تبدي حراكًا، فاقترب منها بخطوة هادئة

قائلًا بنفس الهدوء والقدر العالي من التحكم بالنفس: "وسن، أريد فقط أن ألبسك خاتمك".

تطلعت نحو العلبة بيده بتوتر ثم رفعت رأسها تنظر إليه بحذر، لكن نظرة عينه العميقة المتفهمة جعلتها تومئ برأسها إيجابًا، فتح العلبة ليديرها نحوها قائلًا: "ما رأيك.. هل أعجبك؟".

نظرت نحو الخاتم الرائع المرصع بفصوص خضراء صغيرة في شكل بسيط غير متكلف لتهمس بذهول تغلب على توترها: "إنه رائع".

نظر نحوها ليقول بابتسامة حانية: "يشبه لون عينيك، لقد اخترته من الزمرد حتى يلائمك يا زمردتي الثمينة".

قالت بابتسامة باهتة: "لقد كلفك ثروة".

تقدم نحوها ليمسك يدها فيرفعها أمام عينيه قائلًا بشغف: " أنتِ ثروتي يا وسن وكل أموال الدنيا لا تساوي شيئًا أمام حسنك"، ثم وضع الخاتم بإصبعها ليرفع يدها أمام شفتيه فيطبع قبلة خفيفة وسريعة على باطن كفها ولم تسحب يدها.

كانت تنظر نحوه بانبهار لتقول بهمس: "كيف تستطيع أن تقول مثل هذا الكلام بمثل هذه البساطة؟".

رفع عينيه لينظر نحوها مطولًا ثم يقول بابتسامة عشق صاف: "لأن هذا ما أشعر به بالفعل، فلا يلزمني التكلف بينما تقف ملهمتي أمام عيني"، مال نحوها متابعًا بهمس أجش: "وتسكن شراييني، وتسري بدمائي".

ارتعاشة خفيفة مرت بجسد ها فأمسكها من ذراعيها مقرباً إياها منه قائلًا بنفس الهمس العاشق: "وحين تكونين أمامي لا أملك إلا التغزل ببهائك وروعة طلتك".

قالت باعتراض هامس تداري به خجلها: "لست بهية الطلة إلى هذا الحد".

قلب شفتيه بامتعاض قائلًا بهمس: "أنتِ مدمرة للحظات الحالمة وبالرغم من ذلك أعشق تدميرك ذاكِ"، ثم مال نحوها متسائلًا بأمل: "هل يمكنني احتضانك؟".

نظرت نحوه بخجل، ثم أومأت برأسها تقاوم خجلها فأحاطها بذراعيه مقرباً إياها من صدره العريض ليضمها إليه بقوة وشغف بينما يتأوه بصوت هامس قائلًا: "يا إلهي، يا إلهي، أظن بأني أحلم".

رفعت رأسها تنظر نحوه بتردد خجل لتصدمها رؤيته مغلق العينين بينما يرتسم على وجهه الألم بعنف وبين جفنيه المغلقين كانت دمعة متعلقة بأهدابه تخجل من السقوط على وجنته.

تجرأت بلحظة ضعف ومدت يدها نحو خده تمحو الدمعة الساقطة عليه بحنو وتقول بخجل خافت: "لا أنت لا تحلم، أنا هنا بالفعل".

فتح عينيه اللامعة بدموعه الحبيسة ليقول بهمس أجش: "لا أصدق بأنك بين أحضاني وبين ذراعي، لقد ظننت بأني سأموت قبل أن تتحقق تلك اللحظة".

نزلت بيدها نحو شفتيه لتغلقهما قائلة: "ششش، لا تذكر الموت في يوم مثل هذا إنه فأل سيئ".

مد يده يمسك أصابعها المفرودة أمام شفتيه قائلًا: "لا تصعبي علي الأمر، لا أريد أن أقبلك فلا تتمادي بلمسي، لن أستطيع السيطرة على نفسي حينها".

حاولتِ أن تسحب يدها من يده، لكنه تمسك بيدها ليقربها من فمه هامسًا: "دعيها لي".

أمال رأسه يقبل أصابعها إصبعًا إصبعًا قائلًا: "هذه قبلة لكل عام مر حلمت بكِ بجوار قلبي ولم يتحقق حلمي".

كانت تنتفض مع كل قبلة يضعها على إصبع من أصابعها وقد تحولت عيناها للأخضر الداكن بينما التمع التأثر بهما ليطغى على خوفها وتوترها.

انتفض كلاهما حين تصاعد رنين جرس الباب فجأة.

ابتعدت وسن بعنف تنظر نحو ساجد بتوتر واضطراب، لا تصدق ما حدث للتو كالحلم بينما تتلاحق أنفاسها بجنون قارب اللهاث.

أما ساجد فقد كان وكأنه لم يستيقظ من حلمه بعد، كان ينظر نحوها متألق العينين وقد ازداد عمقهما وعصفت بهما العواصف فأثارت بهما أمواج متتالية من الذهول اللذيذ.

اقترب منها قائلًا بصوت مبحوح: "تبدين شهية باحمرارك هذا".

حدقت به بنظرة مذهولة غير واعية لما يقول، كانت وكأنها تعيش الجزء الخاص بها من الحلم، لا تصدق بأنها أخيراً قد سمحت

لرجل أن يقترب منها ويتجاوز المنطقة الآمنة التي أوجدتها لنفسها منذ سنوات.

طبع قبلة على يدها برقة ليقول بهمس: "سأخرج الآن واتبعيني بعد قليل".

قالها ليضع خصلة نافرة من شعرها خلف أذنها ويستدير ليخرج من الغرفة تاركًا إياها في فوضى..

فوضى مشاعر لم تعتدها من قبل.. ويا لها من فوضى!

* * *

فتح واصف الباب ليهتف بدهشة ما إن رأى الضيفة التي تنتظر على الباب: "أنتِ!! ماذا تفعلين هنا؟".

كان يشعر بالدهشة، فالمفترض أنها لن تحتضر كما نوه أخوها منذ قليل، لكنه حين رآها شعر بصدمة تطلق شرارها بقلبه فتعتصره، كانت رؤيتها لها نفس تأثير مفرقعات العيد بالنسبة إليه، مبهجة وقاتلة، كان قلبه يدق بعدم انتظام ولا يعرف وصفًا دقيقًا لما حل به، كل هذا فكر به وهو واقف يحدق بها بنظرة جامدة على الباب حتى فقد لياقته الذوقية محملقًا بوجهها هكذا.

نظرت نحوه ضحى بدهشة، وعندما طال جموده المحدق بها عقدت حاجبيها بقلق: "هل جئت بوقت غير مناسب؟ أليس اليوم موعد عقد قران ساجد ووسن؟".

قال واصف بسرعة: "نعم.. نعم اليوم، لقد تم العقد.."، ثم تنحى جانبًا ليقول باعتذار: "لم أقصد أن أكون قليل الذوق.. تفضلي بالدخول".

قالت ضحى بعبوس: "لم أكن سأحضر لكني غيرت رأيي تحت إلحاح من والدي، فأنت لا تعلم مكانة ساجد لديه، أرجو ألا أكون متطفلة".

دلفت ضحى للداخل لتبتسم لعبد الرحمن غامزة بهمس: "يبدو أني غير مرحب بي هنا"، ثم التفتت حولها لتسأل: "لكن أين العروسان؟".

غمزها عبد الرحمن قائلًا بهمس: "إنهما بالداخل، سيخرجان بعد قليل".

احمرت ضحى بخجل قائلة من بين شفتيها المغلقتين بتهديد: "تأدب".

هز كتفيه باستهجان قائلًا: "ماذا قلت كي تعنفيني؟".

قالت بحنق وصوت مكتوم: "غمزتك تحمل معنى عديم الحياء".

هز كتفيه قائلًا: "أنتِ فقط تسيئين تفسير الأفعال".

كان واصف قد اقترب منها أثناء حديثها مع عبد الرحمن فسمع تلك الجملة الأخيرة لينظر نحوها بقوة، رفعت عينيها تنظر إليه فابتسم بتهكم وكأنه يريد أن يقول لها: "لست وحدي من تسيئين تفسير أفعاله".

رمقته بنظرة موبخة ثم التفتت لتحيي هديل التي كانت قد خرجت من المطبخ تحمل قالب الكعك قائلة بحبور لضحى: "حماتك المستقبلية ستحبك يا ضحى.. فقد حضرت عند تقديم الحلوى".

ابتسمت ضحى على فكاهة هديل المأثورة لتقول: "وربما أنا من سيحب نفسي يا هديل، فلا تعولي على المستقبل كثيراً".

خرج ساجد في تلك اللحظة، فقالت هديل بعفوية هامسة في أذن ضحى: "لقد خرج عريس الغفلة".

سألت ضحى باستفهام بينما تبتسم بتخابث: "هل هذا ما تطلقينه على ساجد؟".

قالت هديل بابتسامة عريضة: "نعم، من ضمن ألقاب أخرى.. وإياك أن تبلغيه بهذا.. فهو مازال رئيسي بالعمل"، ثم نهضت من مقعدها لتمسك ضحى من معصمها قائلة: "دعينا ندخل لوسن قبل أن تخرج.. فالجلوس وسط هؤلاء الرجال خانق".

كانت تتكلم بصوت غير مسموع للآخرين إلا أن عبد الرحمن كان يتابع حركاتها وتعبيرات وجهها بفضول، فقد أثارت فضوله بشدة منذ حوارها معه قبل قليل، شعر بالرغم من شكلها الذي يوحي بأنها صغيرة وعديمة الخبرة إلا أنها تملك عقلًا راجحًا تخفيه خلف مظهرها الطفولي ذاك.

وقد أعجبه ذلك، أن يجد امرأة بوجه طفلة كان شيئًا مميزًا، وبحق.

* * *

مر عشاء عقد القران الذي دعاهم إليه ساجد بالخارج في جو لطيف تغمره الفكاهة والمزاح، فقد تكفلت مشاكسة عبد الرحمن لساجد أن تطلق ضحكات الجميع من حوله، جو يسوده الألفة بالرغم من دخول بعض الأفراد حديثًا إلى جو العائلة الذي يربط أسرة عبد الرحمن بساجد.

كانت وسن تضحك بسرور وقد نسيت توترها بينما كان واصف يبتسم بصمت، أما هديل فقد تخلت عن تحفظها الذي بدأت به العشاء لتتبادل المزحات مع ضحى ووسن، كانت سهرة لطيفة تجمعهم بكل المقاييس.

بعد انتهاء العشاء نهضت ضحى قائلة باعتذار: سأضطر آسفة للانسحاب، فقد حدثت الممرضة المسئولة عن غرفة والدي وأخبرتني أنه مستيقظ ولا أحب أن أتركه وحده كثيراً".

نهض عبد الرحمن خلفها قائلًا: "نعم فقد تأخر الوقت ولم ندع فرصة للعروسين أن يجلسا وحدهما قليلًا".

نهض خلفهما واصف قائلًا بهدوء: "يمكنني إيصالكما، فأنا أعرف أن سيارتك مازالت متعطلة".

قال عبد الرحمن سريعًا: "لا تشغل بالك، يمكننا أن نستقل سيارة أجرة، اهتم أنت بتوصيل الآنسة هديل".

لكن هديل نهضت هي الأخرى قائلة بهدوء: "معي سيارتي، بإمكاني أن أقلكما في طريقي للمنزل، فالمشفى قريبة من محل سكني".

اعترض عبد الرحمن قائلًا: "سنرحل في سيارة أجرة لا نريد أن نتعبك".

لكن هديل أجابت دون أن تستطيع أن تكبح لسانها: "وكيف سأتعب؟! هل سأحملكما على رأسي.. الطريق واحد والسيارة موجودة.. لا داعي لتضخيم الأمر".

نظر نحوها عبد الرحمن بفكاهة قائلًا: "وأنا من كنت أظن بأن ضحى هي الوحيدة التي تمتلك لسانًا طول النهر".

رمقته هديل بنظرة مغتاظة بينما لكزته ضحى في جانبه خفية قائلة من بين أسنانها: "تأدب".

عاد واصف ليجلس مكانه مرة أخرى قائلًا لهديل وعلى محياه ابتسامة جذلة من منظر ضحى الغاضب: "يمكنكِ إيصالهما للمشفى في طريقك يا هديل، فربما تنتابني طعنة في صدري إذا ما تجرأت".

تبسم عبد الرحمن قائلًا لهديل: "لن أجرؤ على الاعتراض مرة أخرى، يمكننا الذهاب معك".

ودعت كلًا من هديل وضحى وسن، ثم مالت هديل لتقرص وسن بركبتها قائلة بِهمس مازح: "نسيت أن أقرصك بالمنزل، أتمنى أن يرزقني الله عريسًا كعريس الغفلة الخاص بك، ويكون مدلهًا في حبي هكذا".

ضحكت وسن قائلة بخفر: "اصمتي يا هديل، سوف يسمعك".

قبلتها هديل على وجنتها قائلة: "سوف أهاتفك ليلًا، هذا إذا كنتِ متفرغة لي".

دفعتها وسن في كتفها قائلة: "اذهبي هيا، فعبد الرحمن وضحى بانتظارك".

عندما وصلوا لسيارتها قال عبد الرحمن بهدوء لهديل: "هل تفضلين أن أقود أنا؟".

نظرت نحوه مستفهمة بعبوس: "نعم.. لماذا؟".

قال بنفس النبرة الهادئة: "أقصد ربما تتوترين لجلوسي جوارك بينما تقودين، فربما كان من الأفضل أن أقود؟".

قالت هديل بسخرية: "أتخشى الجلوس بجوار امرأة تقود؟".

قال بصراحة مطلقة: "لا أثق بقيادة النساء".

انفجرت هديل بالضحك بصوت عالٍ دون أن تستطيع أن تكتم ضحكاتها لتقول من بين ضحكها: "ياإلهي أنت نموذج سيئ للرجل الذكوري المتعصب، الآن علمت لم ضحى لا تقود سيارة".

ضحكتها المرتفعة تلك حركت النجوم بمعدته فتقلصت وتوترت عضلات صدره بشدة بينما يحملق بها بوجوم لا يظهر مقدار تأثره بضحكتها الموسيقية تلك.

قالت ضحى بابتسامة متسعة: "ليس له علاقة بعدم قيادتي سيارة، أنا فقط أخاف القيادة".

قالت هديل لعبد الرحمن متفاخرة دون أن تلحظ وجومه وتقلص ملامحه: "ليكن في علمك أنا أقود منذ سنين الجامعة".

هز رأسه بإقرار قائلًا بسخرية: "أي منذ ما يقرب من سنوات عمري بعد الثلاثين".

حدجته هديل بنظرة قاتلة لتقول بغيظ: "أي أنك بعمر جدّي الآن؟".

ضحكت ضحى هذه المرة قائلة: "دعنا نركب فلن نظل طوال الليل بالشارع لأجل خاطرك وخوفك من قيادة النساء واستفزازك للفتاة المسكينة".

اتبعت هديل كلام ضحى عابسة: "عدو النساء"، ثم ذهبت لمقعد القيادة لتحتله مشيرة لضحى: "اركبي أنتِ جواري ودعيه بالخلف، فسوف يوترني بخوفه ذاك".

ضحكت ضحى قائلة: "نعم، يستحقها"، ثمِ أسرعت لتحتل المقعد جوار هديل أما هو فقد كان يقف عابسًا بالخارج ليقول: "هذا ما يسمى الاضطهاد، ربما كان من الأفضل أن أستقل سيارة أجرة فلا أثق بقيادتها".

هذا كان مبرره أما ما كان يجرحه فهو وصفها إياه بأنه كبير بالسن وكأنها طعنته بالصميم لتنبهه لفرق العمر الكبير بينهما.

ضحى قالت بتأفف: "عبد الرحمن هيا.. لن نظل ننتظرك طوال الليل".

كان يريد أن يفر ليتركهما ويستقل سيارة أجرة بالفعل لكن نظرة هديل البريئة المنتظرة له جعلته يتراجع ليفتح الباب الخلفي ويلقى نفسه على المقعد بعنف مما جعل السيارة تهتز، نظرت نحوه ضحى بدهشة بينما هتفت هديل قائلة: "أظن من الأفضل أن تقلبها على جانبها كي ترتاح منا".

أدرات السيارة لتنطلق بها وبين الحين والآخر كانت تنظر للخلف لتجد عبد الرحمن ينظر للطريق متجهماً، فجأة قال بصوت مكبوت: "لست أكبرك بالكثير".

قالت هديل مستفهمة بينما تنظر بالمرآة الأمامية: "ماذا؟".

قال بنفس النبرة: "مزاحك السخيف بخصوص أني بعمر جدّك".

تبسمت قائلة بمشاغبة بينما تنظر لوجهه المتجهم العبوس: "أنت من تجرأ وسخر من عمري، وأنا لست جيدة بتقبل السخرية".

أمالت ضحى رأسها للخلف تنظر لعبد الرحمن بدهشة حائرة كأنها تتفرس بوجهه فتسبر أعماقه،

نظر نحوها بضيق قائلًا: "لماذ تنظرين إليّ هكذا؟".

هزت رأسها بصمت وهي ترمقه بنفس النظرة، ثم تعيد أنظارها نحو هديل الصامتة وقد ارتسمت ابتسامة لطيفة على وجهها تبدو بها كطفل مشاكس نجح في مسعاه باستفزاز الآخرين.

غمغمت قائلة لهديل: "لقد استفززته بالمناسبة".

قالت هديل بهدوء: "لم أفعل، هو من قال إنه يكبرني بالكثير".

قال عبد الرحمن بصوت غاضب: "لم أقل ذلك، قلت إنك صغيرة لتتباهي بعدد سنوات قيادتك".

تألقت ابتسامة هديل قائلة: "حسناً سأعتبرك بعمر والدي كي لا تغضب، كما أشكرك على رؤيتك أني صغيرة لكن رجاء لا تقل إني طفلة".

زفر بغضب قائلًا: "هلا أنهينا ذلك الحوار السخيف، ورجاء انتبهي للقيادة بدلًا عن ذلك الهراء الذي يحدث".

قالت هديل بأسف مصطنع: "يبدو أنني أغضبتك، أعتذر منك".

قالتها لترمق عبد الرحمن في المرآة بترقب فتجده يحدجها بنظرة صامتة عميقة غير مقروءة، أشاحت بوجهها في صمت وقد حيرتها نظرته تلك.

عندما وصلوا المستشفى ترجلت ضحى من السيارة لتقول بامتنان لهديل: "أشكرك على هذه التوصيلة المجانية".

ضحكت هديل قائلة: "لا شكر بين الأصدقاء".

ترجل عبد الرحمن ليقول لهديل بوجه جامد بينما مازال يرمقها بنظرات غريبة: "أشكرك، لم أقصد أن أضايقك".

ردت هديل ببساطة: "أنا لا أتضايق ببساطة".

رمقها مضيقًا عينيه وكأنه يقيم ردها، ثم استدار وغادرهما في صمت، نظرت هديل لضحى قائلة بتساؤل مندهش: "هل هو غاضب دائمًا هكذا؟".

نظرت ضحى لظهره مبتسمة لتقول: "فقط عندما لا تحدث الأشياء بالطريقة التي يراها".

هزت هديل رأسها بتعجب قائلة: "كان الله في عونك".

ضحكت ضحى قائلة: "ليس سيئًا، إنه طيب القلب، لديه حس مراعاة الآخرين، به بعض العيوب لكنه ما يزال الأخ الأروع بالعالم".

تبسمت هديل من كلام ضحى لتغمزها قائلة: "ومن سيشهد للعروس سوى عائلتها"، ثم لوحت لها قائلة: "سأذهب الآن، الحقي به قبل أن يخنق أحد الأطباء بالداخل".

ضحكت ضحى من كلام هديل ثم قالت: "أراكِ فيما بعد، لقد سعدت بمعرفة إحدانا للأخرى، يجب أن أشكر ساجد على هذا"، ثم استدارت تتبع أخيها للداخل بينما أدارت ضحى سيارتها لتنطلق بها إلى منزلها تستعيد كلام ضحى عن أخيها مرة تلو المرة.

لا تدري لِمَ شغلها هذا الكلام؟

ربما لأنها أحست بأنه نسخة مختلفة.

شرقي الملامح والتفكير.

متناقض مع نفسه بين التفتح والانغلاق.

يبدو أنه سيشغل تفكيرها مطولًا، فقد كان ذلك التناقض يجذبها، دائمًا ما تعشق التناقضات.

* * *

نظرت وسن نحو ساجد الصامت على غير عادته معها، يضع يديه على مقود السيارة بتراخٍ وقد استغرق بالتفكير وكأن هناك ما يشغل عقله بشدة.

وكأنه شعر بنظراتها مد يده ليمسك كفها بين أصابعه بتملك ويضغطهما بقوة، وحينما لاحظ إجفالها من ضغطة يده قال بهدوء: "آسف إن آلمتك.. كنت أؤكد لنفسي بأنكِ هنا في العالم الحقيقي ولستِ بخيالي"، قالها ثم رفع يدها ليطبع قُبلة على باطن كفها بكل

شغف قائلًا بصوت مبحوح: "نعم أنتِ حقيقية، أشعر بفمي على باطن كفك الرقيق، لا أدري أهو أنتِ من تملكتني أم أنا من تملكتك، لكن قبلتي تلك.."، قالها وهو يعيد تقبيلها في كفها مرة أخرى: "تعني بأني أعشقك وسأظل هكذا مادام بصدري نفس يتردد".

نظر نحوها ليجدها تنظر نحوه بذهول كتلميذة تتلقى معلومة مبهرة لا تستطيع استيعابها، قال بنبرة مشددة على كل حرف ينطقه: "هذه القبلة هي قبلتنا الخاصة، سأظل أقبلك بها كل مرة دلالة على تملكك قلبي".

أجفلت وسحبت يدها المنسية بيده كل هذا الوقت لتضعها بحضنها وهي تنظر بخجل للنافذة دون أن تتحدث لكنه عاد يتحدث بهدوء: "وسن، هل تخجلين مني؟".

تطلعت نحوه لتهز رأسها بصمت، فقال بأسف: "إذن نحتاج لدروس مكثفة حتى تتجاوزي خجلك ذاك".

قالت بتجهم بينما يشتعل وجهها: "توقف لا تكن وقحًا، لا أحب ذلك".

قال بلهجة خبيثة: "ماذا؟! لم أقل شيئًا بعد.. قصدت أننا نحتاج أن نتقابل لوقت أطول حتى تعتادي عليّ".

قالت لتداري خجلها مغيرة للحوار: "أشكرك لأنك سمحت لي بالعودة لأجلس مع أخي قبل سفره"، قالتها وهي تتذكر حوارها مع واصف منذ قليل بالمطعم بأنها ستلحق به بالمنزل لتجلس معه قبل سفره على أن يوصلها ساجد بسيارته لأنه أراد التحدث معها بأمر ما.

استعاد جديته: "لا يا وسن لا تشكريني، نحن معًا في كل ما يخصك وما يخصني.. الزواجِ رباط مقدس جمع بيننا لكي نتفهم احتياج بعضنا البعض.. دوماً تذكري ذلك، واطلبي حقك بكل قوة.. لن أتراجع أبدًا عن تنفيذ ما يسعدك لأنه يسعدني".

عاد يقول بمزاح: "لكن لا تعولي على الهروب مني كثيراً حتى وإن أسعدك هذا لأنه لن يسعدني".

تبسمت من قوله لتقول بخجل: "لا أهرب منك، أنا فقط أردت أن أجلس مع أخي قبل سفره، فربما يفعل ما يحلو له دائمًا".

سألها باستفهام: "يفعل ماذا؟".

قالت وقد تحولت نبرتها للأسى: "يهرب بعيدًا كما اعتاد دائمًا".

قال بهدوء: "لن يهرب، لقد وجد مرفأه".

قالت بتعجب: "مرفأه.. ماذا تقصد؟".

غمزها قائلًا: "ربما يكون الكلام سابقًا لأوانه، لكني كونت فكره عنه مسبقًا".

قالت بعدم فهم: "لا أفهم عما تتحدث".

ضحك قائلًا: "حينما أتأكد سأخبرك.. كلها فقط تكهنات من جانبي، ربما أتخيل وربما يكون صحيحًا أنه وجد ضالته فهدأ بحثه وقرر الاستقرار".

قالت بصدمة: "هل تقصد أنه سيتزوج؟".

قال بغموض: "ربما، وربما لا".

سألت بتعجل: "هل أعرفها؟".

سألها بلؤم: "من هذه؟".

قالت بحيرة: "تلك التي أعجبته".

اكتفى بأن ابتسم بغموض قائلًا: "هل سأقابلك غدًا؟".

نظرت نحوه بعدم فهم لتجيبه بعد لحظات بحنق: "وما علاقة سؤالك بإجابة سؤالي؟".

قال بنفس الغموض: "لا إجابات لدي لذا لم أجب سؤالك".

قالت بضيق: "حسنًا، وأنا لا إجابات لدي دع الغد للغد".

ضحك بقوة قائلًا: "أنتِ تجيدين رد اللكمة وبسرعة، تستطيعين أن تكسبي بطولة في ذلك".

مطت شفتيها بامتعاض قائلة: "لم ألكمك، قصدت أني لا أعرف ظروفي بالغد، فسأذهب مع واصف للمطار ولذلك ربما آخذ يوم غد إجازة من العمل".

قال ساجد مبتسمًا: "سأذهب معكِ للمطار لتوديعه".

رمقته بنظرة مؤنبة فقال بدفاع: "ماذا؟ ألا يحق لي وداع أخي زوجتي".

قالت بضيق: "وهل ستتغيب عن العمل بالغد أنت أيضًا؟".

قال ببساطة: "لا لن أتغيب، سأذهب للعمل، ثم أخرج بموعد توصيلك إياه، فأنا أريد أن أعود معك، لا أحبك وحيدة".

سألت باستهجان: "تعود معي إلى أين؟".

ضحك منها قائلًا: " أنت سيئة التفكير، قصدت ألا تكوني وحيدة أثناء عودتك من المطار، لكن لو تفكرين في مكان آخر فلا مانع لدي".

قالت بسخط: "لا تكن عديم الحياء".

هز كتفه قائلًا في بساطة: "أنت زوجتي، من حقي أن أستريح بكلامي معك دون أن تأخذيه على المحمل السيئ".

قالت بتأفف: "هلا انتهينا؟! حسنًا يمكنك أن تمر علينا قبيل الساعة الواحدة بعد الظهر، فسنذهب بسيارتك حتى لا أقود كل هذه المسافة في الزحام، ويمكننا بعد ذلك أن نتناول الغداء ونتحدث كما تريد".

وجم وجهه للحظات وعبرت ملامحه سحابة ألم وضيق، ثم قال بذهن مشتت: "سأمر عليكما بالواحدة بعد الظهر ثم بعدها نتحدث".

همس في سره: "وأرجو أن تمر على خير".

فالحديث بينهما سيحدد ما هي الخطوة التالية، وقد كان ذلك أهم حديث بينهما.. حديث الماضي.

* * *

قاربت الساعه التاسعة صباحًا، كانت ضحى تشعر بالإرهاق النفسي وهي تنتظر مرور الطبيب على والدها بغرفته كي يطمئنها إذا ما كان سيتم صرفه من المشفى اليوم أم سيتأجل موعد خروجه للغد كما أخبرهم الطبيب.

وضعت يدها على وجهها تفركه بعنف، فمنذ عودتها من عشاء عقد قران ساجد ووسن بالأمس لم تنم جيدًا مع أنها أصرت على المبيت معه صارفة عبد الرحمن ليبيت بالمنزل.

قال والدها بصوت واهن: "ضحى، هل أنتِ بخير؟".

مالت لتقبل رأسه قائلة بصوت مرهق: "نعم يا حبيب ضحى، أنا بخير، فقط أشعر بالصداع".

رفع يده ليمسك بوجهها القريب رابتًا على وجنتها قائلًا بحنو: " لقد أتعبتك معي يا حبيبة والدك، كان عليكِ أن تبيتي بالمنزل أمس فأنا أصبحت بخير".

قالت برفض: "لا، لن أطأ المنزل إلا معك حين تعود بالسلامة".

قال باعتراض: "ضحى، لا تبالغي حبيبتي، فأنا أصبحت بخير".

قبلت خده بحبور قائلة: "الحمد لله يا أبي، أتمنى أن نغادر بخير من هنا".

ربت على كفها قائلًا بمحبة: " اذهبي لتتناولي شيئًا كي يزيل صداع رأسك هذا".

قالت بإقرار: "فقط أنتظر الطبيب".

دفعها بمزاح: "اذهبي يا فتاة، لن أطير من هنا".

ضحكت مستسلمة لتقول: "حسنًا، سأذهب".

اتجهت إلى المرآة الصغيرة تعدل من وضع حجابها على رأسها كي تخرج من الغرفة، وحين انتهت نظرت لوالدها قائلة بعبوس: "لن

أتأخر، سأحضر كوبًا من القهوة وأعود سريعًا، وإن أتى الطبيب فلا تدعه ينصرف حتى أعود".

قال والدها بنفس عبوسها: "اذهبي يا فتاة، لقد خنقتني باهتمامك هذا، دعيني أتنفس".

تبسمت ضحى لتلقي إليه قبلة في الهواء، ثم خرجت، وعندما أغلقت الباب واستدارت لتذهب كادت أن تصطدم به ذلك المتوقف خلفها يراقبها بصمت.

مدت يدها أمام وجهها كحاجز تستخدمه يحميها من الاصطدام، ثم تراجعت لتقول بضيق: "ماذا تفعل هنا ولم تقف بتلك الطريقة؟".

قال واصف بهدوء: "أردت رؤية والدك".

نظرت نحوه لتسأله بفضول: "ألم تكن ستسافر اليوم؟".

ظل يتأملها مليًا بهدوء قبل أن يقول: "نعم بعد بضع ساعات"، ثم مال نحوها قائلًا بفضول: "من أخبرك بسفري؟".

قالت بلا مبالاة: "ربما عبد الرحمن، فلست أذكر".

هز رأسه وهو يرمقها بنظرة متأملة صامتة، توترت فقالت: "والدي بالداخل ادخل إليه وسأعود بعد قليل".

سألها بهدوء: "أين تذهبين؟".

قالت بتوتر: "سأحضر لنفسي القهوة، هل أحضر لك واحدًا؟".

هز رأسه قائلًا: "لا، سأحضرها بنفسي".

رمقته بنظرة جانبية ثم قالت: "حسنًا".

استدارت لتنصرف وعندما وصلت مقهى المستشفى وجدته يقف جانبها، نظرت له بجانب عينيها بضيق لكنها تظاهرت بأنها لم تره، فوجئت بأنه يسألها: "كيف تحبين قهوتك؟".

أصابها الضيق، لم تشأ أن تتشاجر معه فقالت بأدب: "سأطلبها بنفسي".

هز رأسه باستسلام، ثم التفت إلى الفتى المتوقف يطلب منه قهوته وأشار إلى ضحى قائلًا: "وسجل طلب الآنسة هنا وضعه على حسابي".

التفتت لتعترض قائلة: "لا، أنا سأدفع".

قاطعها بنظرة محذرة أن تصمت، ثم التفت للفتى قائلًا بقوة: "ضعها على فاتورة حسابي".

هز الصبي رأسه بالإيجاب.

كانت ضحى متضايقة بالفعل من تصرف واصف الذي أحرجها لكنها التزمت الصمت، فلم تحب أن تظهر قليلة الذوق بينما لا تزال تدين له بالفضل في إنقاذ والدها.

عندما انصرف الفتى ليحضر لهما طلبهما أشار واصف لمائدة في المقهى قائلًا: " هلا نجلس هنا قليلًا حتى ننتهي من تناول القهوة".

قالت بتساؤل رافض: "لم؟".

لم يجد إجابة لسؤاله فقال أول ما خطر بباله: "ربما لتمضية الوقت".

قالت بوجوم: "ليس لدي وقت فائض لأمضيه بلا هدف".

تلجم من ردها الذي قصف جبهته فقال بعد صمت: "أردت فقط أن أراكِ".

حينها رفعت رأسها تنظر له بترقب وكأنها تتأمل وجهه لترى صدق ملامحه، صدمتها نظرة الصدق التي تلوح بعينيه العسليتين المتسعتين.

قالت بتأن تستحثه على الإكمال: "و..؟".

صمت وكأنه يبحث عن كلام منسق يجيب به، فلم يجد سوى أن يقول بعد صمت طال قليلًا: "لست أدري، وددت أن أراكِ فقط قبل أن أسافر".

قالت ببساطة: "وها قد رأيتني، وبما أن ليس هناك من سبب وجيه لجلوسنا فأنا لا أوافق".

قال بإصرار: "أود الحديث معك".

قالت بنفس إصراره: "عم سنتحدث؟".

أسقط بيده فلم يجد سوى أن يضغط عليها بما ظن أنها ستستجيب له: "أردت الاطمئنان منك عن والدك وكيف أصبح الآن؟".

شعرت وأنه يبتزها بذكر والدها كي يذكرها بالامتنان الذي تحمله نحوه فقالت بهدوء: "والدي بحال جيدة والحمد لله، يمكنك الصعود لغرفته للاطمئنان عليه بنفسك".

حضر الفتى يحمل قهوتها وقهوته فتناولت قهوتها شاكرة الفتى لتستدير كي تخرج من المقهى، لكنه قال بإصرار: "ضحى ألن تجالسيني ولو قليلًا؟ صدقيني أشعر بأني أريد أن أجالسك".

عادت إليه لتنظر نحوه بقوة سائلة بهدوء: "كم تظن عمري سيد واصف؟".

قال مصححًا: "واصف فقط".

عادت لتقول بإصرار أكثر من ذي قبل: "سيد واصف كم تظن عمري؟".

أسقط في يده فقال بترقب: "لقد أخبرتني بأنك تخطيت الثلاثين".

هزت رأسها قائلة بانتصار: "إذن فأنت تعلم بأني لست تلك الطفلة الغريرة والتي ستنهار ما إن تخبرها بأنك تريد مجالستها وتهرع لتنفيذ ما تطلبه"، أمالت رأسها نحو المقهى وكأنها تؤكد له كلامها لتتابع: "ولذلك وإلى أن يكن لديك سبب وجيه ومقنع لأن أغير قناعاتي الشخصية فلا تطلب مني ما أرفضه، لن أوافق".

بان التشتت في عينيه على إثر حديثها لذا ما إن استدارت لتغادر مرة أخرى حتى قال بصوت هادئ: "أردت فقط وداعك فربما لن أعود".

عادت لتلتفت نحوه مرة أخرى متسائلة بدهشة: "ألست ذاهب لتنهي مشكلة ما وتعود بعدها للوطن؟".

شعر بين جوانحه بالبهجة، فحتى وهي تبدي رفضها له إلا إنها تهتم خفية لمتابعة أخباره وهذا أشعره بأنها ربما تظهر ما لا تبطن، لكنه تابع بتقطع: "نعم.. أنا أنوي هذا لكن من يعلم".

قالها وهو يرمق المجهول بنظرة جامدة فقالت بحاجب مرتفع كعادتها: "أأنت من النوع المتشائم؟".

نظر نحوها ليقول بإقرار: "ومن يضمن عمره؟".

قالت بنبرة غريبة لم يفهمها: "لا أحد، الأعمار بيد الله لكني لم أظنك من النوع المتشائم".

قال بهدوء حزين: "ليس تشاؤم إنما هو إقرار بواقع عايشته أكثر من مرة".

ظلت تنظر نحوه بصمت وكأنها تعيد حساباتها بشيء مجهول له، ثم استدارت مرة أخرى دون أن تنطق مبتعدة عنه.

سار خلفها متعجباً من ردة فعلها الغريبة حتى وصلا لغرفة والدها وقبل أن تفتح الباب التفتت نحوه لتقول بهدوء واجم: "ستعود بإذن الله، فلا تردد ذلك الكلام مرة أخرى".

سأل بخفوت: "هل من فرصة؟".

نظرت بصمت مفكرة في الفراغ قبل أن تعود لتنظر نحوه قائلة بنفس النبرة الغريبة: "حتى تعود.. ربما!!"، قالتها ثم استدارت تفتح الباب تدخل غرفة والدها يتبعها بصمت.

***

الفصل الرابع عشر

كانت وسن تتعلق بعنق واصف بشدة بينما الدموع المتجمعة بعينها تأبى النزول، أمسك واصف كفها بحنان ليفكه من حول عنقه قائلًا بمرح زائف: " لن أتغيب كثيراً، صدقيني حبيبتي، سأعود بأسرع ما يمكن".

فكت أصابعها من حول عنقه لتقول بصوت مختنق بالدموع: "لا أدري، أشعر بأني أحتاجك أكثر من ذي قبل".

ربت على ظهرها بحب قائلًا: "سأعود يا وسن، فهنا موطني ولن أغيره أبدًا"، ثم التفت نحو ساجد قائلًا بجدية: "لن أوصيك عليها يا ساجد، كن كما توسمت بك وعدني بأنك لن تجرحها"، ثم حمل حقيبته الوحيدة مغادرًا إلى الداخل تاركًا وسن تذرف دموعها المتثاقلة بصمت على خدها، ربت ساجد على كتفها قائلًا بحنو: "وسن لا تبكي".

تعالت شهقاتها فجأة وكأنها تنتظر المواساة لتطلق عنان دموعها المكبوتة، جذبها ساجد بين ذراعيه لتلقي برأسها على كتفه تكتم شهقاتها بينما تتمسك به بقوة وكأنها تخشى أن تفارق أحضانه فتتوه وحيدة، ظلت على نفس الوضع حتى هدأت شهقات بكائها، فرفعت وجهها بحياء لتقول: "معذرة، لم أحب أن أبدو درامية".

قال بمحبة: "ولم أرك درامية، لك مطلق الحرية أن تستخدمي كتفي كوسادة، فأنا لا أمانع".

تبسمت بحرج قائلة بصوت خافت: "أشكرك".

أمسك ذراعها بحنو قائلًا: "أخبرتك يا وسن من قبل ليس بيننا شكر، أنا أفعل ما يتوجب علي فعله معك"، ثم سار ممسكًا يدها نحو السيارة بصمت، نظر نحوها مبتسمًا ثم فتح لها الباب قائلًا بابتسامة ممازحة: "تفضلي أميرتي".

رمقته بجانب عينيها، ثم صعدت السيارة وقلبها ينبض بقوة، فقد كانت كلمة أميرتي تشعرها وكأنها أميرة مميزة خيالية من أميرات قصص الطفولة.

أغلق بابها ثم دار ليركب من جهته المقابلة مبتسمًا لاحمرار وجهها الذي يفتنه، وعندما أدار السيارة وانطلق بها سألته بوجل: "أين سنتحدث؟".

نظر نحوها وقد بدأ قلبه يخفق باضطراب، فقد كان يخشى القادم ويريد أن يؤجل المحتوم، لكنه تمالك ذاته قائلًا بصوت هادئ: " سنذهب أولًا لمنزلي حتى أبدل ملابسي بملابس مريحة أكثر، فأنا أنوي أن أقضي اليوم بصحبتك خارجًا، ولا أريد ملابس تقيدني".

رمقت ملابسه بحذر لترى أنه يرتدي ملابسه الرسمية الخاصة بالعمل، لكنها قالت بتوتر: "لا لن أذهب لمنزلك".

قال بهدوء دون أن يظهر تعبيرات الضيق على ملامحه: "يمكنك البقاء بالسيارة يا وسن إذا كنتِ لا تثقين بي هكذا".

قالت بضيق: " ألا يمكننا الذهاب حيث نتحدث أولًا ثم يمكنك العودة لمنزلك فيما بعد؟".

أجابها بهدوء: "لن أتأخر، فقط سأغير ملابسي حتى أكون مرتاحًا، فبيننا حديث يطول شرحه".

صمتت على مضض دون أن تجيب، اعتبر ساجد صمتها موافقة ضمنية فاتجه بسيارته نحو المنزل بهدوء، كان يشعر بالخشية من نتائج ذلك اللقاء وكأنه يتمنى أن يطول الوقت قبل أن يقع المحتوم.

شعوره بالرهبة من كيفية عرض الماضي عليها تفوق شعوره بالخوف من النتائج المترتبة على العرض، كان يدير حوارًا تخيليًا برأسه محللًا جميع الجوانب والنتائج المترتبة كعادة عقله المنظم بكل شيء.

حينما وصلا منزله، شعر بأنه استقر أخيراً على الطريقة المثالية، فارتسمت على وجهه ابتسامة متألقة وهو يترجل من السيارة.

لاحظ تصلبها وجمودها على الكرسي دون أن تهبط، فنظر نحوها بمرح قائلًا بسعة صدر محتويًا خوفها: "ألن تدخلي يا وسن؟ لدي مدبرة منزل ولن ألتهمك أمامها، صدقيني لن أستطيع، سوف تقتلني قبلها".

ظلت على جلستها المتصلبة، فقال بمداهنة: "وسن.. لن تنتظري بالسيارة وحيدة بينما أغير ملابسي، تعالي وتناولي كأسًا من العصير ريثما أنتهي".

نظرت نحوه بصمت، ثم قالت بصوت متخشب: "لا أريد".

هز كتفيه بيأس قائلًا: " حسنًا يا وسن، كما يحلو لك، لن أغصبك على ما لا تريدين، ولكن إن غيرت رأيك فسأبقي باب المنزل

مفتوحًا، ويمكنك الدخول والتجول به كما يحلو لك، فربما تريدين إجراء بعض التعديلات عليه باعتبار أنه سيكون منزلك فيما بعد".

ثم استدار بخطوات سريعة ليدخل المنزل بعد أن رمقها بنظرة حزينة متألمة تشي بمقدار القهر النفسي الذي شعره بسبب خوفها منه.

ظلت وسن على جمودها بعد أن غادر ساجد ودخل للمنزل، حينها استفاقت وأخذت تنظر بفضول حولها تتأمل المنزل الصغير المكون من طابقين على هيئة فيلا صغيرة يحيطها سياج أصغر، بينما يبدو البيت عريق الطراز.

ترجلت من السيارة بفضول تتأمل واجهة البيت دون أن تدخله بعد، وعندما اقتربت من الباب المفتوح تسترق النظر بداخله لفت أنظارها طرازه العريق القديم، بأثاثه الفاخر ولوحاته الجدارية العملاقة، هنا تغلب حسها الفني على توترها وخوفها فدخلت بحذر تتأمل المكان بانبهار.

كانت تنظر للأثريات المتناثرة على الطاولات العريقة بفضول، تقترب من كل قطعة تنظر لها عن قرب باهتمام منذهل من روعتها.

لفت أنظارها دولاب الفضيات العريق، فاقتربت منه بهدوء متأملة إياه بانبهار، خاطبت نفسها بدهشة: "يا إلهي يبدو وكأنني عدت لقرن من الماضي".

هنا ارتفع رنين جرس الباب فجأة، فالتفتت نحوه بصدمة لتجد أنها أغلقته خلفها حين دخولها.

انكمشت على نفسها بتوتر تسمع صوت ساجد من الأعلى يصيح: "دقائق وسأخرج يا وسن".

لكن ارتفاع رنين الجرس مرة أخرى أخرجها من صدمتها لتتوارى بجانب دولاب الفضيات بتوتر، فقد خشيت أن يراها الزائر فيتساءل عن كنهها أو يظن بها الظنون.

هبط ساجد الدرج بعنف عاري الصدر يحمل قميصًا قطنيًا يحاول ارتدائه على عجالة بينما يصرخ بتأفف: "ياللغباء كيف أغلق الباب وقد تركته مفتوحًا؟".

فتح الباب فجأة ليهتف: "آسف يا وسن، فيبدو أن..."، قالها ليكتم كلماته التي ابتلعها فجأة وهو يرى آخر شخص يتوقع وصوله للمنزل بهذا التوقيت، أسوأ توقيت.

* * *

تراجع ساجد بوجل يقول بارتباك: "عمتي!!".

قالت عمته بتوتر باك دون أن تلاحظ ارتباكه لرؤيتها: "انقذني يا ساجد".

نظر ساجد للخارج بتوتر يحاول أن يرى وسن بالسيارة، لكن عمته لم تعطه الفرصة وهي تدفعه للداخل قائلة بصوت جزع: "هل ستتركني يا ساجد بالخارج؟ ابتعد دعني أدخل"، قالتها لتدفعه بالداخل كي تدخل دون أن تلاحظ وقفته المتصلبة ونظراته المتلهفة لرؤية وسن بالخارج.

لم تعطه الفرصة ليتساءل عن سبب عدم وجود وسن بالسيارة إذ قالت بصوت حاد: "ساجد.. ما بك؟ أنا أتحدث معك وأنت غير مبالٍ بما أقول".

التفت نحوها بتوتر قائلًا بسرعة كي ينهي الحوار بينهما علّها تغادر قبل أن تراها وسن: "نعم عمتي أخبريني ما حدث؟".

هنا شهقت عمته فجأة بصوت باك: "نادر يا ساجد.. ابني نادر.. يا إلهي، أريدك أن تنقذه".

سأل بتوتر: "ماذا حدث؟ أخبريني".

قالت وقد علا صوت بكائها: "لقد ألقوا القبض عليه بالخارج، ابني متهم في قضية اغتصاب طفل، ألا لعنهم الله، يأخذون فلذة كبدي ويتهمونه زورًا وظلمًا".

قال ساجد بدهشة: "ماذا؟! ماذا تقولين عمتي؟ متى وكيف حدث هذا؟".

قالت العمة بصوت باك منفعل: "لا أدري، هاتفني صديقه وأخبرني بأنه قبض عليه في جريمة ابني بريء منها، اتهموه زورًا يا ساجد"، ثم رفعت صوتها بالبكاء وهي تضع كفها على وجهها تردد بحرقة: "زورًا وباطلًا".

فتح ساجد فمه لينطق إلا أن صوت سقوط شيء مكتوم على الأرض أجفله لينظر للداخل، وياهول ما رآه، فقد كانت وسن ممدة على الأرض ككومة بالية من الثياب.

صرخ ساجد باسمها فجأة وهو يجري نحوها صارخًا بجزع: "وسن، وسن".

ذهلت عمته وهي ترى فتاة ما على الأرض فقالت بذهول مكفكفة دموعها: "ساجد؟! ماذا تفعل تلك الفتاة في منزلك؟".

صاح ساجد بعنف: "ليست فتاة يا عمتي، إنها زوجتي"، قالها وهو يمد يده يرفع وسن قائلًا بلهفة: "وسن..هل أنتِ مستيقظة؟".

لكن صوت عمته لحقه بدهشة قائلة: "زوجتك؟! ومتى تزوجت يا ساجد؟".

لم يجبها ساجد بينما ينادي بذعر: "وسن، أجيبيني بالله عليكِ، لا تقلقيني هكذا".

فتحت وسن عينيها فجأة لتنتفض بعيدة عنه كالملسوعة تنظر له نظرات مصدومة غير مصدقة بينما تلتمع قطرات الدموع بعينيها تأبى النزول.

فاقترب منها قائلًا بخوف: "وسن، هل أنتِ بخير؟".

هنا كانت عمته قد اقتربت من الفتاة تسأل بقلق: "ساجد، هل زوجتك بخير؟"، ثم وقفت تحدق بصدمة في وجه الفتاة لتقول بعدم تصديق: "أنتِ.. أنتِ.. ماذا تفعلين هنا؟".

تدخل ساجد قائلًا بتوتر: "أخبرتك عمتي إنها زوجتي".

وكأنها أفاقت من صدمتها على كلمة زوجتي فالتفتت نحو ساجد تسأل بعنف: "ماذا، ماذا تقول؟! هل تزوجتها؟".

قال ساجد بقوة وهو يحاول أن ينهض وسن: "نعم عمتي، إنها زوجتي.. تزوجنا بالأمس".

تدخلت وسن بضعف تسأل بغباء: "عمتك؟!.. هل هي عمتك؟".

أمسك ساجد ذراعها قائلًا بتوتر: "نعم يا وسن.. إنها عمتي".

قالت بصوت متقطع بائس: "أي إنك تقرب لـ..."، ثم صمتت لتغمض عينيها بقوة وكأنها تحاول أن تخرج من واقع هجم عليها كالكابوس.

اقترب منها قائلًا بأسى: "كنت سأخبرك يا وسن.. صدقيني.. اليوم كنت سأخبرك بذلك".

فتحت عينيها فجأة لتتلتمع بها نظرات مجنونة قائلة من بين أسنانها بصوت متقطع من هول الصدمة: "كنت ماذا؟.. متى كنت تنوي إخباري بهذه الصدفة القذرة".

توتر صوته فقال وهو يبتلع ريقه: "كنت أحاول إخبارك بكل مرة لم نستطع أن نتبادل بها الحديث، واليوم كنت أنوي إخبارك، أقسم لك".

هتفت فجأة بصراخ عالٍ: "أنت.. أنت.. أنت عديم الأخلاق.. كيف تفعل بي هذا؟ كيف تخدعني هكذا؟".

قال بألم: "وسن.. لم أكن أنوي خداعك، أقسم لكِ".

لكن عمته تدخلت قائلة بغضب: "أنت أخفيت عنها علاقتك بنا؟ لم؟ هل تتبرأ من أهلك من أجل الفتاة؟".

نظرت نحوها وسن بصدمة لتردد خلفها كالمجنونة: "أهلك، هم أهلك"، ثم أعادت نظرها بعنف نحو ساجد لتقول: "نعم، هم أهلك وأخفيت عني ذلك.. أنت خدعتني، أنت مخادع".

قال بهدوء حذر: "وسن صدقيني، لم أكن أنوي أن أفعل بكِ هذا، اسمعيني كي تعرفي أسبابي".

لكن صراخها علا هذه المرة لتقول بعنف: "لقد فعلت يا ساجد، لقد فعلت ولن أسامحك أبدًا أبدًا، ولا أريد سماعك بعد، فقد سمعت ما يكفي منك، سمعت حتى ظننت أن حظي قد اعتدل قليلًا، وصدقت بأن هناك من يحبني فعلًا".

هنا صرخت العمة قائلة بعنف: "أنت.. من تحسبين نفسك يا وجه البومة؟ تصرخين هنا وهناك وكأن لك الحق بذلك بينما المفترض أن تختبئي بجحر بعد ما فعلته بابني المسكين، لقد كان وجهك وجه الشؤم على أسرتنا منذ أن دخلت بيتنا، لقد هرب ابني البائس الذي فعل لك كل مالا تحلم به فتاة وضيعة مثلك وقد كان جزاؤه أن لاحقتيه بالقضايا بسبب غلطة بسيطة ارتكبها بحقك، يالك من عديمة الأصل".

ظلت وسن تنظر نحوها بجنون متصاعد لتصرخ بها فجأة: "أنت تنعتيني بالبومة ووجه الشؤم وعديمة الأصل؟.. ماذا فعلت أنت يا ذات الأصل الذي تتباهين به؟ ألم تسألي ابنك ولو مرة من باب الفضول كيف له أن يطلق بائستين مثلنا في أقل من عام من الزواج دون أن يكون هناك سبب جوهري لذلك؟"، ثم تقدمت نحوها بغضب وهي تقبض كفها على هيئة قبضة متشنجة قائلة بصوت

كاد أن يقرب الصراخ: "ألم تسألي نفسك ذات يوم ولو من باب الشفقة ما ذنب فتاة تركت بيت أهلها ليكون مصيرها في المستشفى بين غرف العمليات والعناية المركزة؟ وقد كان كل ذنبها أن قاومت ما تراه مخالفًا لشرائعها وكل منطق سليم بالعلاقة الزوجية".

قالت عمة ساجد بغضب: "عم تتحدثين، هل أنتِ مجنونة؟".

كانت وسن قد وصلت إلى أسوأ مرحلة من الضغط العصبي، فقالت منفجرة بها دون مراعاة خصوصيات حياتها السابقة والتي حرصت على إخفائها عن الجميع حتى عن أهلها قائلة بجنون: "ألم تسألي نفسك لم كُتب في تقرير حالتي الطبية أنني عذراء؟ ألم تسألي نفسك ولو لمرة كيف كتب أني تعرضت لمحاولة اغتصاب بالرغم من كوني متزوجة، نعم كنت متزوجة من إنسان مريض نفسي شاذ ولم أكن أعلم بمرضه ولم أمتنع عنه إلا حين وجدت أنه يريد علاقة مغلوطة ليست صحيحة أبدًا؟ والآن تتهميني بأنني السبب بتدمير أسرتك التي هي بالمناسبة أسرة مريضة غير سوية، أعتذر منك أيتها السيدة، فلم أتشرف أبدًا بكوني كنت فردًا منها وأتمنى أني لم أكَن".

اقترب منها ساجد قائلًا بأسى: "وسن، اهدئي حبيبتي، أنا لا أريدك أن تغضبي هكذا".

نظرت نحوه لتصرخ به مكملة جنونها: "أنا لست حبيبتك، أنا لست حبيبة أحد، لا تحدثني أبدًا، لن أسامحك طوال عمري، لن أسامحك"، قالتها لتنطلق بعنف مغادرة وهي تصرخ به: "وأقسم لك، لو لحقت بي، سأرمي نفسي أمام أي سيارة مارة لأموت وأرتاح وأريح الدنيا مني".

تجمد ساجد مكانه وهو يراها بتلك الحالة الغريبة من الغضب الأهوج فأسقط كفه جانبًا ليقول بأسى: "وسن، انتظري سأقلك لأي مكان تريدين".

لكنها صفقت الباب خلفها بعنف حتى اهتز زجاجه الملون وكأنه سينكسر، لحقها بقوة وقبل أن يفتح الباب قالت عمته بجنون صارخ: "أهذه هي الفتاة التي قررت أن تكسر عزوبيتك بسببها يا ساجد، لا أصدق.. لا أصدق".

التفت نحو عمته ليقول بنبرات جامدة: "أنا أحبها يا عمتي، إنها مظلومة".

قالت بعنف تصرخ به: "ومن ظلمها يا ساجد؟ أتتهم ابني بأنه ظلمها؟".

قال بنبرات ميتة: "لو رأيتيها بالمشفى قبل أن تحصل على طلاقها يا عمتي لعرفت أنها مظلومة، فلا يوجد سبب بالدنيا يجعل رجلًا يعتدي على فتاة والتي هي بالمناسبة كانت زوجته بكل هذا العنف حتى كاد أن يزهق روحها، صدقيني لا يوجد أي سبب أو مبرر لذلك، فلا تدعي حبك لابنك عمتي يريك الحقيقة بطريقة مغايرة، ثم أنا لم أفهم كلامها بخصوص عذريتها ومحاولات الاغتصاب تلك، أهذا الكلام حقيقي يا عمتي؟".

لم ترد عمته وظلت محدقة به بغضب، لكنه صرخ بها قائلًا: "أهذا حقيقي يا عمتي؟".

أسقط في يد عمته لتقول بغضب بعد صمت دام قليلًا: "مكتوب في تقريرها الطبي هكذا، لكن ما أدراني بأنه ليس كذبًا، فطليقته الأولى لم تشك من شيء".

قال ساجد بغضب متفجر: "اغتصاب يا عمتي، أهكذا وصل الحال بابنك أن يحاول اغتصاب زوجته؟ لبئس ما ربيته يا عمتي!".

قالت العمة بصياح: "اخرس يا عديم الأدب، أتعايرني بتربية ابني، لو كانت الفتاة سوية وسلمت نفسها له بكل طواعية لما حاول اغتصابها، لكنها تمنعت عنه بكل طريقة حتى لم يستطع كبح نفسه، وهو رجل ومن حقه أن ينال زوجته".

بُهت ساجد من مبررات عمته المخيفة لتصرفات ابنها عديم الرجولة ليقول بنبرة غير مصدقة: "الآن عرفت سبب الخلل الذي يعانيه ابنك، إنها تلك العقدة التي تربيها الإناث بداخل الذكور منذ الصغر، بأنه رجل ومن حقه أن يتصرف كما يحلو له فلا يعيبه شيء سوى جيبه، أليس كذلك يا عمتي الحبيبة؟".

ثم قال بغضب هادر: "لو رأيتِ وجه ابنك يا عمتي فربما أكسر له أسنانه وجمجمته حتى أريه طعم الرجولة التي تتباهين بها، ربما أكسر له ضلعًا كما فعل معها حتى أذيقه من نفس الكأس، وتبررين له فعلته، لا أصدق هذا، من أي كوكب أنت؟ هل سمعت يومًا عن الإنسانية؟! لا، لا أظن هذا، فمن تربي ابنًا يحمل كل تلك التشوهات النفسية تعاني هي الأخرى من خلل مثله"، ثم فتح الباب ليقول لها بقوة: "والآن اعذريني عمتي، فلدي زوجة أحاول أن أصلح ما أفسده ابنك بها خذي راحتك بالمنزل، ولا تنسي إغلاق الباب خلفك

حين تغادرين، فزهيرة ليست بالمنزل كما يبدو"، قالها ليخرج مغلقًا الباب خلفه بعنف لا ينم عما يشعر به بداخله من غضب وازدراء.

ازدراء من ذاته لأنه استسهل تأجيل المحتوم حتى يضمن أن وسن أصبحت ملكًا له، فيستطيع أن ينسيها ماضيها بضغطة زر على مشاعرها.

لم يحسب حسابًا للقدر، ولم يحسب حسابًا لكل هذا الألم المختزن داخلها، كان يظن نفسه العالم ببواطن الأمور وأنه يعرف أبعاد علاقتها الماضية بنادر، والتي من المحتمل ألا يكون هناك من يعلم عنها شيئًا بخلاف وسن.

يبدو أنه حاز اليوم على لقب المغفل وبكل جدارة يستحقها.

وأمامه مهمة مستحيلة اليوم ليستطيع أن يسترجع ولو مقدارًا ضئيلًا من ثقتها التي أهدرها اليوم..

وياله من يوم.

* * *

ألقت وسن نفسها بسيارة الأجرة بعنف وهي تقول للسائق عنوان منزل هديل، فقد كان هذا أول ما خطر ببالها.

ما إن انطلقت بها السيارة حتى كانت حالة الجنون التي تلبستها قد زالت مفرجة عن مشاعرها المصدومة المجروحة بقوة.

كانت تحدق أمامها بعينين غائمتين لا تريان شيئًا بينما دموعها كانت تسيل بصمت على وجنتيها دون أن تبدو وكأنها منتبهة لها.

ارتفع رنين هاتفها فأجفلت تمسك هاتفها تطالع شاشته، كان المتصل ساجد لذا أنهت الاتصال دون أن تجب، لكن الهاتف عاود الرنين مرة أخرى بإلحاح، أغلقت الاتصال مرة أخرى لكن بعنف بينما ازداد سيلان الدموع من عينيها لتتحول إلى شهقات مكتومة قدر المستطاع.

حين وصلتها رسالة ساجد المعذب ترجوها أن تطمئنه عليها، كان ما فعلته أن أرسلت له رسالة متألمة فحواها: "لن أغفر لك أبدًا، قلبي يوجعني بما عرضتني له".

قالتها لتغلق هاتفها نهائيًا وتلقيه في حقيبتها بعنف.

كان سائق السيارة ينظر نحوها بإشفاق في مرآته دون أن يتحدث، ولكنه رأى ملامحها تتقلص فجأة وتمد يدها تمسك بموضع قلبها بألم، توتر الرجل فقال بقلق: "آنستي، هل أنتِ بخير؟".

رفعت رأسها تنظر نحوه بألم ووجه شاحب لتقول: "أريد أقرب مستشفى".

فزع الرجل ليقول بخوف: "هل أنتِ بخير؟" .

لكنه حين رأى مظهرها المتخاذل وعينيها المغلقتين أسرع بتغيير مسار السيارة لأقرب مستشفى بالمنطقة.

حين وصل المستشفى هتف بوسن قائلًا: "لقد وصلنا آنستي".

فتحت وسن عينيها باضطراب لتخرج ورقة مالية تمدها له، لكن الرجل قال بتوتر وهو يعيد النقود لكفها: "لا يا آنستي، هل أنتِ بخير؟ هل أدخلكِ للمشفى؟".

هزت رأسها بألم قائلة: "لا لا يوجد داع".

هبطت من السيارة تسير بوهن وكأن عضلاتها لم تعد تقوى على حملها وأمام الباب الخارجي للمستشفى سقطت أرضًا دون مقدمات.

ترجل السائق بسرعة من سيارته ليجري نحوها قائلًا: "يا آنسة، يا آنسة".

لكنها كانت في عالم آخر لا تستجيب لندائه، نادى الرجل بفزع وهو يحملها نحو مدخل الطوارئ أن ينقذها أحد.

أسرعت إليه ممرضة تضعها على سرير نقال تتجه بها نحو حجرة الطوارئ بينما لحقهم طبيب صغير السن يحاول أن يصل لسبب ما حدث، لكن السائق المسكين أجابه بتوتر: "لا أعرف، أنا سائق أجرة وقد كانت تركب معي، أمسكت قلبها فجأة ثم طلبت مني أن أتوجه لأقرب مشفى وحين نزلت سقطت مغشيًا عليها".

توتر الطبيب قائلًا للممرضة أن تحضر المريضة لإجراءات فحص القلب وطلب بعض التحاليل.

تنحى السائق جانبًا يرقب الأجواء بتوتر، وحين اشتد توتره، سلم حقيبة وسن لإحدى الممرضات ثم خرج بسرعة من المستشفى مستقلًا سيارته ليمضي بها بعيدًا.

فهو لم يستطع التحمل أكثر، وبخاصة أن زوجته ماتت بسبب عيب في عضلة القلب ولم يستطع إنقاذها بالوقت المناسب.

* * *

انتصف الليل دون أن تعود وسن إلى شقتها أو تفتح هاتفها، كاد ساجد أن يجن وهو ينتظرها أمام بنايتها السكنية داخل سيارته محاولًا كل عشر دقائق أن يجري اتصالًا هاتفياً بها ليجد أن هاتفها مازال مغلقًا.

اتصل بهديل قائلًا بغضب مشحون: "ألم تتصل بكِ؟".

قالت هديل بتوتر: "لا لم تتصل أو تأتي إليّ".

قال ساجد بيأس مطرقًا على جبهته بعنف: "أين ذهبت؟ يا إلهي سأموت إن حدث لها مكروه".

سألته هديل بقلق: "هل لي أن أعرف ما حدث؟".

لكن ساجد أجاب بتوتر: "ليس الوقت الآن ملائمًا لأن أحكي لك، لكني جرحتها وبشدة"، ثم قال بيأس: "سأتصل بعبد الرحمن، ربما ذهبت لضحى"، قالها ليغلق الهاتف بوجه هديل المصدومة.

أجرى اتصاله بعبد الرحمن الذي قال بتوتر: "ألم تجدها بعد؟".

قال ساجد بألم: "لا، ألم تتصل بضحى؟".

قال عبد الرحمن: "ضحى أخبرتني بأنها لم تتصل بها".

شد ساجد شعره قائلًا بجنون: "يا إلهي، ماذا فعلت بها؟ يا إلهي، لن أسامح نفسي إن حدث لها مكروه".

قال عبد الرحمن بهدوء: "اهدأ يا ساجد، فلن يكون بصالحها إن أصابك الجنون الآن، نحتاج لتفكير إيجابي، هل لها أقرباء؟".

رد ساجد ببؤس: "على حد علمي لا".

قال عبد الرحمن بحذر: "هل نبحث بالمستشفيات؟ ربما يكون قد حدث لها مكروه".

قال ساجد بشهقة فزعة: "يا إلهي، يا إلهي".

لكن عبد الرحمن قال يعنفه: "ساجد، تمالك نفسك يا رجل، نحتاج أن نفكر بالمنطق، هل لك أن تخبرني ما حدث؟".

ضرب ساجد على جبهته شارحًا بيأس ما حدث.

قال عبد الرحمن بهدوء محللًا كلام ساجد إلى معطيات: "إذن تشاجرتما وذهبت غاضبة.. أين كان الشجار؟".

قال ساجد ببؤس: "كان في منزلي"، ثم تدارك الحديث قائلًا: "لكن لم يحدث ما يتبادر إلى ذهنك، لقد كان شجار لسبب شخصي".

قال عبد الرحمن بتأنيب: "لا يهم السبب، المهم أن نجدها يا ساجد".

قال ساجد بأسى: "نعم المهم أن نجدها بخير".

* * *

رنين هاتف هديل جعلها تهرع إليه بقلب خافق لتجد أن المتصل هو هاتف وسن.

أجابت الاتصال قائلة بجزع: "وسن، أين أنتِ؟".

لكن الصوت الذي صفع أذنها لم يكن صوت وسن، كان صوتًا أنثويًا آخر قال بهدوء: "لست وسن، أنا أتحدث بالنيابة عنها..

صديقتك بخير، هي تحت تأثير المهدئ فقط وطلبت مني أن أحدثك لأطمئنك أنها بخير".

قالت هديل بجزع متزايد: "مهدئ!! ما بها وسن؟ هل يمكنك أن تخبريني؟".

قالت الممرضة: "لقد كانت مصابة بحالة هستيرية أصابتها بازدياد ضربات القلب وإغماء، لكنها ما إن تحسنت حتى طلبت مني أن أحدثك لأطمئنك بأنها بخير".

قالت هديل بشهقة جزعة: "حبيبتي وحيدة بالمستشفى دون رفيق، أخبريني أين هي وسوف آتي حالًا".

قالت الممرضة بلهجة تحذيرية: "سأخبرك أنتِ فقط، لا أنصحك أن يأتي أحد آخر، فقد كانت هذه رغبتها".

قالت هديل بسرعة: "أعدك.. سآتي أنا وحدي فقط.. أخبريني أين هي؟".

أملتها الممرضة عنوان المستشفى، أغلقت هديل الاتصال، ثم أسرعت دون أن تهتم بتغيير ملابسها التي كانت ترتديها كي تخرج سريعًا.

رآها والدها تخرج فسأل بدهشة: "هديل أين تذهبين وحدك في تلك الساعة؟".

قالت بسرعة دون أن تهتم بالوقوف للتحدث معه: "سأذهب لوسن.. تخيل إنها وحيدة بالمستشفى كل هذا الوقت ونحن نبحث عنها".

قال والدها بصدمة: "لا حول ولا قوة إلا بالله، انتظري سأوصلك فلا يصح ذهابك وحدك بهذه الساعة".

توقفت لتقول بتوتر: "حسنًا أسرع، وسأنتظرك".

تناول والدها مفتاح سيارته ليخرج خلفها قائلًا: "هيا بنا".

رمت هديل نفسها بالسيارة بعنف، ومع انطلاقة السيارة قفز إلى ذهنها ساجد وبحثه عن وسن طوال الوقت.

رفعت هاتفها تجري اتصالًا به، وعندما سمعت صوته المجهد القلق قالت بخفوت: "ساجد، لقد عرفت مكان وسن".

وصلها صوته المقتول تلهفًا قائلًا: "أين؟".

قالت بلهجة حذرة: " أولًا عدني أن تسمع كلامي بتأني حتى لا تؤذها يا ساجد، إذ يبدو أن شجاركما أثرعليها سلبًا".

قال بصدمة: "أخبريني ما بها يا هديل؟".

قالت بأسى: "لقد حدثتني ممرضة مخبرة إياي بأنها أصيبت بإغماء هستيري وأنها تحت تأثير المهدئات الآن، لكنها طلبت مني عدم حضور أي شخص آخر يا ساجد وأكدت علي بذلك".

قال ساجد وقد طعنته الصدمة بالصميم: "ماذا تقولين؟ هل طلبت عدم حضوري؟ هل هي مصابة بالإغماء؟ يا إلهي، يا إلهي".

أشفقت هديل عليه أن يصيبه مكروه فقالت بحزم: "لا تقلق، أنا بطريقي إليها.. سأطمئنك على أخبارها ما إن أصل إليها".

قال ساجد بترجي: "أخبريني أين مكانها؟ أعدك ألا أريها وجهي، أريد فقط أن أطمئن عليها".

قالت برفض: "ساجد لا أستطيع، لا أريد إيذائها أكثر".

قال بسرعة وتلهف: "أعدك يا هديل، لن أؤذيها.. يكفي أن أكون بجانبها".

صمتت هديل مفكرة ثم قالت: "حسنًا سأخبرك يا ساجد، فلا أستطيع تركك هكذا طوال الليل.. مهما كان ذنبك تجاهها فأنا واثقة بأنها ستسامحك".

تلقى ساجد الكلمة كاللكمة بمعدته فصمت ببؤس وهو يقول بسره: "أنا لن أسامح نفسي على ما تسببت به لها"، ثم رفع صوته قائلًا بسخرية بائسة: "نعم، أتعشم هذا قبل مماتي".

تلقى منها عنوان المستشفى، ثم انطلق كالمجنون يقطع الطريق حتى يستطيع الوصول بسرعة.

كان على وشك الإصابة بنوبة قلبية جراء قلقه وإحساسه بالذنب تجاهها، لقد كانت حبيبته طوال اليوم بالمستشفى وهو كالمغفل ظن بأنها غاضبة منه فظلت بالخارج كي تهدأ.

أخذ يضرب مقود السيارة بجنون شاتمًا نفسه بأقذع الشتائم وقد ساعده الحظ بأن الشوارع شبه خالية بهذا التوقيت كي لا يقتل نفسه.

* * *

عندما وصل ساجد للمستشفى وجد هديل تتكلم مع الممرضة خارج غرفة وسن، توجه نحوها قائلًا بتوتر: "كيف حالها؟".

رمقته الممرضة بنظره مستفهمة، فقال بنبرة متعجلة: "مرحبًا أنا زوجها".

حدجته الممرضة بنظرة غريبة، ثم التفتت نحو هديل قائلة بتقرير: " لم تتحدث أبدًا، كل ما قالته أن طلبت مني مكالمتك فقط حينما أفاقت من إغمائها، ثم دخلت بنوبة بكاء غير منقطع اضطر معها الطبيب أن يعطيها المهدئات قائلًا إنها ربما تمر بأزمة نفسية أو ما شابه، لذا حدثتك ما إن اطمئننا على حالتها".

قال ساجد بلهفة مذعورة: "وكيف حالها الآن؟".

قالت الممرضة بلهجة عادية: "إنها بخير، فقط نائمة".

قال ساجد بلهجة يائسة: "هل أستطيع رؤيتها؟ أريد فقط أن أطمئن عليها".

عقدت الممرضة حاجبيها قائلة: "لقد حذر الطبيب من تعرضها لشيء يضايقها فتعود للانهيار مرة أخرى".

لكن ساجد قال بلهجة بائسة: "لن أعرضها لما يسؤوها، أنا زوجها، فقط أريد رؤيتها بخير".

نظرت الممرضة نحو هديل متسائلة، فأومأت هديل برأسها على الموافقة وهي تنظر لساجد بشفقة، لا تدري ما الذي حدث بينهما وآلم وسن إلى هذا الحد، لكنها الآن باتت متأكدة من عشق ساجد لها وإن كان آذاها دون قصد منه، فربما لأن عشقه لها أعماه عما يؤلمها.

أشارت الممرضة نحو غرفة وسن قائلة بحيادية: "هذه غرفتها، لكن أحذرك..لا توقظها، مسموح لك بعشر دقائق فقط".

دلف ساجد إلى الغرفة بقلب خافق، رأى وسن بين أغطية الفراش البيضاء نائمة كالفراشة الرقيقة، اقترب بوجل ينظر لوجهها الشاحب وعينيها المتورمتين بحزن دفين يقطع شرايين قلبه.

ظل يقف بجوار فراشها متسمراً وكأنه تحول لتمثال من الشمع يخشى من أخذ أنفاسه فيوقظها.

مال نحوها مس بشفتيه جبهتها في حركة تكاد لا تحس ليقول بآهة مكبوتة: "سامحيني يا وسن، اغفري لي خطأي تجاهك".

رأى ملامحها تتجعد وكأنها شعرت بوجوده فاستقام ينظر نحوها بوجل وقد شعر بغصة تذبح قلبه المكلوم، رأى شفتيها تتحركان بهمس فاقترب بأذنه منها مرة أخرى يستمع لما تقول، لكنها كانت تتأوه متمتة: "هديل، أين أنتِ؟.. أريد أبي، أريد أمي، لقد تعبت".

ارتد للخلف كالمصعوق وكأنه لم يتوقع أن تطلب الغوث من الأموات، لكن صوت تأوهها علا بنحيب متقطع.

دخلت الممرضة تتبعها هديل، ابتعد عن الفراش بخطوات متعثرة ليقف بآخر الحجرة، نظرت نحوه هديل نظرة متعاطفة لتتجاوزه مقتربة من وسن قائلة بهمس: "اهدئي يا وسن أنا هنا حبيبتي بجوارك".

وكأنها كانت تنتظر سماع صوت هديل لتهدأ أنفاسها مرة أخرى فتتمتم بخفوت: "أريد أبي، أريد أمي".

ربتت هديل على كفها بحنو قائلة: "حسنًا حبيبتي، اهدئي الآن".

هدأت وانتظمت أنفاسها لتعود لنومها مجددًا، لم يتحمل ساجد، مسح عينيه سريعًا قبل أن يلاحظ أحد دموعه المتجمعة تنذر بالهبوب.

خرج من الغرفة بهدوء دون أن يلاحظه أحد، انسحب عائدًا إلى سيارته بصمت ليرتمي على مقعدها بلا حراك عالمًا أنه ربما خسر وسن، للأبد.

* * *

كانت وسن تجري برعب وساجد يلاحقها مناديًا بذعر: "وسن انتظري، انتظري لا تذهبي".

لكنها كانت تقول بغضب متصاعد: "اذهب، لا أريدك، أنا لا أريدك أبدًا".

نادى ساجد بخوف بينما المسافة تتسع بينهما: "أرجوك يا وسن، أعطني الفرصة لأشرح لك، لم أقصد، لكنها سقطت فجأة أرَضًا، وحين اقترب منها وجد الأرض تتشقق حوله لتتسع هوة سوداء مخيفة أخذت تفصل بينهما بسرعة".

أخذ يصرخ مادًا يده بلهفة: "تمسكي يا وسن بيدي، سأنقذك، لن أتركك وحدك".

ظلت الهوة تتسع بينهما يصاحبها صوت قعقعة تطرق بجوار رأسه دون أن يعرف مصدرها.

وضع ساجد يدِه على أذنه كي يخفف من وقع الطرقات بجوارهما لكن ضوءا كان يغمر وجهه ويضايقه.

فجأة فتح عينيه ليطالعه شروق الشمس بالسماء، شعر بأن كل عظام جسده تؤلمه وتئن من الحركة.

كان النعاس قد غلبه بينما ما يزال في سيارته في ساحة انتظار السيارات بالمستشفى، لكن تعالى الطرقات بجوار رأسه أجفله مرة أخرى لينظر للنافذة فيجد أحد حراس الأمن يطرق النافذة بإصرار.

فتح النافذة ليسأل بصوت مازال يغلفه النعاس: "نعم؟".

قال الرجل بغلظة: "غير مسموح بالنوم داخل ساحة الانتظار، يمكنك الذهاب للنوم بمنزلك".

قال ساجد محاولًا تصفية ذهنه: "زوجتي محتجزة بالمستشفى".

قال الرجل بلهجة أقل غلظة: "يمكنك الصعود والبقاء معها بغرفتها، لا أن تنام بالسيارة".

رد ساجد بحدة: "حسنًا سأصعد".

رمقه الرجل بنظرة سريعة، ثم استدار وأكمل جولته البائسة بالساحة.

أغلق ساجد النافذة مرة أخرىٍ ليعود فيسند رأسه على المقعد بتكاسل وقد عقد حاجبيه ناظرًا لساعة السيارة التي تشير إلى السابعة.

أمسك هاتفه يقلبه بتردد، هل يتصل بهديل يسألها عن وسن أم يتصل بوسن ليرى إن كانت ستجيب على اتصاله.

استقر رأيه على الاتصال بهاتف هديل، أجرى الاتصال بهديل التي أجابت بعد عدة رنات بصوت ناعس: "آلو، نعم يا سيد ساجد، وسن بخير.. لقد أخبرتنا الممرضة بأنها ستخرج ما إن يكتب لها الطبيب تذكرة الخروج، نعم، نحن ننتظر مروره الصباحي ثمِ سنذهب.. لا لا تخش عليها فهي تبدو بخير، لقد استيقظت فجرا، ثم عادت للنوم مجددًا، نعم، سأطمئنك عليها مرة أخرى حين نرحل".

أغلق ساجد الهاتف بشرود يفكر ما هي الخطوة التي من المفترض أن يخطوها.

استقر رأيه على الذهاب لمنزله للاستعداد للذهاب للعمل، فلن يفيدها أو يفيده البقاء بالسيارة هكذا.. ربما مساء سيحاول أن يصلح ما أفسده بغبائه أمس.

انطلق بسيارته في صمت محاولًا أن يجد طريقة أو عذر يحسن به ما ارتكبه بحقها، ربما تغفر له إن كانت تحمل له بقلبها ذرة حب، إن كانت تملك.

* * *

استقرت وسن على فراشها بالمنزل قائلة لهديل: "اذهبي أنتِ لعملك يا هديل فسأغفو قليلًا".

نظرت نحوها هديل بحاجبين معقودين قائلة: "لا أستطيع تركك يا وسن".

ضحكت وسن بتصنع قائلة: "سأنام يا هديل، فما الفائدة من بقائك معي؟".

قالت هديل بتشكك: "ربما احتجتِ وجودي لأي سبب".

قالت وسن بإقناع: "أنا بخير يا هديل، لا داعي للمبالغة، مجرد أزمة ومرت بخير".

قالت هديل ومازالت مصرة على تشكيكها: "ربما أصابك الإغماء مرة أخرى، أو ربما تحتاجين للصحبة كي لا تتضايقي من التفكير".

دفعتها وسن بلطف قائلة: "لا لن يحدث لي شيء، اذهبي أنتِ للعمل، إذا حدث ما يسيئ فسأهاتفك".

نظرت نحوها ومازال الشك يطفو على ملامحها، لكن وسن قالت تقطع عليها التفكير: " اذهبي فلا يصح أن تتركي أول عمل لكِ وحدكِ دون إشراف مني وتجلسين لملاطفتي، أريد أن يثق بالتزامكِ السيد عدنان".

نهضت هديل بتردد قائلة: "حسناً، لكن عديني إن حدث ما يسوؤك أن تهاتفيني".

تبسمت وسن قائلة: "نعم سوف أفعل".

أخيراً خرجت هديل مغلقة الباب خلفها فتنهدت وسن الصعداء لتعود وتستلقي باسترخاء على فراشها تفكر بالمصيبة التي وجدت نفسها محشورة بداخلها.

كانت تشعر بالصدمة، وكأن حياتها السابقة والتي كلفتها أعواماً حتى ترميها ولو جزئياً خلفها عادت تطاردها بقوة.

شعرت وكأنها أُنتهكت روحيًا بشكل بشع، مشاعرها الوليدة تجاه ساجد أُنتهكت وبقوة، كانت تظن أن الحظ قد تبسم لها أخيرًا بظهور ساجد بحياتها، ساجد الذي لم يتوان لحظة عن إظهار محبته وعشقه لها، كان دائمًا ما يخبرها بأنه يعلم عنها أكثر مما تستطيع تخمينه، لكنها بغبائها ظنت بأنه كلام المحبين، لا تدري لم لم تنتبه إلى هذه المعلومة وتأخذها على محمل الجد، ربما لأنها لم تتخيل أبدًا بأن يكون هذا المتفان في حبه ينتمي بصلة قرابة لتلك الأسرة التي حطمتها.

انقلبت على جانبها وانكمشت ضامة ساقيها إلى جسدها وكأنها تحتوي نفسها، تحتضنها مربتة عليها كي تهدئها، نعم هي تحتاج إلى من يضمها إلى حضنه ويمتص آلامها.

تمتمت بأسى: "لماذا يا ساجد؟! لم فعلت بي هذا؟".

أجابها عقلها: "وهل لو كنت عرفت بحقيقة صلته بنادر لمنحته فرصة للتقرب؟".

أغلقت عينيها ببؤس واضعة كفيها على وجهها قائلة: "ولو بعد ألف سنة، ما كنت لأقبل بأن أربط نفسي بماض فررت منه بعد أن أعيتني المقاومة".

انتفضت وهي تتذكر ماضيها المؤسف، تتذكر ليلة العرس، تلك الليلة التي غيرت مسار حياتها فيما بعد للأبد، بعد أن كانت تمني نفسها كأي عروس تحلم بليلة زفاف أسطورية، نعم كانت منعدمة الثقافة فيما يخص العلاقة الزوجية إلا أنها كانت تعرف أبجديتها السليمة.

ظلت تنتظر بغرفتها بعد أن بدلت ملابسها، لكن بعد طول وحدتها خرجت لتجد نادر مستلقيًا على الأريكة أمام التلفاز، اقتربت منه بوجل تغالب حياءها وتضم روبها الطويل على جسدها النحيل قائلة بخفوت: "نادر.. هل نمت؟".

انتفض ناظرًا إليها بعنف وكأنه لم يتوقع أن يراها أمامه، لكنه أجاب بخشونة وهو ينظر نحوها نظرة غريبة: "لا لم أنم بعد".

قالت بتحير: "لم أنت بالخارج؟.. ألن تنام بالفراش؟".

انتصب ببطء على الأريكة وقد تعمقت النظرة الغريبة التي يرمقها بها قائلًا: "هل تريدينني معك؟".

أطرقت بحياء وقد غزا الخجل ملامحها قائلة بتلعثم: "نعم.. لا أقصد أن.. أقصد لا أريدك أن تنام خارج الفراش وحيدًا".

نهض بتثاقل قائلًا بنبرة بطيئة: "لم أحب فقط أن أوترك بأول ليلة"، ثم اقترب منها ببطء ملامسًا خصلة من شعرها على جانب وجهها قائلًا: "تبدين جميلة.. جميلة للغاية".

رمقته بخجل لتستدير وتدخل الغرفة يتبعها بخطوات متراخية، ثم توقف عند باب الغرفة، التفتت تنظر له بتعجب لتجده يحدق بها بنظرة لم تفهمها لربما لقلة خبرتها والتي عرفت معناها فيما بعد وأصبحت ناقوسًا للخطر.

حين استلقت على الفراش تبعها بصمت مندسًا بجوارها، وحينما أعطته ظهرها، شعرت به يتقرب منها حتى يلامسها من الخلف، تشنجت، لكنه بدأ يتودد إليها بطريقة أنفرتها، كانت تود الهروب

من جانبه لكنه كان قد أحكم السيطرة عليها، وعندما بدأ خوفها وذعرها يصلان لمرحلة لم تصلها من قبل، كان هو قد بدأ يفقد السيطرة على نفسه مكبلًا إياها منتهكًا جسدها وقبله روحها بطريقة لم تسمع بها إلا لمن يعانون خللًا نفسيًا يجعلهم يغيرون الطريقة السوية للعلاقة الطبيعية، والأعجب من ذلك أن صرخاتها كانت تزيده انتشاء وجنونًا.

حين انتهى وعاد إليه وعيه، أخذ يقسم لها بأنه لم يقصد أن يخيفها وأنه أخطأ دون قصد منه ولن تتكرر تلك العلاقة بهذه الطريقة مرة أخرى.

لكن بالمرة التي تليها تكرر نفس الشيء وتكرر نفس الاعتذار السخيف، وبالمرة التي تليها تكررت نفس الطريقة، حينها علمت بأنها تزوجت من شخص يعاني من خلل ما.

أصبحت تتهرب منه وحينما يفقد السيطرة على نفسه كان ينتهكها اقتدارًا وعنفًا حتى تطور الوضع لأن يأخذها عنوة بعد أن يضربها فيفقدها المقاومة.

وبآخر مرة كانت قد توصلت لأن تهدده بأنها ستفضحه علنًا وستطلب الطلاق منه، وحينها ستطلب من الطبيب أن يعاينها ليثبت صحة كلامها.

اعتذر لها وابتعد عنها مدة، وفي تلك الأثناء كان قد أصبح شاحبًا قليل الكلام وقليل الاحتكاك بمن حوله، استمتعت وسن بالهدنة التي حصلت عليها بعد أن أصبحت تنام بالغرفة وحيدة وتغلق الباب عليها بالمفتاح من الداخل.

عندها زارتها حماتها وأسمعتها مالا يسر أذن أن تسمعه، متهمة إياها بأبشع التهم، وأنها كزوجة عليها أن تطيع زوجها وتسعده.

لم ترد عليها وسن واكتفت بالصمت، كانت بداخلها قد استقرت على طلب الطلاق بعد أن جربت في تلك الهدنة معنى العيش بسلام دون انتهاك جسدها وروحها وإحساسها بالقذارة والنجاسة.

لذا قررت أن تجهز حقيبتها بملابسها وتذهب بها لمنزل والديها عند خروجه للعمل بالصباح، لكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن.

عندما أعدت حقيبتها خرجت بحذر من غرفتها كي تتأكد من ذهابه للعمل، وعندما لم تجده بالخارج تنفست الصعداء لتعود لغرفتها مرة أخرى كي تبدل ملابسها وتخرج.

فوجئت به في الغرفة ينظر باستهتار إليها قائلًا بسخرية: "أين تذهبين يا حرمي المصون متسللة هكذا؟".

أجفلت قائلة بتوتر: "ليس إلى أي مكان".

نظر نحو ملابس نومها ليقول بسخرية مكتومة: "هل تمتنعين عني وتتجولين هكذا كي تثيري غيظي".

نظرت نحو ملابسها لتقول بحذر: "لا أريد إثارتك بأي شكل من الأشكال، أنا فقط ظننتك في العمل".

اقترب منها قائلًا بهياج مكبوت: "لا، لقد قررت أن أتغيب اليوم لأجالس زوجتي الحبيبة التي تبعدني عنها بكل قسوة".

توترت أكثر وهي تبتعد عنه قائلة بحنق: "أنا لم أمتنع عنك بإرادتي، أنت من أجبرني على ذلك، أنت تؤلمني وتهينني بكل مرة أستسلم لك بها".

قال بمداهنة: " لو جربتِ أن تستمتعي معي لأدمنتي علاقتي بكِ يا وسن، أنا أحبك بتلك الطَريقة".

قالت بقرف: "لا أريد حبك يا نادر، أنا أقرف من العلاقة معك بكل أشكالها ولن أخسر آخرتي كي أمتعك بالدنيا".

قال لها وقد بدأ صبره ينفد: "فقط جربي من باب إسعاد زوجك وعدم الامتناع عنه، ألا تعلمين أنكِ إذا امتنعتي عني فسوف تغضبين ربك".

صاحت بذهول متقزز: "أنت تخبرني عن علاقتي بربي بينما أنت تفعل ما حرمه شرع ربي، أنت مريض وتحتاج علاجًا نفسيًا مكثفًا، ابتعد، فأنا لم أعد أتحمل كل هذا الخوف والضغط النفسي".

قال وقد بدأ مؤشر الاتزان يتذبذب لديه: "ومن سيسمح لكِ بالابتعاد، لقد امتلكتك يا وسن يوم امتلكت جسدك، صدقيني أنتِ تثيريني بطريقة غير مألوفة، أحب ما أفعله معك وبشدة، حتى وأنتِ تقاومينني تزيدين إثارتي".

صرخت وسن بجنون: "ابتعد أيها المريض، لا تقرب مني، لن أسمح لك بتكرار امتهاني".

لكنه كان قد فقد كل تعقله وهو يهجم عليها ممزقًا ملابس نومها صافعًا إياها بكل قوته، كانت تقاومه بشراسة وبعنف خلفه

كل إحساس تولد لديها بالمهانة من المرات السابقة، لكن عنفها وشراستها ولدا لديه جنونًا مطبق".

كان يضربها بكل قوة وعندما سقطت أرضًا ضربها بقدمه مرتين على صدرها، ثم ارتمى فوقها يشبع بها رغباته الحيوانية المتوحشة المريضة.

كانت قد أعيتها المقاومة وآلام صدرها الشديدة، فاستسلمت كالميتة وعندما انتهى وشعرت به يغادر الغرفة، زحفت حتى وصلت هاتفها الملقى على حافة السرير، التقطته بصعوبة لترتمي مرة أخرى على الأرض تنازع دوارها وآلام صدرها القاتلة وصعوبة أخذ أنفاسها لتتصل بأخيها ثم تغيب عن الوعي بعدها وكأنها تتمنى الموت كي تهرب من واقع ظلمها.. أشد ظلم.

* * *

شعر عبد الرحمن بالأسى لحال ساجد، قرر أن يؤجل أعماله لليوم ليزوره بالمكتب، فقد كان يعلم مقدار اليأس الذي يعايشه الآن.

أخبره ساجد بالأمس الوضع الذي وجد نفسه به بسبب عدم إخباره لوسن عن صلة قرابته لطليقها السابق.

لم يعنفه عبد الرحمن كعادته، فيكفيه حالة الضياع التي يعيشها الآن، ولقد كانت دهشته مضاعفة عندما علم أن وسن هي الفتاة التي عشقها ساجد من سنوات دون أن يخبر أحد عن كينونتها.

كان عبد الرحمن يعلم حينها أن صديقه وقع في هوى فتاة ظروفها غير مناسبة للارتباط بها، ولكم نصح ساجد بالابتعاد عن محيطها وإيجاد فتاة أخرى يتزوجها كي تنسيه حبه البائس آنذاك، ثم تعافى صديقه أو هكذا كان يظن حتى أخبره بالأمس أن وسن كانت ومازالت هي فتاة أحلامه، حينها علم عبد الرحمن مقدار البؤس الذي يعيشه ساجد الآن.

صعد إلى طابق الشركة ولوهلة مرت بخاطره هديل، وجد نفسه يتساءل بصمت هل حضرت اليوم للعمل أم ظلت بجوار صديقتها.

كان بداخله أمل على استحياء أن يراها، لكنه زجر نفسه متسائلًا عما دهاه، فلم تكن هديل سوى فتاة سليطة اللسان طفولية التعابير ومحيرة، ثم صدم من طريقة تفكيره وهو يقولبها في قالب الأنثى الفاتنة بوجه طفولي وتفكير ناضج يغاير الانطباع الأولي عنها.

نفض رأسه قائلًا بحزم: "ركز يا عبد الرحمن، ركز.. أنت هنا لمؤازرة صديقك وليس للعبث".

وكأن من تعبث بأفكاره الآن قررت أن تتمادى بأن تظهر أمام عينه وهو بطريقه إلى مكتب ساجد.

كانت تلم شعرها الفاحم السواد بذيل حصان قصير يهتز خلف رأسه بخطواتها السريعة، تسير أمامه مرتدية حذاء رياضي وبنطال من الجينز ملتصق بتضاريسها التي لا تخفيها تلك البلوزة الحمراء الفاقعة اللون المنتهية تحت حافة البنطال بقليل.

نظر إليها بعبوس وهو يهتف بسره: "وقحة وقليلة الحياء، أهذه ملابس تخرج بها من منزلها، لو كان لي سلطان عليها لكسرت عظامها قبل أن تخرج هكذا".

فبالرغم من نحافة قامتها إلا إنها كانت مكتملة الأنوثة بقامة طويلة فارعة على الرغم من ارتدائها حذاء أرضي.

شعر بأنه قد أصابت عقله لوثة بكل هذه الأفكار السافرة التي تخطر بباله، لذلك قرر أن يستدير ريثما تختفي من أمامه، ربما ذات مرة يحرجها فتمتنع عن ارتداء مثل هذه الملابس الفاضحة.

عندما اختفت من أمامه تنفس الصعداء وكأنه كان يعيش كابوسه الخاص، خاطب نفسه بقلق: "ما بك يا عبد الرحمن؟ إنها فتاة كأي فتاة، لا تعط الموضوع أكبر من حجمه".

ألقى التحية على سكرتيرة مكتب ساجد بوجوم على غير العادة، ثم طرق الباب ليدخل لكن لسوء حظه وجد مكتملة الأنوثة بالداخل تقف أمام مكتب ساجد بينما تميل على الأرض تلتقط ورقة بالتأكيد سقطت منها.

تسمر ناظرًا نحوها بغضب، رآه ساجد الذي كان يقرأ ملفًا بيده فقال بهدوء: "تفضل يا عبد الرحمن".

ما إن سمعت الاسم حتى استقامت فجأة كالملدوغة، رمقها بنظرة قاتلة لكنه تجاهلها وهو يقترب من ساجد قائلًا: "هل أنت بخير؟ لقد مررت لأراك".

نظر ساجد بفتور إلى الملف بيده قائلًا: "نعم بخير، أنهي بعض العمل أولًا ثم سنتحدث".

قالت هديل ببساطة: "هل أذهب الآن وأعود فيما بعد سيد ساجد؟".

قال ساجد بهزة من رأسه لا، لكنه عاد وتكلم قائلًا: "يمكنك الجلوس فسأنتهي سريعًا".

جلس عبد الرحمن بالكرسي المقابل لهديل أمام مكتب ساجد، وعندما لاحظ أن صمته خرج إلى حيز قلة الذوق قال بهدوء: "كيف حالك آنسة هديل؟".

ردت بهدوء مماثل دون أن تنظر نحوه: "بخير، كيف حال ضحى؟ وكيف حال والدك؟".

رد بعد تفكير: "إنهما بخير، سيخرج والدي اليوم من المستشفى".

قالت هديل بعفوية: "عظيم، ربما أكلم ضحى لو احتاجت شيئًا".

هز رأسه بصمت دون أن يجيب، فعادت هديل للصمت مرة أخرى وهي تتشاغل بالنظر إلى الورقة التي بيدها بتركيز.

فجأة مال عبد الرحمن نحوها قائلًا بهمس وكأنه لم يعد يستطع منع كباح نفسه: "لو كنت مكان والدك لما سمحت لكِ أبدًا بالخروج من المنزل بتلك الملابس".

رفعت عينها مصدومة تنظر إليه وقد فتحت فمها ببلاهة ثم بدأ الاحمرار يغزو محياها بينما رمشت عيناها السوداوتان عدة مرات لتتمالك نفسها ثم تجيب بصدمة حانقة: "ماذا؟!".

هز كتفيه بلا مبالاة قائلًا: "فقط اعتبريها نصيحة من أخ أكبر، ملابسك تثير الفتنة دون اعتبار لأحد".

نظرت نحو ملابسها بحنق لتقول له بغيظ مكبوت: "لولا إننا بمكتب مديري لكنت أسمعتك ما لا تحب".

سألها بغيظ: "لماذا؟!!.. لم أقل ما يسيئك.. أخبرتك أن ملابسك لا تناسب الخروج من المنزل بها، هل تعتبرين كلامي إهانة؟".

قالت من بين أسنانها وهي ترمقه شذرًا: "نعم إهانة، لا يحق لك أن تعلق على ملابس فتاة أو عن شكلها، وسأخبرك أن تحتفظ برأيك لنفسك، فلست ولي أمري"، ثم عادت لتضيف بحنق: "وليكن بعلمك أنا لا أخرج بها، لكني كنت أرتديها حين وصلني اتصال وسن من المستشفى فلم أملك الوقت لتبديلها أمس واليوم أتيت من المستشفى إلى هنا".

قال بفظاظة: "حسنًا، هذه المرة عذرك مقبول".

عادت لترمقه بدهشة مرة أخرى، ثم قالت بتأكيد مذهول: "أنت مصاب".

قال بحيرة: "مصاب؟!".

أشارت إلى رأسها مؤكدة بينما تعود لتسند ظهرها إلى المقعد قائلة بصوت مشدود من الحنق: "هنا".

عقد حاجبيه قائلًا وقد ارتفع صوته بعض الشيء بحدة: "تقصدين أني مجنون؟".

نظرت بسرعة نحو ساجد لتجد أنه وضع الملف على المكتب بينما يبدو أنه كان يستمع لحوارهما الهامس منذ فترة، إذ كان هناك شبح ابتسامة مكتومة تتلاعب على شفتيه تنذر بأن تخرج بوضوح كقهقهة مرتفعة، وكأنه يتسلى بعرض كوميدي أمامه.

قالت هديل تنهي الحوار بينها وبين عبد الرحمن: "سيد ساجد، هل أنهيت الورق؟".

ناولها ساجد الملف بصمت بينما تتلاعب الابتسامة على محياه دون أن يتحدث، التقطت هديل الملف لتستقيم من مقعدها وتستدير بشموخ بينما في الخفاء تحاول أن تشد بلوزتها للأسفل ربما استطالت قليلًا تداري جسدها، لكن البلوزة المسكينة كانت عاجزة عن تحقيق تلك الرغبة.. مثيرة خجل هديل وحنق عبد الرحمن.

❋ ❋ ❋

الفصل الخامس عشر

شعرت هديل بالحنق، فهذه المرة الثانية التي يعلق لها عبد الرحمن على ملابسها، نعم هي تشعر بالانجذاب نحوه قليلًا ونحو طريقته العفوية تلك، لكن ليس لدرجة أن تسمح له بالتدخل في حياتها بهذه الطريقة السافرة.

خرجت من مكتبها تشعر بالضيق فتوجهت نحو الكافيتريا التابعة للشركة تطلب العون بفنجان من القهوة.

استقرت على المائدة المستديرة تحدق بجمود بسطح فنجانها دون أن تمسه، تشعر بالإرهاق والصداع القاتل يعصف برأسها، تعرف هذا الصداع الناجم عن الإرهاق، فهي لم تنم بالأمس، فقط غفت ساعة أو أزيد قليلًا على المقعد المجاور لفراش وسن.

مدت يدها ترشف قليلًا من الفنجان وعندما كانت تضعه على الطاولة أجفلها صوته قائلًا: "هل يمكننا التحدث؟".

سقطت بضع قطرات من الفنجان على الطاولة قبل أن ترفع عينيها نحوه عابسة، لكنها قالت بالرغم من ذلك: "تفضل".

سحب كرسيه جالسًا أمامها ينظر نحوها بصمت وعندما شعرت بالضيق من نظراته تشاغلت برشف فنجانها مرة أخرى.

عندما وجد صوته قال بلهجة حادة: "آسف إن ضايقتك".

رفعت عينها نحوه قائلة بتعجب مغتاظ: "هل هذا اعتذار مكابر؟".

قال بنفي: "لا ليست مكابرة، من المفترض ألا أتدخل بخصوصياتك لكني لوهلة فقدت التركيز ووضعتك بنفس المكانة مع أختي ضحى".

ظلت تنظر نحوه رافعة حاجبًا غير مصدق وكأن وضعه لها تحت مسمى الأخوية ضرب أنوثتها في مقتل، لذا قالت بعنف: "وضعتني مع ضحى؟!".

نظر نحوها بضيق قائلًا: "اعتبريه غباء مني وانتهينا".

نظرت له بوجوم ثم قالت متشاغلة بالنقر على الطاولة: "نعم، تلقي اعتذارك بوجهي بطريقة فظة وتطلب مني أن أقبله"، ثم رفعت عينيها إليه قائلة بسخرية: "ينقص أن تقتلع لي أظافري لجرأتي على رفضه".

كانت تشعر بالحنق وكأنه بدلًا من أن يعتذر إليها قد أهانها، طريقته الفظة المكابرة بالرغم من اعترافه بالخطأ نحوها أغضبتها وبشدة، لذا توشحت بوشاح اللامبالاة كي لا تظهر له أنها تأثرت بإهانته.

لوحت له قائلة: "على الأرجح لا يهم، فأنا لم أتوقع منك اعتذارًا ولا أنتظره".

كانت نظرته إليها عابسة تحمل الكثير من التوتر لكنه قال بصوت حاول أن يجعله هادئًا: "وكيف تريدين اعتذاري لك؟ هل أحضر لك لوحًا من الشوكولاتة، أو ربما باقة من الورد تكون كافية؟".

كانت تتأمله بنظرة ساخرة لا مبالية وعندما انتهى من كلامه قالت بطريقة ساخرة: " نعم ربما لوح من الشوكولاتة سيكون كافيًا، هذا إن أحسنت اختيار النوع الذي أحبه".

سألها بغيظ: "وكيف سأعرفه؟".

اكتفت بأن قالت بغموض: "بالطبع لن أخبرك لذا عليك أن تخمن، إذا أسعدك الحظ وأحضرته لي، ربما أعيد النظر باعتذارك".

ثم نهضت تاركة إياه على المائدة وحيدًا مطرقًا برأسه في توتر واضطراب يسأل نفسه بغباء: "ما الذي تفعله يا عبد الرحمن؟ لم تثير هذه الفتاة توترك دائمًا هكذا؟".

ظل يفرك وجهه بضيق يحلل ما يحدث له في عقله حتى كاد أن يجن، ارتأي أن يعتذر لها هذه المرة بطريقة ربما ترضيها، فانجذابه نحوها غير عادي.

نهض من مقعده يتجه نحو المبرد الذي يحتوى على كل أنواع الشوكولاتة ليختار من كل الأنواع الموجودة به قطعتين ثم يدفع حسابهم للبائع، كان يفعل ذلك كسابقة لم يفعلها من قبل وكبادرة اعتذار عما بدر منه تجاهها، فهو بالفعل قد أخطأ بحقها وأهانها دون قصد.

* * *

كانت وسن تتقلب بفراشها شاعرة باليأس القاتل، الفراغ الذي كان بداخلها اتسع ليبتلع الجزء المتبقى من روحها ويخلف حطاما

مبعثرًا بقلبها، كانت تشعر بأنها ستموت من الحسرة، لذا قررت بأنها لن تظل بالمنزل وحيدة كل هذا الوقت.

ارتدت ملابس بسيطة مكونة من البنطال الجينز وسترة من الجينز طويلة حتى الركبة، كانت تعتمد مثل هذه الملابس في الزيارت غير الرسمية وخارج أوقات العمل، وضعت حقيبتها على كتفها وخرجت من الشقة تتجول هنا وهناك بلا هدف.

تذكرت أثناء تجوالها أن اليوم كان موعدها مع السيدة ليلى بفيلا وهدان لاقتراح بعض التعديلات على الحديقة كما طلبت منها، كانت تشعر بأنها في مزاج لا يسمح لها بمقابلة تلك السيدة المتأنقة بأسلوبها المترفع، لكنها عادت وتذكرت بأنها كانت ستتجول في الملحق التابع لفيلا كامل وهدان كي ترى اللمسات النهائية بعد وضعها في أماكنها.

أشعرها هذا بالحماس، فدائمًا ما كانت تجد نهاية العمل بكل مكان عملت به يحمل جزءًا من روحها، تشعر بأن ذلك العمل كالطفل الصغير، سهرت عليه بتأن ووضعت به كل الحب والتفهم الذي تملك حتى يخرج بهذا الشكل المبهج لروحها.

استقر رأيها على أن تذهب لتلك الفيلا علها تجد ما يؤنس وحشة قلبها في تلك التصاميم الجميلة التي وضعتها هناك.

عادت لتركب سيارتها يحركها الحماس متوجهة نحو فيلا وهدان، كانت تأمل ألا تغضب السيدة ليلى، فقد كانت وسن متأخرة عن موعدهما بأكثر من الساعة قليلًا، وصلت ففتح لها البواب باب الفيلا قائلًا بصوت معتذر: "تفضلي يا مهندسة بالملحق، السيدة ليلى

اتصلت منذ قليل لتخبرك بأنها في الطريق، لأنها كانت قد نسيت الموعد ولم تتذكره إلا منذ قليل".

هزت وسن رأسها سعيدة بهذا التأخير ثم قالت بهدوء: "حسنًا سأنتظرها بالداخل"، صمتت، ثم عادت لتسأل بحذر وكأنها تذكرت شيئًا ما: "هل السيد كامل بالداخل؟".

قال الحارس بتفكير: "لست متأكدًا من ذلك، لكنه لا يعود من العمل الآن يا سيدتي، موعد عودته ليلًا".

شعرت وسن بالارتياح فقالت براحة: "حسنًا يا.."، صمتت تستفهم منه.

فقال الرجل سريعًا: "محسوبك منصور يا مهندسة".

قالت وسن بابتسامة مجاملة: "حسنًا يا منصور، سأنتظر السيدة ليلى بالملحق، هل هو مفتوح؟".

قال الرجل: "نعم يا سيدتي، فقد كانت العاملات تقمن بتنضيفه صباح اليوم ولم تنتهين إلا منذ قليل".

هزت رأسها بصمت، ثم قادت سيارتها نحو الملحق بهدوء، كان السكون يعم المكان، ترجلت من سيارتها، ثم جالت بالحديقة قليلًا حتى تأخذ فكرة تخيلية عن كيفية إعادة تغيير تصاميمها لتطرحها عند عودة السيدة ليلى دون أن تضيع الوقت معها.

قامت بالطرق على باب الملحق بهدوء، وعندما لم تجد ردًا حركت مقبض الباب بهدوء فوجدته مفتوحًا، دخلت لتجد أن المكان

مضاء بإضاءة خفيفة منبعثة من المصابيح الجانبية والتي وزعت في أماكنها بالشكل الصحيح الذي كان مخططًا له من البداية.

تبسمت بينما تتلفت يمينًا ويسارًا، ثم اتجهت إلى قابس الضوء لتنير المكان، شع المكان بهجة بالألوان المشرقة المتناثرة على الأرائك والبسط والكريستالات الكهربائية الموزعة هنا وهناك.

ظلت تدور وقد التمعت عيناها بالبهجة والرضا وقد نسيت في غضون دقائق حالتها النفسية البائسة التي كانت تحياها منذ أقل من الساعة.

حين توجهت نحو الحائط الزجاجي الفاصل بين مكان الآرائك ومكان مائدة الطعام، اقتربت منه تتحسس النقوش المعدنية التي تزينه بحب قائلة: "لقد أضفيت روعة على المكان كما خططت لوجودك من البداية".

سمعت خلفها ذلك الصوت الكريه المنفر لأذنها: "إنه رائع بكل المقاييس".

التفتت بذعر تنظر خلفها نحو الصوت لتقول بصدمة: "سيد كامل؟! متى دخلت؟".

قال الرجل بابتسامة ثعبانية: "أنا بالداخل عزيزتي منذ وقت، أنتِ من أتيت إليّ؟".

قالت وسن باضطراب: "آسفة لم أكن أعلم أنك بالداخل".

اقترب الرجل قائلًا بابتسامة متزلفة: "وأنا يسعدني انضمامك لي، فلا تتخيلي مقدار البؤس الذي شعرت به وأنا أتجول هنا وحيدًا".

قالت وسن على عجل: "لقد كنت قادمة للسيدة ليلى، فبيننا موعد وأخبرتني بأن أنتظرها ها هنا".

قال الرجل وقد اتسعت ابتسامته بطريقة مخيفة: "نعمٍ لقد تأخرت ويبدو أنها ستتأخر أكثر من هذا، فيمكننا انتظارها سوياً".

تحركت وسن مبتعدة عنه بتوتر قائلة: "سأذهب وأعود لاحقًا".

لكن الرجل اقترب منها مادًا يده متصنعًا اللطف: "ولمَ لا نتناول كأسًا هنا بينما ننتظرها سويًا، فأنا أريد محادثتك قليلًا".

نظرت نحوه بقلق متجاهلة يده الممدودة قائلة: "وفيم سنتحدث؟ لا يوجد بيننا ما يقال يا سيد كامل سبق وأن تحدثنا بكل ما يمكننا الحديث به".

قال بمداهنة: "نعم سبق وأهنتني من قبل يا وسن"، قالها وهو يضغط على حروف اسمها بقوة ثم أكمل: "ولكنني كما ترين أتمتع بقلب طيب يمكنه العفو عما سبق".

قالت بوجل: "لم أقصد إهانتك يا سيد كامل، أنا فقط لم أجد عرضك يناسبني فرفضته فلا تأخذها بمحمل شخصي".

كان مازال يقترب منها تلتمع بعينه نظرة خبيثة فتتراجع للخلف حتى ارتطم ظهرها بالحائط الزجاجي خلفها، آلمها الارتطام فتأوهت بصوت عالٍ، هنا قال كامل بخبث: "هل آلمك الارتطام؟ دعيني أرى ما أحدثه بظهرك".

نظرت نحوه بحنق لتقول بقوة: "إياك أن تقترب".

كانت ترتجف بداخلها، تكاد تموت رعباً وخوفًا وبالرغم من ذلك تظاهرت بالقوة في حديثها لتكمل: "لا داعي لكل هذا الهراء الذي تفوهت به، سأذهب من هنا في الحال، دعني أمر".

كان واقفًا قبالتها محاصراً إياها بينه وبين الجدار الزجاجي، كانت أثناء حديثها معه تحاول أن تزحزح قدميها خلسة حتى تقترب من جانب الجدار لتلتف حوله وتفر، لكنه لمح حركتها تلك بعينيه الحادتين بينما يقف كالصقر مراقباً فريسته، حينها اقترب منها خطوة مضيقًا عليها المسافة قائلًا بابتسامة لزجة: "أين تظنين نفسك ذاهبة؟ ألا تعلمين أن العبث بعش الدبابير يجلب اللسعات؟".

كان الرعب قد بدأ يتملكها فقال بصوت حانق مذعور: "أنا لم أفعل لك شيئًا، لم تصرِ على اعتبار رفضي لعرض زواجك شخصياً؟ أقسم لك لم يكن شخصياً".

قال وقد بدأ الجنون يلتمع بعينيه: "ومن هذا الذي فضلته عليّ وارتضيت خطبته لك؟ ذلك الفتى الوسيم ذو الشباب المتفجر، هل اخترته لأنك تظنينه أكثر قوة وشباباً عني؟".

قالت برعب: "لا لم أختره، لدي ظروف جمعتني به فقط، لكن نحن حتى الآن لم نستقر على الزواج".

كانت تظن أنها بهذا الكلام سوف تجعله يهدأ، لكنها لم تكن تعرف بأنه سيأخذ كلامها بمحمل قذر، فقد قال بانتشاء: "أي إنكِ ربما تفكرين بعرضي؟".

صمتت لتنظر نحوه بارتعاشة خوف، ثم هزت رأسها تبتلع ريقها قائلة بمداهنة تحاول أن تهدئه: "نعم، ربما سأفكر بعرضك وبقوة، فقط دعني أمر".

هنا فعل ما لم تكن تتخيل حدوثه، هجم عليها يمسكها من ذراعها ليقول بانتشاء أشد: "أو ربما يمكنك التجربة قبل الزواج، حتى تستطيعي أن تحكمي على ما ينتظرك إذا قررتِ أن تتزوجيني".

قالت بهلع: "اترك يدي، أنت تؤلمني بشدة".

كان كامل في حالة من الهذيان لا تسمح له سوى باتباع رغباته القذرة، فلقد اعتاد أن ينال الفتيات اللاتي يريدهن بكامل إرادتهن، أما وسن فقد أشعلت داخله رغبة خاصة ببرائة ملامحها وهشاشتها الواضحة ورفضها المتعنت له، كانت تثير بداخل نفسه المريضة رغبة أن ينالها بأي شكل كان حتى لو بالقوة، وبخاصة بعد ارتباطها بذلك الشاب الوقح الذي أهدر كرامته مفضلة إياه على كامل.. كامل وهدان بكل ثرائه وعنفوانه.

كان يعلم باستحالة أن ينالها برضاها بالرغم من محاولتها الساذجة بالتذاكي عليه وإقناعه بأنها ستحقق له رغبته بالارتباط بها.

قال برغبة متصاعدة: "اهدئي يا فتاة، لا تقاومي، لا تشعريني بأنك فتاة عذراء، فقد كنتِ متزوجة من قبل".

كانت وسن قد أصابها الهلع والخوف والرعب من كلماته القذرة ولمساته الأقذر، ظلت تصرخ وتتملص من يديه دون فائدة.

قال بصوت جهوري ساخر: "اصرخي بكل ما تملكين من حنجرة فلن يسمعك أحد يا عزيزتي، لذا ما رأيك أن نهدأ ونقضي الوقت سويًا، تحصلين على كل ما تحلمين به وأحصل أنا على ما أريد منك، وصدقيني حين تعرفين كامل وما يستطيع منحه لكِ لن تستطيعين الاستغناء عني".

قالت برعب وقد بح صوتها من الصراخ: "ابتعد عني، أنا متزوجة الآن، إن مسستني فسوف يقتلك زوجي".

قال باستمتاع مريض: "متزوجة! امممم.. يا للمرح، لقد تحسن مزاجي بهذا الخبر، فسأنالك كما أريد وليرني زوجك ذلك الأحمق كيف سيقترب مني".

كان قد تجرأ بلمساته على جسدها أثناء كلامه بينما تحاول أن تتملص منه دون فائدة، فقد كان قويًا كالثور ضاغطًا إياها بين جسده وبين الجدار خلفها دون أن تستطيع التملص، أنهكتها المحاولة فهدأت تنتحب برفض مغمضة عينيها تحاول أن تفكر كيف تخرج من تلك المصيبة التي سوف تنال منها.

قال بتلذذ: "نعم هكذا أفضل، فتاة عاقلة، أحب المستسلمات هكذا"، ثم هبط بشفتيه نحو وجهها يتلمسه، كان في هذه الأثناء قد أرخى قبضته على ذراعها وما إن أحست بالتحرر جزئيًا حتى ركلته بقوة في قصبة رجله، ابتعد يصرخ من الألم بينما تتحرر وسن منه كليًا لتصل إلى جانب الجدار فتعبره قافزة خلفه نحو الجهة الأخرى تعدو بكل قوتها.

قطع عليها عدوها قبضة قوية تمسك بالسترة التي ترتديها من الخلف فتملصت منها تاركة إياها بقبضة مهاجمها.

لكنه كان أسرع منها فقطع عليها الطريق بلياقة مرتفعة تشي بأنه يمارس الرياضة بانتظام، صرخت وسن وهي تلتف حول منضدة جانبيه لتفر منه فأمسك بها مكبلًا إياها بالقوة صارخًا بغضب: "اهدئي أيتها الحيوانة، لقد أتعبتني بقفزك هكذا".

قالها ليهبط على وجهها بقوة بصفعة تركت آثار أصابعه على بشرتها الحساسة وتحدث جرح قطعي بشفتها السفلية.

كانت تحاول التملص منه عندما أمسكت يدها الحرة مصباحًا كهربائيًا من الخشب الثقيل، رفعته بكل قوتها لتضربه بقاعدته في وجهه، حطت الضربة على جبهته شاجه إياها بجرح يبدو عميقًا من تدفق الدماء منه.

ظل يصرخ واضعًا إحدى يديه على جبهته بينما يسحبها باليد الأخرى قائلًا بعنف أكبر: "سأقتلك، الآن سوف أقتلك".

كانت ما تزال تحمل المصباح بيدها والذي مازال موصولًا بالقابس الكهربائي بصدفة تجمع بين الغرابة وحسن الحظ، لذا وبدون تفكير سحبت يدها الأخرى منه بعنف لتقذفه بعدها بالمصباح من الجهة التي بها اللمبات الزجاجية، تحطمت اللمبات على صدره فسرى تيار كهربائي بجسده قاذفًا إياه للخلف ليسقط على ظهره صامتًا بلا حراك.

نظرت نحوه برعب لتقول: "يا إلهي، لقد مات"، ثم اقتربت منه بخطوات متعثرة تجس نبض رقبته لتكمل بهيستريا هامسة: "يا للمصيبة لقد قتلته، لقد مات".

نهضت بعنف لتتعثر بطرف السجادة فتسقط على جانب وجهها على حافة الطاولة الخشبية فتحدث كدمة كبيرة بجوار عينها.

نهضت مرة أخرى برعب دون أن تبالي بكدماتها وجرحها النازف تنظر نحو الجسد الساجي على مقربة منها لتنتفض مهرولة إلى الخارج بخطوات هلعة نائحة بهمس: "يا إلهي ماذا أفعل الآن؟".

وبطريقها للخارج التقطت سترتها الملقاة أرضًا تجرها خلفها دون أن تفكر بالتوقف وارتدائها.

ركبت سيارتها لتنطلق بها بتهور فارة من المكان حتى كادت أن تصطدم بالبوابة، أسرع البواب يفتح الباب بسرعة ناظرًا نحوها بدهشة وما إن عبرت البوابة حتى ضرب كفًا بكف قائلًا: "لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد كانت بخير حال منذ قليل، ماذا حدث لها؟".

أما وسن فلم تنتبه أثناء فرارها المذعور ذاك من تلك السيدة المتأنقة التي تقف على جانب باب الملحق تستعد للدخول.

فقد كانت تعيش بعالم من الرعب يلهيها عما تراه حولها من معطيات.

هتفت المرأة بدهشة: "ما بها تجري هكذا؟! هل.."، ثم صمتت عاقدة حاجبيها مفكرة تسترجع منظر وسن المشعث تجر خلفها سترتها دون أن تبالي بارتدائها لتقتحم المكان بعدها بعنف صارخة: "كاااامل".

* * *

جلس واصف بمكتب المحامي الخاص متطلعًا إليه بانتباه بينما المحامي منهمك بشرح التفاصيل لكيفية خروجه من المشكلة التي حدثت مع الشركة التي كان يعمل بها كمهندس برمجيات.

كانت الشركة قد فقدت أحد البرامج المهمة السرية والتي كان يعمل عليها واصف قبل أن يقرر السفر فجأة تاركًا العمل دون إنذار بعد وفاة صديقه.

بالفعل تم اتهام واصف بسرقته وتم رفع قضية ضده تتهمه بالسرقة، لذا كان يجب عليه أن يعود ليثبت للشركة عدم قيامه بسرقة البرنامج وإلا سيتم الحكم بإدانته وسحب رخصة بقائه بالبلاد للأبد وربما إبلاغ الإنتربول إذا تم تصعيد القضية.

كانت تحريات المحامي تخبره بأن المهندس الآخر الذي كان يعمل معه على البرنامج يمر بضائقة مالية، فلديه طفلة مريضة تقضي على مدخراته ليجد لها العلاج، لذا كان المحامي يريد أن يجد دليلًا يبرهن على قيامه بالسرقة فهو يبدو الأنسب للقيام بذلك.

تنهد واصف قائلًا بضيق: "إذن سأظل هنا لفترة طويلة دون أن أستطيع العودة؟".

قال المحامي: "ليس إذا استطعنا أن نحضر الدليل قبل جلسة المحاكمة".

فكر واصف قليلًا ثم سأل: "وإذا أردت السفر، فهل هناك ما يمنعني؟".

قال المحامي: "لن يتم وضعك على قوائم الممنوعين من المغادرة إلا إذا أدانتك المحكمة".

قال واصف بقلق: " حسنًا، سأنتظر ظهور الدليل قبل المحاكمة وإلا سوف أعود لبلدي، فلن أحضر جلسة محاكمة أخسر بها حريتي في بلد غير بلدي".

قال المحامي بهدوء: "سنبذل قصارى جهدنا يا سيد واصف، أعدك".

غادر مكتب المحامي بخطوات شاردة لا تعرف لها هدفًا.

قادته قدماه نحو مقهى قريب من مكتبِ المحامي، توجه بتكاسل نحو المائدة ليجلس عيها بشرود مفكرا في حل لمشكلته المستعصية تلك، إذ يبدو أن التهمة سوف تتلبسه رسمياَ ما لم يستطع المحامي أن يبعدها عنه.

كان يحتسي قهوته بينما يحاول أن يجد مخرجًا من مأزقه، قرر أن يقوم بزيارة ترافيس زميله الثالث بمشروع البرنامج المفقود، ربما استطاع أن يستشف من زيارته شيئًا.

دفع ثمن قهوته ثم غادر المقهى بتفكير شارد، الوقت بعد الظهيرة بقليل أي إنه في ذلك الوقت كان ترافيس ما يزال بالعمل، تبدو فكرة جيدة أن يذهب للتحدث مع زوجته أنيتا، فربما كانت تعلم شيئًا عن العمل لتخبره إياه.

تحرك نحوِ أقرب سيارة أجرة معطياَ للسائق العنوان، ثم جلس باسترخاء مفكرًا في خطوته التالية.

ظهرت أنيتا على الباب وما إن رأته حتى توترت قائلة بتشنج: "مرحبًا سيد واصف".

قال واصف الذي لاحظ توترها بابتسامة مطمئنة: "مرحبًا أنيتا، ما هي أخبارك؟".

قالت بنفس التوتر: "بخير، ترافيس مازال بالعمل".

قال واصف متصنعًا الأسف: "نعم أعلم، كنت بالجوار فمررت لأرى أحوال طفلتكم الجميلة ولأطمئن على صحتها الآن".

وكأنه ضغط زرًا سحريًا فلغى توترها لتقول بمحبة: "إنها بخير، لقد تحسنت كثيراً بفضل العلاج الجديد".

تبسم واصف قائلًا باستفهام: "هل وجدتم لها علاجًا جديدًا؟".

أشارت له قائلة: "كنت سأعد كوبًا من الشاي، تفضل وتناول واحدًا بينما أحضرها لك لتراها، لقد أصبحت أفضل من ذي قبل".

دخل واصف بضيق يتملكه جراء تلك الأسرة ووضع طفلتهم البريئة المصابة بخلل جيني يحتاج لعلاج مكلف ونتائجه غير مضمونة.

استقر واصف على الأريكة بغرفة الاستقبال بينما ذهبت أنيتا لتحضر طفلتها التي لم تتجاوز العامين وتضعها على كرسيها بجوار واصف قائلة لها بحبور: "ألقي التحية على السيد واصف".

أصدرت الطفلة أصوات مضحكة طفولية وقد حركت قلب واصف بمظهرها الهزيل والذي يشي بمرضها.

نهض واصف من مقعده ليجاور الطفلة ملاطفًا إياها فتصدر ضحكات بريئة دون أن تخاف منه كعادة الأطفال الصغار.

كانت أنيتا قد أنهت إعداد كوب الشاي فأحضرته لواصف الذي عاد لمقعده مرة أخرى، قال واصف بلطف: "تبدو طفلة لطيفة، أتمنى لها الشفاء من كل قلبي".

قالت أنيتا بلطف: "أشكرك سيد واصف"، ثم صمتت لتقول بعدها بحذر: "لقد أخبرني ترافيس بأنك رحلت".

عقد واصف حاجبيه قائلًا: "نعم لقد رحلت بعد وفاة ويليام، لكن المحامي خاطبني مخبراً إياي بحدوث مشكلة بالشركة وقد تورط اسمي بها دون حق، لذا فقد عدت لأرى مخرجًا منها".

قالت أنيتا بدهشة: "هل عدت لتبرأ اسمك من تهمة سرقة بينما كنت ببلدك لن يستطيع أحد أن يلاحقك؟".

قال واصف بصدق: "لأني لم أفعل، فلو كنت قد قمت بتلك السرقة لم أكن سأعود".

تغيرت معالم وجهها قائلة: "إذن من السارق؟ لقد أخبرني ترافيس عن البرنامج، وأن ثلاثتكم فقط من كنتم تعملون عليه، وبعد وفاة زميلكم الثالث رحلت أنت ثم تم اكتشاف سرقة البرنامج وبيعه لشركة أخرى، فإن لم تكن أنت المسئول إذن من يكون؟".

قال واصف بحذر: "لا أعلم بعد، محامي الخاص مازال يبحث الوضع"، ثم نظر نحو الطفلة التي كانت تلهو بألعابها ليقول بلطف: "من الجيد أنها قد تحسنت، فقد كان ترافيس يشكو من غلاء علاجها وعدم مقدرته على تحمل العلاج".

قالت المرأة بحبور: "نعم لقد استطعنا إدراجها تحت علاج بحثي جديد كمتطوعين، فلم يكن لدينا ما نخسره، خاصة أن وضعها الصحي كان سيئًا".

قال واصف بتفكير: "إذن لم يحتج علاجها إلى المال ولن يكلفكم مبلغًا كبيراً كما آمل؟".

قالت أنيتا: "لا، لقد أدرجها صديق لترافيس في قائمة العلاج البحثي، لذا لن نتكلف مالًا".

هز واصف رأسه يشعر بأنه قد وصل لطريق مسدود، فيبدو أن اتهام المحامي لترافيس يبدو خاليًا من الصحة.

نهض قائلًا بلطف: "حسنًا أنيتا، سعدت برؤيتك ورؤية طفلتك، أبلغي تحياتي لترافس وربما مررت مرة أخرى لأراه".

غادر منزل ترافيس يشعر بالضيق والحيرة فإن لم يكن السارق ترافيس، فمن يكون؟

* * *

كانت هديل تحدق بدهشة في الحقيبة الورقية التي وضعها عبد الرحمن منذ قليل أمامها على المكتب بعد أن رمقها بنظرة متجهمة قائلًا: "هذه لك، أرجو أن تقبلي اعتذاري".

ثم انسحب دون أن يعطيها الفرصة للرد، ظلت صامتة تنظر للحقيبة وكأنها تحاول التكهن بما يقبع داخلها دون فتحها ثم مدت يدها تلقي نظرة حذرة بداخلها.

تفاجأت من الثروة الشوكولاتية التي تقبع بداخل الحقيبة، فتحت فمها بذهول تخرج القطع قطعة قطعة تلقي نظرة عليها، ثم تضعهم بالحقيبة مرة أخرى لتقول بدهشة: "يا إلهي، ما كل هذه الشوكولاتة؟ لقد قضى على ثلاجة الحلوى بالكافيتريا".

اتسعت ابتسامة بريئة على ثغرها دون أن تتعمدها، كانت تنظر للشوكولاتة مفكرة بداخلها بأنه شخص مجنون، وبنفس الوقت حنون، يتمتع بالطيبة، ويجيد الاعتذار حتى ولو أظهره بطريقة فظة.

تذكرت كلمات ضحى تصفه ليلة عقد قران وسن واصفة إياه بأنه طيب وحنون ويجيد الاهتمام بمن يحب، عقدت حاجبيها متسائلة بفضول: "هل يحتمل أنه يكن لي مشاعر؟! نعم ربما".

أشعرها هذا بالسعادة، سعادة فتاة في مقتبل العمر وجدت من يشعرها بأنوثتها.

وقد كانت تلك البداية.. بداية قرار اتخذته بلحظة جنون، جنون أن تجد سعادتها المرجوة في كنه شخص لا يعرف كيف يعبر عما بداخله، لكن التحدي أن تجعله يفعل، وكم كانت تعشق التحديات!

* * *

كانت الساعة قد تخطت موعد انتهاء العمل بشركة الهندسة والإنشاءات بساعة، وبالرغم من ذلك لم يكن ساجد قد غادر بعد، أرجع ظهره للخلف بإجهاد يفرك ذراعه الذي آلمه من وضعية يده

على المكتب طوال الوقت، كان قد أجهد نفسه منذ أن غادر عبد الرحمن مكتبه حتى إنه لم يجد الوقت لتناول كوبًا من الماء.

فرك جبينه بعصبية فقد كان ألم الصداع قد بدأ يعصف برأسه بطريقة لم يعد يتحملها، تذكر بأنه لم يتناول أي طعام منذ الأمس، فقط اكتفى بالقهوة، شرد فكره لوسن متسائلًا كيف حالها الآن؟

كانت كل الإشارات التي تأتي لقلبه بخصوصها متخبطة، فقد أحس لوهلة أثناء عمله بالخوف عليها دون سبب واضح، وأنه يريد محادثتها للاطمئنان على صحتها، لكنه عاد وتذكر حديث الممرضة بأنها تعاني من صدمة عصبية، فتملكه الرعب أن يسبب اتصاله بها سوءًا لأحوالها.

انقبض قلبه الآن حين تذكرها، يشعر بالإجهاد النفسي أكثر من الجسدي، كأنه كان طوال الوقت يحارب الأشباح أو طواحين الهواء، وعندما كاد أن ينتصر اكتشف بأنه حارب الأوهام طوال عمره ولم يفز بأي شيء، حتى ظنه بأنه قد ارتاح أخيراً بارتباطه بوسن أضحى في مهب الريح.

غمغم لنفسه بصوت بائس: "لقد تعبت، لم كلما ظننت أني تقربت منك يا وسن أجد أني قد ابتعدت مئات الأميال؟ ألا ليت الزمان يعود للخلف".

نهض من مقعده ملتقطًا سترته بتعب ليسير بخطوات متخاذلة نحو الخارج، كان يريد أن يذهب إليها، حدسه يخبره بأنها ليست بخير، قرر بأنه لن يدع لها الفرصة لتطرده خارج حياتها، سيذهب إلى شقتها ويرابط خلف بابها حتى تشفق عليه وتعفو عنه.

قاد سيارته نحو شقتها السكنية وما إن وصل حتى أطفأ المحرك، رفع عينه ينظر نحو نافذتها بوجل، كانت كل النوافذ المطلة على الشارع مغلقة ولا يظهر منها أي بصيص ضوء، انقبض قلبه أكثر، هل هي نائمة كل هذا الوقت؟ ربما أذت نفسها؟ ربما تكون مريضة؟ أم...

بدأت الأفكار السلبية تعصف برأسه حتى كاد أن يتوقف قلبه، لذا خرج من السيارة ليصعد نحو الشقة.

قرع الجرس مرة واحدة وانتظر وعندما طال انتظاره قرع الجرس مرة أخرى دون مجيب، انتابته الهستيريا فوضع يده على الجرس دون أن يتوقف لكن لذعره لم يجب أحد.

فُتح الباب المواجه للشقة لتنظر نحوه الجارة قائلة بغلظة: "لمَ تقرع الجرس هكذا؟! من أنت؟".

قال ساجد بتوتر: "أنا ساجد خطيب وسن، لقد جئت لأراها فقط".

قالت المرأة بنظرة شريرة: "إذن أنت خطيبها المتكتم على أمره، ولماذا تأتي إليها بالمنزل وبهذا الوقت؟".

قال ساجد بضيق صدر: "يا سيدة، إنها مريضة وقد جئت لرؤيتها".

حركت المرأة فمها على الجهتين مرددة بسخرية: "مريضة!! لقد خرجت منذ فترة طويلة يا خطيب المريضة".

صُعق ساجد فقال باضطراب: "خرجت، متى خرجت وإلى أين؟".

قالت السيدة الفضولية بتهكم: "ألست خطيبها؟ ربما كان عليها أن تخبرك قبل أن تنزل، ولست أدري إلى أين ذهبت، فلست ولية أمرها".

نظر ساجد نحوها بضيق يكاد أن يقتلع عينيها لكنه اكتفى بأن حدجها بنظرة قاتلة قبل أن يستدير ويهبط الدرج.

جلس بسيارته يسأل نفسه بحيرة وتوتر: "إن خرجت كما قالت السيدة المخبولة، فأين تكون ذهبت؟ هل شعرت بالمرض فعادت للمستشفى؟".

أمسك هاتفه وقد قرر أخيراً أن يهاتفها بينما يتنازعه رجاء ألا تخذله وتجيب اتصاله.

رن الهاتف طويلًا وحينما كاد أن ييأس أجابه صوت وسن قائلة بنحيب مكتوم: "لقد قتلته، لقد قتلت الحقير ولا أريد الهروب، فأنا قد تعبت، وربي لقد تعبت.. تعبت جدًا".

ثم أنهت المكالمة دون رد منه.

* * *

كانت وسن تقود كالمجنونة، عيناها مغرورقتان بالدموع التي تحجب الرؤية عنها فتسير برؤية ضبابية منعدمة.

المشهد يعيد نفسه مرارًا وكرارًا في ذاكرتها حتى لتظنه حيَا الآن أمام عينيها وجسد ذلك الحقير مسجيَا أمامها على الأرض فاقد الحياة.

وضعت فجأة يدها على عينيها تمسح دموعهما، فانطلق نفير مرتفع أعقبه صرير إطارات منزلقة على الأرض بعد أن ضُغطت فراملها فجأة، أوقفت سيارتها بقوة تنتفض من داخلها حتى أطراف أصابعها.

نظرت بذعر لتجد أن سائق السيارة الذي تفاداها متوقفًا بعرض الطريق وقد نزل منها صارخًا سابًا إياها بأقذع الشتائم شاملًا بسبابه قيادة جنس النساء جميعًا.

تدخل المارة ليمنعوا الرجل من الهجوم عليها، بينما أشار لها أحد الرجال المتوقفين قائلًا بلطف: "اذهبي يا آنستي، لكن خذي حذرك المرة القادمة".

تحركت بالسيارة عدة أمتار وعندما شعرت بأنها لن تستطيع القيادة أكثر توقفت على جانب الطريق.

كانت منهارة تبكي بدموع تسيل دون أن تستطيع السيطرة عليها، دموع مخزون سنين البؤس التي عايشتها منذ سنوات زواجها السابق وبعد طلاقها، تبكي استغلال برائتها ووقوعها المرة تلو المرة وبكل مرة تقاوم لتعود وتقف على قدميها معافرة، لكنها الآن شعرت بأنها لم تعد تستطيع فعل ذلك.

شعرت بالإجهاد والتعب النفسي يسري بداخلها، يوهن عظامها ويفتت أحشاءها، كانت دموعها قد توقفت بينما وضعت رأسها على مقود السيارة مغلقة العين لاهثة الأنفاس متبلدة التفكير.

اتخذت قرارها بالحل الذي ظنته سيريحها من آلامها فلم تعد تبالي بما يحدث لها، وهل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها؟

اتصالات ساجد المتتالية بها لم تتوقف، لم تكن ترى هاتفها أو تسمعه، فقد انزلق من يدها بعد مكالمتها معه إلى أرضية السيارة أثناء بكائها وانهيارها بعد أن ردت عليه بلحظة ضعف منذ قليل، وكأنها مازالت ترى بداخلها أنه القادر على الاهتمام بها بالرغم من ذلك الموقف السيئ الذي وضعها به، لكنه نجح إلى حد ما أن يزرع بداخلها جزء من المشاعر تكنها له دون أن تدري، أما الآن لا تشعر سوى بالضياع، نعم هي ضائعة في دنيا لم تعد تتحمل صفعاتها المتتالية.

بدأت تستعيد السيطرة على نفسها تدريجيًا لتصبح أقرب للبرود واللامبالاة، لا تبالي بما سيحدث لها فيما بعد، فقد استكفت مما حدث سابقًا والقادم ليس بأسوأ كثيراً، تحركت بالسيارة بعزيمة وإصرار بينما يرتسم الجمود والتبلد على ملامحها.

لها وجهة محددة تتجه إليها، نحو مركز الشرطة، لتعترف بما فعلته علها ترتاح أخيراً.

* * *

ساجد كان قد تحرك بالسيارة كالمجنون لا يدري أين يتوجه، فبعد مكالمته مع وسن التي لم تخبره سوى بأنها قتلت حقيراً ما دون تحديد هويته وإنهائها للمكالمة بوجهه، ثم عدم ردها بعد ذلك عليه أشعره بالجنون، جنون الجهل المطبق الذي يلفه الآن، فلا يدري ما هو التصرف الأمثل الذي يجب انتهاجه.

كان يصرخ بالسيارة كالمجانين ويطلق نفير السيارة بطريقة هوجاء وكأن عفريتًا قد تلبسه فتحول لشخصية سوقية تقود على الطرقات.

هداه تفكيره أن يتصل بهديل، فربما تعلم أين ذهبت أثناء النهار، أجرى اتصاله بها ردت عليه بحيرة: "نعم سيد ساجد؟".

قال بلهاث مكتوم: "هديل، ألا تعلمين مكان وسن؟".

تصاعدت حيرتها أكثر قائلة: "كانت بالمنزل حين تركتها وأخبرتني بأنها ستنام".

قال ساجد بعصبية: "ليست بالمنزل، ألا تعلمين مكانًا محتملًا لوجودها؟".

صمت بتفكير ثم قالت بوجل: "لا، لا أتخيل مكانًا معينًا، هلا تخبرني بما حدث؟".

قال بصياح: "لست أعلم ما حدث، لقد أخبرتني بأنها قتلته ولا يسعني معرفة من الذي قُتل؟".

صاحت هديل بصدمة متحيرة: "قتلته؟! قتلت من؟".

قال ساجد بجنون: "لا أعلم، لا أعلم.. فقط لو أعلم شيئًا، إنها لا تجيب هاتفها، تبًا لها وتبًا للهاتف الذي تحمله".

قالها ليستدير بسيارته فجأة على الطريق إلى الطريق المعاكس بتهور جاعلًا نفير السيارات خلفه ينطلق بقوة لكنه لم يبال بهم، كان كالمجنون الذي يبحث عن تلك الشعرة التي تعيد له تعقله، وبالأخص عندما قفز بذهنه خاطر يلهمه بوجهته التالية.

أثناء قيادته المتهورة أمسك هاتفه يحاول أن يهاتفها مرة تلو المرة، فربما يسعده الحظ أن تجيب اتصاله بمرة منهم، لم تجب أيًا من اتصالاته.

اتصل برقم عبد الرحمن، وما إن أتاه صوت عبد الرحمن حتى صاح به: "عبد الرحمن، هناك مصيبة، أريدك معي الآن".

قال عبد الرحمن بتوتر: "ماذا حدث، أين أنت؟".

قال ساجد بعصبية: "الحقني الآن نحو العنوان التالي".

ثم أملاه عنوان فيلا وهدان الذي يعرفه لحسن الحظ، أنهى المكالمة مع عبد الرحمن الذي لم يسأل على التفاصيل، فلم يكن ساجد قادرًا بأي حال من الأحوال على التحدث.

كانت نظراته محدقة بالطريق في جمود بينما يلهج لسانه بالدعاء أن يجد وسن بخير وأن يستطيع مساعدتها، فهو لن يخسرها الآن ولا فيما بعد، لن يستطيع، حتى لو أرادت.

❊ ❊ ❊

الفصل السادس عشر

أجرى واصف اتصالًا بمحاميه بعد عودته من عند زميل عمله السابق مخبراً إياه بأنه يظن أنه ليس متورطًا بموضوع السرقة تلك، فقد أدرج اسم ابنته في علاج بحثي ولم يعد هناك مبررًا لأن يفعل شيئًا كهذا، لكن المحامي أصر قائلًا إنه قد أجرى تحريًا ليتحقق من وضع زميله السابق المالي وقريباَ ستظهر نتيجة التحري الخاص، وحينها سيظهر ما إذا كان هو السارق أم لا.

غمغم واصف بضيق: "حسنًا،سأنتظر تحريات محققك، متى يمكننا معرفة نتيجتها؟".

غمغم المحامي بتفكير: "من المفترض أن يخبرني اليوم لكنه لم يتصل بعد، لذا فأنا سأتصل به مساءً لمعرفة كيف سار الأمر".

تنهد واصف بعمق قائلًا: "أخبرني ما إن تصل لأي مستجدات، أنتظر اتصالك".

أغلق الخط مفكرًا بعمق، ماذا إن أثبت المحامي تورط ترافيس بالأمر، كان يشعر بانقباض قلبه بشدة، فهذه الأسرة مع عدم قربه منهم إلا أنه شعر بالأسى تجاههم، استقر رأيه على قرار ما، لكنه كان قد أرجأ التنفيذ حتى يعلم نتيجة التحري الخاص.

تنهد بضيق فقد كان يشعر بالحنين للعودة للوطن، الوطن الذي تركه أعوامًا دون أن يفكر بالعودة إليه، لكنه الآن يشعر بأنه قد غاب عنه أعوامًا كافية ليشتاق إليه أو ربما كان يشتاق لمن به.

كان قد اتصل بالأمس بوسن يطمئنها على وصوله لكنها لم تجب اتصاله، فاكتفى بأن أرسل لها رسالة نصية وإلى الآن لم ترد عليه.

أمسك هاتفه يجري بها اتصالًا مرة أخرى فلم تجب أيضًا، وضع الهاتف بجانبه مفكرًا هل حدث لها مكروهًا؟.. أم إنها فقط لم تر الهاتف؟

فكر قليلًا ثم أمسك الهاتف مرة أخرى يجري اتصاله بساجد، لكن هاتف ساجد كان مشغولًا باستمرار.

نظر نحو الساعة محاولًا حساب فرق التوقيت، كان الوقت عنده بالظهيرة أي أن الساعة الآن تقترب من السابعة مساء في الوطن، إذن ماذا يحدث هناك؟! ولم لم يجبه أحد؟

عاد يستلقي على ظهره مفكرًا بمن يتصل، كانت فكرة الاتصال بضحى تداعب عقله طوال الوقت، لكنه كان يرجئها ليجعلها ورقته الأخيرة لهاجس ما بعقله، لكنه الآن يجد أن المبرر قويًا كي يتصل بها يطمئن على أخته لأنه لم يكن يملك رقم هديل.

استقام وأمسك الهاتف بقلب راجف طالبًا رقمها الذي حفظه خلسة من بطاقة متجرها، رنين الهاتف تعالى عند ضحى لتنظر للرقم المتصل بحيرة، فقد كان الاتصال يأتيها من رقم مجهول من خلف البحار لكنها أجابت وقد قفزت برأسها فكرة عن هوية المتصل.

قالت بخفوت: "السلام عليكم".

أتاها ذلك الصوت المميز والذي تعرفه من مدة قصيرة وأصبح مربكًا لها: "وعليكم السلام يا ضحى".

أجفلت قليلًا من سماع اسمها مجردًا من فمه لكنها تمالكت نفسها لتقول: "خيراً مهندس واصف؟".

قال بعد صمت دام قليلًا: "كيف هي أحوالك وأحوال والدك؟ هل هو بخير؟".

قالت ضحى بهدوء: "نعم مهندس واصف، لقد خرجنا اليوم من المستشفى وهو نائم الآن".

قال واصف بشرود: "عظيم، أوصلي إليه تحياتي".

أجابت ضحى دون أن تبدي له تأثرها باطمئنانه على والدها: "سيصل بإذن الله، سيسعده ذلك بالتأكيد".

تنهد واصف ثم صمت قليلًا، شعرت ضحى بأنه يريد الحديث بأمر آخر لذا سألته ببديهية: "هل من شيء آخر؟".

قال واصف بتردد: "فقط لو أمكنك طمأنتي على وسن؟ فأنا أتصل بها ولا تجيب، وكذلك ساجد لا أستطيع الوصول إليه".

قالت ضحى بتردد طفيف ظهر على صوتها بالرغم من محاولتها إخفاء الأمر: "وسن بخير، لا تقلق عليها، ربما كانت نائمة، فأنت تعلم إرهاقها بالعمل".

كانت تعلم بأمر صدمتها العصبية بالأمس وعندما أردات الذهاب للاطمئنان عليها اليوم أخبرها عبد الرحمن بأنها غادرت المستشفى صباحًا، وبإمكانها زيارتها مساء.

لكنها لن تخبر واصف بهذا، فضميرها الإنساني يحرِم عليها إقلاقه بشأن أخته بينما لن تسمح ظروفه بالعودة لها قريبا، لم تكن تعلم بأي كارثة وقعت وسن الآن، فعبد الرحمن لم يخبرها شيئًا بخصوص مكالمة ساجد له، كانت تظن أن وسن بمنزلها تعاني اضطرابًا بأعصابها وستتحسن مع مرور الوقت.

التقط واصف ترددها فقال بتساؤل قلق: "ضحى.. أصدقيني القول، هل هي بخير؟".

أجابت ضحى سريعًا مؤكدة: "نعم هي بخير، صدقني نحن كلنا جوارها ولن ندعها، لا تقلق".

تنهد واصف براحة قائلًا: "أعلم ذلك يا ضحى، أعلم ذلك.. فقط قلقت من عدم إجابتها على اتصالاتي بها، هل أعتمد عليكِ بأمر ما؟".

قالت ضحى بتأكيد شهم: "تفضل".

قال واصف بخفوت: "أريدك أن تطمئنيني عليها بأي طريقة، هل أنتظر منكِ ذلك؟".

أجابت ضحى بعفوية: "نعم سأفعل، اهتم بنفسك فقط وما إن أتأكد من أخبارها فسأطمئنك".

صمت واصف قليلًا، ثم أجاب بخفوت: "نعم أنتظر منك ذلك".

كان وقع كلامها العفوي وطلبها الاهتمام بنفسه له مفعول قاتل على قلبه، يا إلهي، هل تهتم به وبسلامته؟! سيكون يوم سعده يوم أن يتأكد من هذا.

لم يستطع الكلام بعد سماعها تتكلم بتلك العفوية، لقد مست شغاف قلبه وأرجفته.

ساد الصمت بينهما، ثم عاد واصف وقطعه قائلًا بخفوت: "سأنتظرك واهتمي بنفسك أيضًا فأنا أريدك بخير".

تلعثمت ضحى من صوته ومعنى كلماته فصمتت لا تقوى على الرد، قال واصف وكأنه لا ينتظر ردها: "إلى اللقاء يا ضحى".

ردت بتخبط: "وعليكم السلام".

أغلق واصف الهاتف واضعًا إياه على الفراش بجواره مبتسمًا ابتسامة واسعة، فقد أعجبه تلعثمها، نعم إنه يستمتع بهذا التلعثم والتوتر الذي يثيره بها، فتاته البريئة.

إنها فتاته البريئة بنقاء الزهور البيضاء.

* * *

كانت وسن تجلس على مقعد خشبي بغرفة قديمة مغلقة الباب حبيسة بداخلها، فمنذ محادثتها مع ذلك الشرطي غليظ الطبع والكلام وطلبها مقابلة ضابط الشرطة الأعلى رتبة وضعها بتلك الغرفة ليغلق خلفه الباب تاركًا إياها وحيدة تنتظر أن ينهي تلك المهمة البائسة التي على عاتقها.

كان قناع اللامبالاة الذي تلبسها منذ قليل قد بدأ يذوب شيئًا بشيئًا حتى لم يتبق منه إلا القليل، القلق والتوتر قد بدأ يزورانها الآن ويعصفان بقلبها وعقلها حتى الشتات.

تفرك يدها بتوتر والعجيب أن نوبة الهلع المعتادة لم تزرها الآن، ربما سئمت أو شعرت بأن الهلع الذي بداخلها يكفيها فلا تحتاج للمزيد.

هاتفها الذي وجدته بأرضية سيارتها قبل أن تدخل لمركز الشرطة وضعته بحقيبتها المعلقة على كتفها، فتحت الحقيبة لتخرجه، فقد شعرت بأمس الحاجه لتكلم أحد ما، أي أحد كي لا تستسلم لبوادر الهلع التي تلوح بالأفق.

أمسكته لتضيء الشاشة مظهرة لها ما يقرب من المائة مكالمة من ساجد، ومكالمتين من واصف وما يقرب الثلاثين مكالمة من هديل، ثم مكالمة من ضحى.

كانت تحدق بشاشة هاتفها بعدم تركيز لا تعرف من تختار لتحادثه، شعرت بأنها تريد كتفًا تتكئ عليه ولم يتبادر لذهنها المجهد سوى ساجد.

لم تتذكر بأنها قد أجابت عليه أثناء انهيارها السابق، لذا تعجبت من كم الاتصالات التي يلاحقها بها.

ضغطت زر الاتصال به بقلب خافق ليس حبَا ولكن رعبًا مما تعايشه، اخترق صوت ساجد طبلة أذنها صارخًا: "وسن أين أنتِ؟ تبًا لك، تبًا لك".

عندما لاحظ صمتها عاد لصوابه بأنها ربما لن تتحمل قلقه الشديد عليها وأن يعبر عنه بتلك الطريقة، عاد يقول بهدوء قلق: "وسن بالله عليكِ أخبريني أين أنتِ؟ فأنا أجوب شوارع المدينة بحثًا عنك".

ردت وسن بصوت خشن متحشرج: "ساجد.. أنا خائفة أريدك بجواري".

قال بسرعة يحثها على أن تريح قلبه: "حسنًا حبيبتي اهدئي، أقسم لكِ بأني لن أتركك وحيدة والآن أخبريني، أين أنتِ؟".

قالت بصوت منتحب: "أنا بمركز شرطة.. وأنتظر المثول أمام الضابط المسئول".

شهق بفزع قائلًا: "أخبريني بما حدث؟! من الذي قتلته؟".

كان نحيبها قد بدأ يزيد لتقول بتقطع من بين دموعها السائلة من فتحات عينها وأنفها: "لقد.. إنه ذلك الوغد كامل.. وهدان.. لقد كان يريد، لكني قتلته قبل أن يفعل لي شيئًا"، ثم علا صوتها بتقزز مكملة كلامها: "الحيوان، لقد لمسني.. يا إلهي، لم أريد، كانت مقززة.. يستحق القتل، نعم إنه يستحقه".

قال ساجد بصوت مرعوب: "وسن اهدئي".

لكنها لم تكن تستمع إليه، كانت تغوص بعقلها فيما حدث منذ مضي الساعة أو أزيد، فهي لم تحسب الوقت.

تابعت بنحيب هيستيري: "لقد كاد أن يقتلني يا ساجد، كنت سأموت، يا ليتني مت قبل لمساته القذرة".

ساجد كان ينتفض من الغضب والغيرة والاشتعال، كلمات وسن كانت تنزل عليه مثل سائل حارق فتشوه روحه وتفجر براكين العنف بداخله.

قال بصراخ هادر: "وسن اهدئي، قلت لكِ إهدئي، لست أريد تفاصيل ما حدث، والله إن لم تكوني قتلته لكنت قتلته أنا بنفسي، لذا اصمدي فأ نا سأصل إليكِ عما قريب، لا تخافي حبيبتي معي عبد الرحمن ولن نتركك وحيدة، سمعتني يا وسن؟".

لم تجبه فعاد بصوت أقل حدة: "قولي سمعتك يا ساجد، هيا يا وسن، فأنا أقود على الطريق بجنون خوفًا عليكِ، أريدك أن تهدأي كي أهدأ وأصل إليكِ بسلام".

قالت وسن بخفوت: "نعم سمعتك يا ساجد".

تنهد براحة مبتورة ليقول بصوت حاول بثها الطمأنينة عن طريقه: "والآن، أخبريني بم تفعلينه".

جالت بنظرة حولها في الغرفة الصغيرة المكدسة بآلاف الملفات القديمة وذلك المكتب القديم وكرسي وحيد تجلس عليه بجوار المكتب، عادت لتقول لساجد: "أنا أخبرت شرطي قليل الرتبة بأني أريد رؤية ضابط أكبر رتبة منه، ومنذ ذلك الحين وضعني بغرفة قديمة تبدو لي كغرفة تخزين مهملة لكنه أغلق بابها خلفه وهو خارج".

سأل ساجد بتوتر: "هل أغلقه بالمفتاح أم يمكنك الخروج؟".

نهضت من مقعدها بتباطؤ، سارت نحو الباب تجرب مقبضه فلم يُفتح.

عادت لتقول لساجد بتوتر: "إنه مغلق من الخارج، لقد حبسني ذلك الغبي".

قال ساجد بصوت مكتوم حاول أن يداري توتره كي لا يزيدها توترًا: "أفهم من ذلك بأنك لم تتحدثي بعد، ربما تستطيعين انتظارنا ريثما نصل أنا وعبد الرحمن، فلست أريدك وحيدة أثناء الإدلاء بأقوالك"، ثم عاد يسألها بحسرة: "لم ذهبت أولًا لمركز الشرطة؟ ألم يكن من الأفضل أن تلجأي إليّ قبل إثبات تورطك بهذه المصيبة؟".

قالت وسن بارتجاف سرى من داخلها لخارجها: "لم أكن أفكر، كنت أعيش أسوأ كوابيسي، وشعرت بالرعب فقررت أن ألقي الحمل عن كاهلي باعترافي علّني أرتاح"، ثم تنهدت بتعب: "لكني الآن أعرف بأني غبية فأنا خائفة يا ساجد، خائفة حد الموت".

قال ساجد بصبر وتأنٍ حاول أن يبث به الهدوء داخل قلبها: "لا عليك يا وسن، لا تخافي حبيبتي فأنا بجوارك وسأظل هكذا دائمًا، المهم الآن أن تؤجلي اعترافك حتى أصل إليك".

قالت وسن بوجل: "سأفعل، سأحاول ذلك يا ساجد".

قال ساجد: "لن أتأخر، أمامي أقل من نصف الساعة يا وسن وسأكون بجوارك، عديني أن تظلي صامدة حتى أصل".

قالت بخفوت: "أعدك".

هنا فتح الباب فجأة ليقول الشرطي الضخم بصوته الغليظ: "هيا يا فتاة، فقد حضر سيادة الضابط وينتظرك بمكتبه".

هتف ساجد بأذنها قائلًا: "أجلي اعترافك يا وسن، أجليه".

لكنها كانت بعالم آخر، سقفه الخوف وأرضه التوتر، اضطرابها فاق الحدود، كالسجين الذي يذهب إلى غرفة إعدامه.

أغلقت الهاتف دون أن ترد على ساجد وقد نسيت وعدها له منذ قليل، وضعت الهاتف بحقيبتها بيد راجفة حتى إنها أسقطت الحقيبة أرضًا لتعود وتحضرها مرة أخرى.

وحين نهضت تسير خلف الرجل كانت أقدامها رخوة وكأنها تسير على إسفنج، تحركت بصعوبة حتى وصلت غرفة الضابط الأعلى رتبة.

وقفت أمام مكتبه تترنح، تشعر بالانكماش أمام نظرات الضابط الصقرية والتي ظلت محدقة بها كأنه يسعى للغوص بأعماقها، وعندما كادت أن تنهار أرضًا تحت وطء نظراته المتفحصة حتى ابتسم فجأة بابتسامة زائفة قائلًا: "تفضلي يا آنسة، اجلسي قبل أن تسقطي أرضًا".

ارتمت وسن على المقعد وكأنها كانت تنتظر الإذن منه بالفعل.

قال الضابط بلطف مجامل: "قبل أن نبدأ، أخبريني اسمك".

قالت وسن بخفوت متقطع: "وسن محمد الأنصاري".

هز الضابط رأسه قائلًا: "حسنًا يا آنسة وسن، أخبرني سعيد..."، وأشار برأسه نحو ضخم الجثة الذي مازال يقف خلفها مكملًا: "أخبرني بأن لديكِ إفادة لي عن جريمة قتل".

هزت رأسها وابتلعت ريقها بصعوبة دون أن تجيب، فاكتفى بإيماءتها ليكمل كلامه: "والآن أريدك أن تخبريني ما حدث؟".

ارتفع نظره نحو خدها المصفوع وهو يجول بعينيه على كامل جسدها بدءا من شعرها المشعث نهاية بملابسها المجعدة وكأنه يحاول أن يستشف ما خلف مظهرها المشعث ذاك دون أن تتكلم.

حين طال صمتها نظر نحوها بنظرة متأففة لكنه قال بهدوء: "آنسة وسن.. لقد انتظرتني ما يقرب من الساعة، لذا هل تخبريني بما جئت لقوله أم ستلتزمين الصمت هكذا؟ ليس لدي الليل بطوله لأنتظرك".

قالت بتوتر: "لا، أنا فقط، لست أعرف كيف أبدأ".

هنا قال الشرطي ضخم الجثة: "معذرة سيدي، لقد قالت لي إن هناك جريمة قتل وإنها هي القاتلة".

نظر نحوها الضابط قائلًا بلزوجة: "نعم بسيطة، يمكنك البدء بإخباري عن جريمة القتل تلك".

ارتعادة خفيفة مرت بجسد وسن لكنها تمالكت نفسها لتقول بتوتر شديد وبصوت متلعثم: "لقد قتلته لكن صدقني كان دفاعًا عن النفس، صدقني كان يحاول أن... يحاول أن..."، ثم تقطع صوتها حتى خفت.

قال الضابط يستحثها: "كان يحاول اغتصابك مثلًا؟!"، قالها رافعًا حاجبًا متسائلًا.

هزت رأسها بالإيجاب بينما بدأت فعليًا بالارتجاف بشدة لكنها بالرغم من ذلك أكملت: "نعم وأنا حاولت الهرب، لكنه كان يمسكني بقوة فضربته بالمصباح الكهربائي ويبدو أنه قد مسه تيار كهربائي فسقط ميتًا".

قال الضابط مكررًا خلفها: "سقط ميتًا؟ هل مات فعلًا أم تظنين أنه مات؟".

قالت بتلعثم: "لقد سقط أرضًا وكان شكله يبدو ميتًا حتى إنني تحسست نبضه ولم أشعر به".

سأل الضابط باهتمام: "إذن أين هو القتيل؟".

قالت وسن الموشكة على الإغماء من شدة توترها: "إنه كامل وهدان".

عقد الضابط حاجبيه ليسأل بحذر: "تقصدين رجل الأعمال المعروف كامل وهدان؟".

هزت رأسها بصمت وقد أصابها الخرس من كثرة التوتر، فعاد يهتف بانفعال: "كامل وهدان، يا للمصيبة، أتعرفين ما أنتِ مقدمة عليه؟ ستنتظرنا ليالٍ سوداء بسبب فعلتك تلك"، ثم مالَ نحوها قائلًا بتشديد: "هذا إن كان كلامك حقيقًا وليس محض خيال".

توترت بينما تنظر لوجهه القريب لكنه نظر لسعيد قائلًا بخشونة: "سعيد.. دوِّن أقوال المتهمة ثم جهز قوة للمعاينة، فسنذهب حيث مكان الحادث".

* * *

في فيلا كامل وهدان....

كان الضابط إبراهيم رشدي يقف مع قوته أمام حارس الفيلا قائلًا بلهجة آمرة: "افتح الباب، فلدينا إخبارية بوقوع جريمة قتل هنا".

نظر له الحارس بعدم فهم ليقول: "جريمة قتل من؟! من أخبرك بهذا؟".

قال الضابط بضيق: "افتح الباب يا هذا، ودلني على مكان الملحق التابع للفيلا".

أسرع الحارس يمتثل للأوامر برغم علامات الغباء المرتسمة على وجهه، رمقه الضابط بنظرة صارمة ليقول له: "أين الملحق؟ سر أمامي تجاهه".

أسرع الفتى الصغير يهرول تجاه الملحق وهو يدعو بسره أن تمر تلك الليلة على خير، فقد بدأت فترة عمله منذ قليل ولم يخبره منصور بحدوث أي شيء مختلف أثناء فترة عمله السابقة.

عندما وصل الضابط وقوته للملحق خلف الحارس، استدار الحارس بوجل قائلًا: "هذا هو الملحق يا سيدي، لكن أنا أعتقد بأنه خالي، فالسيدة ليلى عادت منذ قليل واتجهت للفيلا"، قالها وهو يشير بإصبعه نحو المبنى الرئيسي.

حدجه الضابط بنظرة متسلطة ليسأله: "وأين السيد كامل؟".

قال الفتى: "لا أدرى، ربما لم يعد بعد، فقد تسلمت فترة عملي منذ قليل".

نظر له الضابط محدقًا، ثم استدار نحو الباب المغلق محركًا قبضته ليفتحه، انفتح الباب بسهولة، دلف الضابط تتبعه قوة الشرطة وخلفهم الحارس، كان الظلام يخيم على الأرجاء فلا يرى سوى ظلال الأثاث فقط، بحث الضابط عن زر الإضاءة وعندما سطعت الأضواء، أغلق الجمع عينيه.

فتح الضابط عينيه ليصطدم بمظهر المكان المثالي المنظم، جال بنظره بحيرة وهو يتجه نحو الحائط الزجاجي الذي وصفته وسن بأقوالها المبدئية.

كان المكان نظيفًا مرتبًا لا يحمل أثرًا للعراك أبدًا، جال بنظره نحو الطاولات الجانبية علّه يرى أيا منهم ينقصه مصباح إضاءة، لكن كل الطاولات كانت مشغولة بما يزينها.

تعجب وهو يتلفت يسارًا ويمينًا، ثم التفت بعدها لرجاله قائلًا بحنق: "يبدو أننا قد ضُللنا يا رجال، فالمكان لا يشي بحدوث أي شجار هنا، ناهيك عن جريمة قتل".

استدار نحو الحارس الذي كان يقف خلفهم يهرش رأسه بغباء، سأله الضابط بخشونة: "أين سيدتك؟ نريد فقط الاطمئنان على سلامة السيد كامل قبل أن نرحل".

أسرع الحارس ليجيب: "نعم سيدي، سأذهب لإحضارها".

لكن الضابط قال بتأفف: "سنذهب معك، لن ننتظر هنا".

عندما همّ الجمع بالخروج من الملحق، ارتفع فجأة صريخ حاد قادم من المبنى الرئيسي، قفز الضابط باتجاه المبنى يلحقه الجميع، وعندما اقتحم المكان وجد خادمة منهارة تقف في ردهة الفيلا تطلق صراخًا غير مفهوم مشيرة نحو غرفة المكتب.

تتبع الضابط إشارة إصبعها وقد ربط كلامها المبعثر بأن السيد كامل مقتول بغرفة مكتبه.

اقتحم الغرفة بعنف ليطالعه ذات المنظر الذي وصفته وسن للسيد كامل بخلاف وجود الجثة بمكان آخر،

أيُعقل أن تكون من شدة صدمتها أخطأت بذكر المكان؟

مؤكد يبدو أن ذلك ما حدث.

* * *

جلس واصف على الأريكة الوثيرة بردهة شقته الصغيرة في تلك البلد الأجنبية محدقًا بالفراغ دون أن يطرف له جفن.

كان اتصال المحامي به منذ ساعة كالقصف المدوي بأعماقه وهو يستمع لكلمات المحامي التي تخبره بأن زميل عمله ترافيس هو السارق لا محالة، فبعد التحريات التي أجراها وجد أنه تم دفع مبلغ كبير تحت بند التبرعات لمؤسسة بحثية كي يستطيع إدراج اسم ابنته تحت قائمة العلاج البحثي الجديد، وبالتحري عن وضعه المادي لم يكن المال الذي بحوزته يبلغ ربع هذا المبلغ، لذا سيعتمد المحامي على تتبع حسابه وإبلاغ الشرطة بتلك المعلومات فتختفي القضية ضد واصف بلمح البصر.

لكن واصف ا لمصدوم لم يُجب على كلام المحامي سوى بكلمة واحدة فقط: "حسنًا".

أغلق الاتصال وظل بمقعده محدقًا بالفراغ لا يستطيع التفكير.

كان الوضع بأكمله مزريًا له، فهذه طفلة حياتها على المحك، وما أقدم والدها على فعل كهذا إلا لإنقاذ حياتها، نعم إنه تصرف خاطئ، لكنه يعلم قسوة الحياة التي تضطر المرء لفعل ما يكره

أحيانًا، لكن.. هل يستطيع بكل بساطة أن يترك نفسه للسجن بدلًا من أب مكلوم؟

ربما كانت حياته لا تعني شيئًا للعالم، لكن تلك التضحية أكبر من مقدرته، لذا فلن يستطيع.

ظلت أفكاره مبعثرة مشتتة حتى قطعها رنين جرس الباب، انتفض وكأنه خرج من سبات عميق لينظر نحو الباب بحيرة وقلق، فلم يعلم أحد بعودته سوى المحامي ومؤكد أنيتا أخبرت زوجها ترافيس بعودته.

نهض بتكاسل يحدث نفسه بأنه ربما يكون ترافيس يريد لقاءه لسبب ما.. ربما تهديده.. ربما استعطافه.. ربما..

فتح الباب فجأة كعادته قائلًا: "نعم؟".

لكن الفتاة الشقراء المتوقفة على الباب اندفعت تتعلق بعنقه بمرح قائلة: "أوووه لقد عدت، لم أكن أصدق، لقد ظننت أني أهلوس".

ترنح للخلف بسبب حركتها الفجائية تلك، لكنه تماسك قبل أن يسقط بها أرضًا ليقول بضيق: "مرحبًا سوزان، كيف عرفتِ بعودتي؟".

ظلت الفتاة متعلقة بعنقه تضحك قائلة: "لقد رأيتك صباحًا وأنا ذاهبة للعمل وعندما ناديت اسمك لم تسمعني واستقللت سيارة أجرة، لذا قررت أن أزورك عندما أعود من عملي، ما رأيك؟! مفاجأة!".

لم يبد حراكًا فابتعدت عنه تسأله بحيرة: "لكنك لا تبدو سعيدًا برؤيتي على ما أظن؟".

قال واصف بتوتر: "لدي ما يُشغل عقلي قليلًا، تفضلي".

أفسح لها لتدخل، ثم أغلق الباب خلفها ليتجه نحو البار الصغير قائلًا بإرهاق: "ماذا تشربين؟".

قالت بمرح: "وددت كأسًا من المشروب الكحولي لكني أعلم بعدم وجوده لديك، لذا سأكتفي بأي شيء تقدمه لي فأنا لا أبالي بسواك".

لم يرد عليها، استدار يحضر من البراد علبة المشروب الغازي وعندما عاد صدم بمظهر الفتاة، قال بدهشة: "سوزان ماذا تفعلين؟".

اقتربت منه لا يستر جسدها سوى الملابس الداخلية لتقول بإغواء: "اسمي سوز يا واصف، هل نسيت؟".

كان ينظر لجسدها يتنازعه شعور بالخزي من نفسه والقرف لفكرة أن يعود لتلك حياة.. حياة لا تحمل سوى الخزي والعار.

لامست صدره بانتشاء لتقول بنفس الصوت المغوي كالشيطان: "ارتأيت بأنك وحيد الليلة وأنا وحيدة، لذا ما رأيك أن نؤجل الكلام لما بعد؟ فلدينا ما هو أهم كما اعتدنا دائمًا".

كانت سوزان جارته من الشقة المجاورة بنفس البناية، تعرف عليها منذ سنوات حين أتى لأول مرة ليسكن بتلك البناية بعد أن استقر بشركة تؤمن له معيشة محترمة.

كانت فتاة عابثة تلهو وتمرح ولا تطالب بإلتزامات وهذا ما ناسبه، يقضي معها ليال صاخبة ثم يذهب كلًا إلى حاله، تعود فقط حين ترتجي الصحبة معه وهو لا يمانع هذا أبدًا.

لكنه الآن ينظر لها ولا يشعر بنفس الشعور السابق، بل كان هناك شعور مقبض يتحرك بداخله يضيق عليه أنفاسه ويخنقه.

كانت تتحرك بيدها على جسده بحرية بينما يبدو متصلب الجسد مغمض العينين، فقالت بحيرة: "ما بك يا واصف، تبدو على غير طبيعتك وعضلاتك متشنجة؟"، ثم مدت يدها تمسد كتفه بحركات لا تحمل سوى معنى واحد، إيقاظ الشيطان الكامن بأعماقه.

كان يهمس لنفسه ضاغطًا أسنانه بعنف مؤلم: "لا أريد، لم أعد أريد، أشعر بالتقزز من نفسي وما كنت أفعله".

فتح عينيه فجأة ليدفعها بقوة وينتفض للخلف صارخًا: "لا تفعلي، اذهبي من هنا، لا أريدك".

سقطت الفتاة على ظهرها بذهول تنظر نحوه وقد تجمعت دموع القهر بعينيها لتقول بأسى: "كان يكفي أن تطلب بهدوء، فلم أكن سأغصبك".

اقترب منها معتذرًا بغلظة: "آسف يا سوزان، لم أقصد أن أتصرف هكذا"، ثم مد يده ليساعدها على النهوض لكنها أبت بكبرياء قائلة: "لا أريد مساعدتك، اذهب للجحيم".

نهضت ترتدي ملابسها بسرعة كيفما تسنى لها ودموعها تسيل على خدها بمهانة.

اقترب منها واصف قائلًا باعتذار حقيقي: "صدقيني لا تغضبي مني، أنا آسف بحق، لكني لم أعد ذلك الشخص الذي اعتدتِ اللهو معه".

قالت الفتاة بحنق: "احتفظ بأسفك لنفسك، أنت حقير ولا أريد رؤيتك".

هرولت نحو الباب لتفتحه بعنف وتصفعه خلفها بعنف أشد.

ظل واصف متسمراً مكانه ينظر للباب المغلق بوجوم، ثم قال باستسلام: "نعم، لا تتمني رؤيتي، فأنا لم أعد من هنا، أنا أنتمي لهناك، لها، لعينيها البنية الساحرة برموشها الطويلة القاتلة"، واستدار ليدخل غرفته وقد أخذ قراره، قرار بلا عودة، أو قرار بالعودة.

* * *

ارتمت وسن في أحضان ساجد باكية أمام مكتب النيابة، كانت الأصفاد تكبل ذراعيها بينما دموعها تنهمر على خدودها بلا توقف، شعرت حين رأته بأنه موطنها، موطنها الذي غابت عنه طويلًا بإرادتها حتى اشتاقت إليه الآن بعد أن أصبحت العودة إليه مستحيلة.

جذبتها السجانة المقيدة معها في الأصفاد بعنف وهي تتحدث بسوقية: "ليس هذا وقته يا حبيبة والدتك، السيد وكيل النيابة ينتظرك".

صاح بها ساجد قائلًا بعنف: "لا تجذبيها هكذا، أمهلينا دقائق فقط".

لكنها قالت بشراسة: "انه حديثك معها بعد جلسة النيابة، ليس هذا وقت الحب والرومانسيات".

تدخل عبد الرحمن قائلًا لها بهدوء: "دعيهما خمس دقائق فقط"، ثم مال نحو أذنها هامسًا: "القتيل كان يحاول اغتصابها لذلك قتلته، دعيها تهدأ قليلًا فهي منهارة مما حدث".

مطت السجانة شفتيها بغلظة قائلة: "خمس دقائق فقط حتى تنهي انهيارها، فقد كانت ليلتها سوداء بالزنزانة".

علم عبد الرحمن ما تقصد، فهو يعلم حال السجون الموبوئة بأقسام الشرطة وكيف يعامل السجناء الأقدم السجين الجديد.

كان ساجد يوشك على اختطاف وسن والهرب بها بعيدًا، ظل يربت على كتفها يهدئها قائلًا بصوت حنون: "وسن حبيبتي.. اهدئي".

قالت من بين نشيجها: "لقد ضربنني وعضضنني هؤلاء المتوحشات، ولولا إنني صرخت وجاءت السجانة لتنقذني لكنت مت".

قال ساجد وقد تقلصت ملامحه من الغضب الأهوج الذي انتابه لرؤية مظهرها المشعث: "لا عليكِ حبيبتي، هوني عليك، سوف تخرجين من هنا وسيكون كل شيء على ما يرام".

هدأ نحيبها قليلًا، ثم استقامت بتخاذل لتقول بصوت واهن: "أنا لست خائفة مما سيحدث، أنا فقط آلمني أني ضُربت دون أن أستطيع الدفاع عن نفسي"، ثم نظرت للسجانة لتقول بهدوء محير: "أنا جاهزة للدخول".

قال ساجد بقلق: "وسن.. انتظري قليلًا، أريد الاطمئنان عليكِ".

التفتت للجهة الأخرى تداري وجهها المرتعب لتقول بصوت حاولت جهدها أن يخرج هادئًا متماسكًا: "أنا بخير يا ساجد، لا تقلق عليّ، فالقدر هو المكتوب، ولا يمكن تغييره أو الفرار منه".

سارت خلف السجانة وعندما حاول أن يلحقها أوقفه عبد الرحمن قائلًا بصرامة: "ساجد، انتهى دورك هنا، أنا محاميها وسأكون معها".

توقف ساجد متصلبًا مكانه يقاوم أن تخونه ركبتاه فيسقط أرضًا.

كان مظهر وسن حينما رآها صادمًا له بكل المقاييس، فعينيها متورمة حتى كادت أن تنغلق محاطة بكدمة زرقاء بشعة، وشفتها المشقوقة من الأمس جفت الدماء عليها وكونت قشرة بنية قبيحة، بينما كدمة خدها المصفوع ظهرت ألوانها كألوان الطيف القرمزي، والأحمر، والأرجواني، وزاد فوقها الآن ملابسها المشعثة بقميصها الذي فقد زرين من أزراره، شعرها بحد ذاته كان كارثة، فقد خرج من رباطه، وأصبح يكون هالة حول رأسها بالرغم من نعومته وانسيابيته في الأوقات العادية.

لكن ما هو العادي الآن؟! كل شيء أصبح غير عادي، يشعر بأنه نائم يحلم بكابوسٍ بغيضٍ يطارده ويأبى أن يتركه، كل أحلامه أصبحت منحصرة بأن تخرج وسن من هنا بسلام، فقط أن تكن بسلام لا يريد أكثر من ذاك.

روحه المعذبة القلقة كانت تستشعر الأسوأ بلا نقاش، فبالرغم من طمأنة عبد الرحمن له على وسن، إلا إنه يعلم كيف يسري القانون بهذا البلد الروتيني البحت، يعلم أن موقفها سيئ بسبب اعترافها بارتكاب الجريمة، حتى وإن كانت الجريمة بدافع الدفاع عن النفس.

نبذ تلك الأفكار السلبية من رأسه قائلًا برجاء هامس: "يااارب كن معها".

* * *

وقف أمام وكيل النيابة الذي يطالع التقارير أمامه، ثم رفع عينه نحو وسن يسألها أن تروي له الأحداث كما حدثت وكأنه يتأكد أنها لن تغير أقوالها المكتوبة بالإفادة.

أعادت وسن سرد الأحداث بتهالك، كانت وكأنها استنفذت كل طاقتها الداخلية فلم يعد لديها المقدرة على الكلام أو الحركة.

كلامها كان مطابقًا لإفادتها السابقة، إصرارها على رواية الأحداث كما حدثت أثارت البلبلة بالمكان، فقد كان الاختلاف جوهريًا بين روايتها وبين تقرير الشرطة من واقع مسرح الأحداث، أما عبد

الرحمن فقد أصابته الصدمة بشدة، فتقارير الشرطة تغير مجريات الأمور.

ظلت النيابة تحقق معها طويلًا لمعرفة كافة التفاصيل المخفاة وعلاقتها بالقتيل، وهل سبق له أن تعامل معها.

عندما انتهت التحقيقات كانت وسن قد انتهت فعليَا وجسديًا، شعرت وكأنها شاخت أعوامًا، لقد بررت لوكيل النيابة كما بررت للضابط أمس بأنها لم تقصد القتل، كانت فقط تدافع عن نفسها دون أن تفكر بالطريقة المفترضة، لكن الواقع لن يرحم نواياها، فقد وقع الفأس بالرأس ومات القتيل.

عندما انتهى وكيل النيابة من مناظرته للإفادات، رفع رأسه ينظر نحو وسن قائلًا بصوت بارد: "انتهت المداولة وتم الحكم بحبس المتهمة أربعة أيام على ذمة التحقيق".

يتبع.....